الى مـــن لـــه عقل وقلب

مـــــــــــــــــن

أهـــــــــــــــــل

الغـــــــــــــــــرب

رسالة أعدَّها

د/عارف محمد السيد عبد الرحمن

للمسابقة العالمية

فلتعرف هذا النبي صلى الله عليه وسلم

القاهرة فى٢٠٠٨/١٢/٢٦ الموافق٢٩ ذو الحجة١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا انه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم صل على محمد النبى وازواجه امهات المؤمنين وذريته وآل بيته كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد.

****

فهذا بحث بعنوان رسالة الى من له عقل وقلب من أهل الغرب، ليعرفوا قدره صلى الله عليه وسلم لأنهم لو عرفوه لأحبوه ، لكن بتقصيرنا جهلوه ثم ازدادوا إثما وجرما فسبوه، ، فداه نفسى وابى وامى وفداه انفاسى ولحمى ودمى. ماذا لو لم يرحم به الله العالمين؟

أدعو الله ان ينر بهذه الكلمات عقل ويشرح بها صدر من يقرؤها من أهـــل الشـــرق او الغرب وهى جهد المقل المقصر أردت بها رضا الله تعالى وشرف الزود عـــن خـــير خلقـــه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم . فيا أهل الغرب أعيرونى ما عندكم من لب وقلب لتوقنـــوا أن حقه عليكم الحب لا السب. "فلولا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولولا رسالته ، ولـــولا ملته ، لما كانت سورية ، ولا كان العراق ، ولا كانت مصر ، ولا كان العالم العربي ، بل ولا كانت الدنيا كما هي الآن حضارة وعقلاً"[١] ان محمد صلى الله عليه وسلم أعاد للعقل اعتباره وللقيم مكانتها وحاكميتها وللبشر فضلهم واصطفاءهم وان كل ما أنجزته البشـــرية من انجازات ما كانت لتقوم لولا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته التى جاء بها فالتـــاريخ كله بعد محمد صلى الله عليه وسلم متصل به ومرهون بعمله وان الانجازات البشرية الرائعة لم تكن لتقع فى الدنيا لولا ظهور دعوته صلى الله عليه وسلم![٢]

(١) العلامة ابو الحسن الندوى " ماذا خسر العالم بنحطاط المسلمين ص٢٤١ دار الايمان
(٢) العقاد "عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الأول

من محمد صلى الله عليه وسلم ؟وما هى ورسالته؟

وما حال العالم قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

يا أهل الغرب يا من لكم عقل وقلب كيف لا ترون شمس المثل والقيم التى لا تغيب ليلا ولا نهارا؟ اعلموا انه قد حجب نورها عن ابصاركم ما فى قلوبكم من سحب الغرور والحسد والاستكبار! هيا افتحوا ما أوصد من أبواب على عقولكم وحرروا من قيد التقليد والكبر والحسد قلوبكم. ليس فقط لتعرفوه بل أيضا لتكتشفوا ذاتكم ولتنعموا وتسعدوا بحياتكم.فحياتكم فى اكتشافكم لذاتكم لا فى اعتكافكم على لذاتكم.

هيا بنا بعقل صحيح وقلب سليم نبدأ المسير لأكتشاف الذات ومعرفة المصير. هيا بنا نخترق حجب الزمان ونعود للتاريخ نستنطقه! هيا اغمض عيني جسدك قليلا ، وارجع بعيني فكرك الى ما قبل أربعة عشر قرنا من تاريخ هذه المعمورة ... كيف كانت تلك الدنيا ؟ ما أقل الوسائل فيها لتبادل الأفكار بين الانسان والانسان ، وما أضعف أسباب الاتصال بين الشعوب والأقطار ، وما أضأل معلومات الانسان وأضيق آفاقة ، وما اغلب الأوهام والوساوس والوحشية عليه ، وما أضعف نور العلم وما أبطأ انتشاره وتبديده لدياجير الجهل ؟ لم يكن فيها برق ولا هاتف ولا إذاعة ولا سيارة ولا قطار ولا طائرة ولا مطبعة ولا دار للنشر ، ولا شبكة للمدارس والكليات ، ولا شبكة المعلومات الدولية(الأنترنت) ولا كانت تصدر فيها الجرائد والمجلات وما كان فيها حركة تأليف الكتب وتوزيعها . فكان اكبر علماء ذلك الزمان أقل ثقافة من واحد من أبسط الناس فى هذه الايام من بعض النواحى . والذى كان يعد من أشرف القوم فى ذلك الزمان كان أقل حضارة من عامل من عمال هذا العصر . وكان أبصر الناس فى ذلك الزمان أكثر تخلفا من أجهل الناس فى هذا الزمان . والامور التى تلوكها السِنَةُ الصبيان فى هذا العصر ، والمعلومات التى هى أبلج من ضوء النهار

ويسقط عليها كل صغير بمجرد أن يبلغ سن شعوره فى هذا الزمان ، كان يضرب لها الناس أكباد الإبل فى ذلك الزمان ، ويقضون نحبهم فى الوصول اليها ، والامور التى تعد اليوم من الاوهام الجوفاء و الخرافات الواهية ، كانت بمثابة الحقائق لا يرقى اليها الشك فى ذلك الزمان . والأعمال والأفعال التى تعافها اليوم الطبائع وتوصف بالهمجية وقلة الأدب كانت من العادات المتبعة عند أناس ذلك الزمان، والطريق التى يربأ عنه ضمير الانسان المعاصر لم يكن فى أخلاق ذلك الزمان مشروع فحسب ، بل لم يكن يخطر ببال أحد احتمال وجود طريق غيره . وقد كان الانسان بلغ فى ولوعه بالغرائب مبلغاً جعله لا يعتقد الصدق أو العظمة أو السمو فى شيء.كان الانسان يرى فى نفسه من الذلة والمهانة بمكان يعجز فية أن يتصور حتى مجرد التصور : أن البشر يمكن أن يكون موصولا بالله ، أو أن الموصول بالله يمكن أن يكون بشرا يأكل ويشرب. وخلاصة القول فإن كان يحلوا لنا ان نسمي عصرنا هذا عصر المعلومات وعصر الإتصالات فان ذاك العصر- قبل بعثته صلى الله عليه وسلم كان جديراً بأن يسمى عصر الجهالات والظُلْم والظلمات.

البيئة التى أشرقت فيها رسالته صلى الله عليه وسلم

وقد كانت فى مثل هذا العصر المظلم القاتم ناحية من الارض كان للظلام والجهل فيها سيطرة أكثر من أى ناحية أخرى . تلك هى بلاد العرب التى كانت منعزلة عن الدنيا علـــى وقوعها بين ممالك كانت على جانب عظيم من المدنية والحضـــارة، حســـب المقيـــاس الحضارى فى ذلك الزمان. كانت البلاد المجاورة لها كالروم ، والفرس ، ومصر على بارقـــة من نور العلم والحضارة والفنون والآداب والتهذيب . ولكن الجبال المترامية الشاسعة مـــن الرمال عزلت عنها بلاد العرب . نعم ، لقد كان تجار العرب يرحلون الى هذة البلاد علـــى ظهور الجمال ويصرفون فى قطع المسافات الشاقة اليها الأسابيع والشهور، ولكن لم تكـــن غاية رحلاتهم تعدو تبادل البضائع. وما كانو يرجعون منها بقبس من نور العلم والحضـــارة .أما أرضهم ، هم انفسهم ، فما كانت لهم فيها مدرسة،ولا مكتبة ولا أثـــر للتعلـــيم ،ولا

اهتمام بالعلوم والفنون والآداب. والذين كانوا يعرفون منهم القراءة والكتابة لا يتجاوزون عدد الأنامل. بل لم تكن معرفتهم بالقراءة والكتابة بقدر يؤهلهم للإقتباس من علوم ذلك الزمان وفنونه ومعارفه. وان كان عندهم شيء يمتازون به عن غيرهم ويفوقونه فيه ، فهو لسانهم الذي كان من أرفع الالسنة فصاحة ، واقدرها على التعبير عن أدق ما يكون من الأفكار والخواطر. فكانو لأجل ذلك على قسط موفور من الذوق الأدبى . ولكننا اذا سرحنا النظر –على ذلك– فى ما بلغنا من آثارهم الأدبية والفكرية ، علمنا إن معلوماتهم كانت ضئيلة محدودة جداً . وكانوا على أسفل درجة من الحضارة والمدنية. وكانو مرتعاً خصباً للأوهام والخرافات.وكانت ظواهر الجهل والهمجية تتحكم فى عاداتهم . وكانت تصوراتهم للأ خلاق والآداب تبلغ من الدناءة مبلغها. ما كانت فيهم حكومة تحكمهم ، وتنظم أمرهم ، ولا قانون يأمرهم وينهاهم . بل كانت كل قبيلة منهم مستقلة بأمرها لا تتبع إلا قانون الغابة. فكل من كان يقدر منهم أن يقتل غيره قتله واستولى على ماله . وكان البدوى منهم لا يكاد يفهم إن الذى ليس من قبيلته كيف لايجوز قتله ولايجوز التصرف فى ماله. وكل ما كان عندهم من تصورات للأخلاق والآداب كانت فى غاية من السذاجة والدناءة .فما كان لهما من عهد – تقريبا– بالفرق بين الطاهر والنجس ، والحلال والحرام ، والجائز وغير الجائز.كانت حياتهم قذرة ، وأساليبهم وحشية. وأصبح الزنا ، والقمار ، وإدمان الخمر، والسرقة ، وقطع الطريق ، وقتل النفوس اموراً عادية عندهم . كانوا يتعارون بينهم دون حياء ولاكلفة . وتطوف نسائهم بيت الله عاريات . ويأدون بناتهم بأيديهم . لا لشيء إلا تحاشياً عن وصمة المصاهرة. وينكحون أزواج آباءهم من بعدهم. وكان ينقصهم الإلمام حتى بأتفه آداب الأكل ، والشرب ، واللباس ، والطهارة . فكانوا يأكلون الميتة ، ويأتون الفواحش ، ويقطعون الارحام ، وياكل القوى منهم الضعيف. وكان لهم سهم وافر مما كان سائداً فى انحاء الدنيا فى تلك الايام من الضلال والانحراف . وكان يروج بينهم كل نوع من انواع العبادة لغير الله ، التى كانت تروج فى العالم ايام ذاك كعبادة الارواح ،

والنجوم ، والاصنام ، والحجارة. وما كان عندهم علم خالص عـــن الانبيـــاء الســـابقين وتعاليمهم . وما كانوا –على معرفتهم انهم من ذرية ابراهيم واسماعيل عليهمـــا الســـلام– يعرفون ماذا كان دينهم ، ومن ذا الذى كانا يعبدانه. كانت قصص عاد وثمود رائجة فيهم ، ولكننا إذا نظرنا نظرة فى الروايات التى قد نقلها مؤرخو العرب عن هاتين الأمتين لم نعثـــر فيها على شيء من تعليم صالح وهود عليهما السلام . وكذلك كانت حكايات بنى إسرائيل وايامهم بلغتهم بواسطة اليهود والنصارى . ولكننا إذا قرأنا فى كتب التفسير ما سبق فيهـــا من الروايات الاسرائيلية عرفنا نصيب هذة الروايات من الصحة وملاءمتها للعقل الســـليم ، وعرفنا كيف كانوا اولئك الانبياء الذين كان يعرفهم العرب بل اليهود والنصارى انفسهم ، وعرفنا كيف كان لهؤلاء العرب من افكار فاسدة مشوهة عن النبوة والانبياء.

مولده ونشأته صلى الله عليه وسلم

فى قوم هذا شأنه، وفى ظروف هذا شأنها ولد مولود مات عنه أبوه قبل أن يولد . ثم ماتت عنه أمه وجده ، فى ايام صباه . ولذلك لم يستطع ان يلتقى من التربية ما عســـى ان يتلقاه – ان كان ابواه على قيد الحياة – حتى فى مثل هذه الحالة وهذة البيئة المتداعية . فلما نشأ وبلغ سن الشعور وجد نفسه يرعى الغنم مع أترابه من أبناء العرب . ولما شب اشـــتغل بالتجارة ، ولما كانت مجالسته ومعاشرته ومخالطته إلا مع اولئك العرب انفسهم ، الذين قد سلف القول عنهم . كان أمياً لا يعرف القراءة ولاالكتابة ، و لم تتح له صحبة عـــالم ، لان العالم لم يكن له وجود اصلاً فى بلاده. نعم ، أتيح له ان يرحل الى خارج بلاده مـــرتين او ثلاث مرات ، ولكن ما كانت رحلته فى كل مرة إلا إلى الشام ، وما كان من غاياتهـــا إلا التجارة على ما كان من عادة قوافل العرب فى تلك الايام . ونحن إن فرضنا جدلاً أنه شاهد فى تلك الرحلات آثار للعلم والثقافة ، تصادف أن يقابل بعض أصحاب العلم فالظـــاهر أن مثل هذه المشاهدات المشتتة الخاطفة والمقابلات العابرة ليس من شأنها أن تغير طبيعة الانسان وسيرته تغييرا كلياً ، أو تؤثر فيه بشكل يجعله يسلك طريقاً للحياة يعاكس بيئته التى نشـــأ

وترعرع فيها ، ويجعله يتسامى فى أخلاقه ، وأفكاره حيث لا يفقه أى شبه بينه وبـــين مـــا يعيشه من الاوضاع ، أو تحصل له بها ثقافة تجعله لا معلم قطر من الأقطار ، فى زمن مـــن الأزمان فحسب ، بل معلم البشرية ، وهاديها ، وزعيمها ، ومنقذها فى جميـــع الأقطـــار والأزمان . وهو على سبيل الأفتراض إن كان قد استفاد من علوم الأجانب – ولـــو فى أى درجة – فما كانت له وسيلة ، على كل حال ، الى الوصول الى ما كان معدوما فى زمانـــه من المعلومات والنظريات أو المبادئ والتصورات عن الدين ، والحضـــارة ، والمدنيـــة ، أو النماذج الفذة للسلوك الإنسانى . والذى ينطبق على بلاد العرب ينطبق على العالم بأسره .

إنك ترى بدون شك : أن الناس الذين ولد فيهم هذا الرجل ، ونشـــأ وشـــب بـــين أظهرهم ، وعاشرهم طول حياته كان مختلفاً عنهم كل الإختلاف – كما قلت آنفـــاً – فى عاداته ، وأخلاقه ، وخصاله ، وأفكاره . فلم يكن يكذب فى حديثه ، ولا يؤذى أحدا بيده أو لسانه . كان لين الجانب خفيف الظل عذب الكلام ، يشغفه حباً كل من يجالسه مرة . وما كان لينال من أحد شيئاً – مهما صغر وحقر – على طريق غير مستحسن . وكـــان قومه كلهم يشهدون له بالصدق والأمانه .ولا يتهمه اعدى اعدائة منهم بالكذب ،ولو مرة طول حياته .ولا يرونه يسافه احدا فى القول او يناوله بما يسوءه.اشتغل بالتجارة ردحاً من حياته.ولكن لم يجد أحد يخاصمه ،ويبادله السباب.اويهضـــم لـــه حقا،بـــل كـــان مـــن الامانة،والصدق،والعفاف حيث جعل كثير من ابناء قومه- ومنهم الد اعدائه- يأمنونه على أموالهم الثمينة،ويودعونه إياها،وهو يحافظ عليها كما يحافظ غلى نفسه وماله .وكانوا جميعا يعتمدون عليه،(ويثقون بأمانته فيلقبونه بالأمين فى أحاديثهم ونواديهم.وكان حييا لم يظهر لأحد بدنه عريانا بعد سن الشعور.وكان هذبا ينفر من الشر والرذيلة . وكان يتألم حينمـــا يرى قومةينهبون الاموال،ويسفكون الدماء،ويقطعون الارحام فيسعى لاصلاح ذات بينهم كلما حمى بينهم وطيس الحروب والمعـــارك . رؤوفـــا يشـــاطرهم مـــايترل بهـــم مـــن الكوارث.وينصر المظلوم.ويواسى الضعفاءوالملهوفين .ويطعم الجياع . ويضيف أبناء السبيل،

ويكرم مثواهم. وكان ذكى الفؤاد ثاقب القريحة،يربأ بنفسه عن عبادة الأوثان والأصـــنام على معاشرته لقوم كانت الوثنية فطرتهم الثانية،وديانتهم التى ورثوها عن أبائهم كابرا عـــن كابر.ولا يطاطىء رأسه لأحد من الخلق. كان قلبه يحدثه بـــان لا شـــىء فى الارض أو فى السماء يستحق العبادة من دون الله ، وأن الله واحد ليس له – ولا ينبغى أن يكون لـــه – شريك فى الألوهية. فكأنه كان يتلألأ بين قومه الجاهلين الوحشين كما تـــتلألأ الجـــوهرة الكريمة بين الأحجار الكثيرة، او كما يتلألأ السراج فى ظلمة الليل.

بدايــــــــة الشـــــــروق

ثم ترى أنه بعد أن عاش فى قومه عيشة نظيفة رفيعة، وبلغ أربعين سنة من عمره ضاق ذرعا بهذا الظلام المطبق على مجتمعه من كل جانب .وأراد لنفسه النجاة من هـــذا البحـــر الخضم من الجهل والفوضى والإنحلال الخلقى والعملى والشرك والوثنية،لانه ما كن يجد فيه شيئا يلائم فطرته . فبدا يغادر أهله وعشيرته ليقضى أياماً طوالاً فى غار فى عالم الوحـــدة والخلوة ، يزكى قلبه وروحه بالتحنث والصيام ، ويطرق رأسه ملياً يتأمل ويفكر فى داخل النفس وخارجها، وينشد نوراً يبدد به هذا الظلام المطبق على قومه، ويريد شيئا يهدم بـــه هذه الدنيا المشحونة بأسباب الدمار والفساد والفوضى ليبنيها من جديد.

هناك في غار شاهق يقع على الطريق ما بين السماء والأرض تم اللقاء بين محمد القادم من الأرض حاملاً ضراعتها ، وبين جبريل القادم من السماء حاملاً رسالتها ودار هذا الحوار :

الملك جبريل :

اقــرأ . النبي محمد : ما أنا بقارئ .

الملك جبريل : اقـــرأ .

النبي محمد : ما أنا بقارئ .

الملك جبريل : { **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** }[٣] .

أول قبس من فيض الهداية   أول قطرة من سيل الرحمة

هذه الكلمات هي بسملة سعادة الإنسان ، وهي الأشعة الأولى لأنوار القرآن ، يا لها من براعة إستهلال لمقاصد الرسالة ..ها هنا في قلب الغار أختُصِر تاريخ الإنسان ، فيا له من مكان غمر في جوفه الزمان . ولقد تكون بعض الأحداث في التاريخ أكبر من التاريخ نفسه !! ويوم حراء أكبر وأخلد من التاريخ . وأكرِم بيوم تم فيه اللقاء بين أمين الأرض وأمين السماء ![٤]

فى هذا الغار، حدث فى حياته تغير عظيم، وإستنار قلبه فجأةً بنورٍ لم يكن به عهد من قبل . وامتلأ بقوة كان خالياً عنها حتى ذلك الحين .فخرج من خلوة الغار الى قومه ينادى فيهم ..... أن إخلعوا هذه الأوثان والأصنام التى تعبدونها وهى لا تضركم ولا تنفعكم . فإنــه ليس فى الارض إنسان ،ولا شجر ، ولا حجر ولا روح يستحق ويصلح لتطــاطئوا لــه رؤوسكم وتخضعوا له وتطيعوه . وان هذه الارض ، والشمس ، والقمر،والنجوم ، وما فى السموات والارض ما خلقه الا الله وحده ،وهو الذى خلقكم ورزقكم ، وهو الذى يميتكم ثم يحيكم ،فلا تعبدوا غيره،ولا تستعينوا إلا إياه ،ولا تطلبوا حوائجكم إلا منه ، ومن الإثم ما تأتونه من أعمال السرقة، والنهب ، والفاحشة ، وإدمان الخمر ، ولعب القمار . فانتهوا

[٣] قرآن كريم ، سورة العلق .
(٢) د عبد المعطى الدالاتي " ربحت محمد ولم أخسر المسيح"

عنها ، والتزموا الصدق والعدل فى أقوالكم ، وصلوا الأرحام . وأدوا الأمانة ، وكفوا عن الفواحش وقول الزور ، ولا تسلبوا الناس أموالهم ، ولا تأخذوا شيئاً ولا تعطوه الا بالحق ، وكلكم بشر والبشر كلهم سواء . انه لم يولد احدا منكم بوصمة الذل ، ولا غيره بوسام الشرف ، فليس الشرف والفضيلة بالنسب ولا باللون والملبس ولا بالجاه والثروة، انما هما بالتقوى والصلاح والخير فمن كان منكم صالحاً يتقي الله وينهى نفسه عن السوء ، فهو الشريف الكامل فى إنسانيته ، ومن لم يكن كذلك فلا شرف له ولا فضيلة ، وهو من الخاسرين فى الآخرة . وانكم ترجعون بعد موتكم الى الله ربكم ، وتسألون عن كل دقيق وجليل من اعمالكم فى محكمته ، دون ان تنفعكم فيها شفاعة او رشوة او علو نسب او شرف مكانة . وانما ينفعكم فيها ايمانكم واعمالكم الصالحة .فمن كان منكم مؤمن قد عمل الصالحات دخل الجنة ، ومن كان فاسقا لا يتقى الله ، خسر خسرانا مبينا وعذب عذابا شديدا. تلك هى الرسالة التى خرج بها من الغار .

فلننظر الي رد فعـــل قومـــــه!

ولكن ما بال قومه ناصبوه العداء ، وبدأوا يؤذونه ، ويسبونه ، ويغمزونه بأقبح الكلمات ، ويرمونه بالأحجار ، ويترلون عليه بما قدروا عليه من أنواع الشدائد والآلام حتى اضطروه بعد ثلاث عشرة سنة الى الهجرة من وطنه ، بل لم يشفوا غليل نفوسهم حتى بعد ذلك ، وما فتئوا يتابعون إيذائه وإزعاجه فى المدينة التى هاجر اليها ، وكلبوا[١] عليه العرب جميعاً ، وجاذبوه حبل الحرب ثمانى سنوات متتابعة . أما هو ، فقد تحمل منهم كل هذه الآلام والشدائد ولكن أبى إلا الإستمرار فى دعوته الى الحق . لماذا ناصبه قومه العداء....الا لأنه كان يطالبهم بشيء من متاع الحياه الدنيا ؟ او يريد ان يأخذ مهم ثأراً ؟ كلا ، بلا المبعث الوحيد لهذا العناء انه كان يدعوهم الى عبادة الله الواحد الأحد ، والتزام الصدق والامانة والتقوى فى حياتهم ، وبأجتناب الشرك وعبادة الاوثان والانصاب ، والكف عن

(١) جمعوا وحرضوا

اعمال السوء . وكان لدعوته الى الحق يهز دعائم زعامة الكهنة وسدنة البيـــت مـــنهم ، ويسفه أحلامهم ، ويمحوا الفرق القائم فيهم بين الرفيع وغيرالرفيع ويعتبر عصبياتهم القبليـــة والعنصرية جاهلية جهلاء ، ويعمل على تبديل الأسس التى كان يقـــوم علهـــا نظـــامهم للإجتماع منذ قديم الزمن . فكانت دعوى القوم ان كل ما ياتى به من مثل هذه الاقـــوال والاعمال مخالف لتقاليدهم القومية ، وطرقهم الموروثة كابراً عن كابر ، فليتـــركهم . والا فانهم سيضيقون عليه الخناق وينغصون عليه الحياة .

فما لهذا العبد الصالح يتحمل من قومه كل هذه الشدائد والمتاعب دون ان يتحرك الى قلبه شيء من الوهن او الفزع والجزع . وهاهم اولاء قومه يعرضون عليه ان يملكوه على انفسهم ، ويجعلوا له اموال حتى يكون اكثرهم ثراء على ان يقلع عما هو عليه من الدعوة الى ربه . و لكنه يرفض كل ذلك رفضاً باتا ، ويأبى الا الاستمرار فى دعوته ، لماذا ؟....هل يرجـــو لنفسه فيما ان اصبحوا يعبـــدون الله ويلتزمـــون الصـــدق والامانـــة والتقـــوى فائـــدة شخصية....فائدة لم تكن بأزائها الرئاسة والامارة والثراء والوجاهة والرفاهة شيئا يذكر.... فائدة قد صبر لاجلها على ما ترتعد لهوله الفرائص من المكاره والشدائد فى الجسد والـــروح لاحدى وعشرين سنة متتابعة ؟ ....

فلنتفكر قليلا

هل من مثال للصلاح والايثار والنصح للبشرية اعلى من ان يستقبل الانسان كل المحـــن والشدائد لا لصالح نفسه بل لصالح غيره من الناس، لا هذا فقط ، بل يعنى كل ذلك علـــى رغم انهم يرمونه بالاحجار ، وهينونه ، ويسبونه ، ويخرجونه من وطنه ، ولا يتركونه حتى فى الغربة يعيش الامن والسلامة .... وكان لا يدعو لهم الا بالخير ولا يضمر لهم الا الـــود والاخلاص والنصح .

.وتعالوا ننظـــــــر.....!!

هذا ، وتعالوا ننظر فى أحوال هذا الرجل من ناحية اخرى : ما كان هذا الرجل حـــتى الأربعين من حياته إلا رجلا من عامة رجال العرب ، وتاجرا عاديا من تجارهم ، لم يلمـــس فيه احد خطيبا مصقعا ياخذ بمجامع القلوب بنصاعة بيانه وروعة كلامه ، او حكيما ينطق بالحكمة ويتكلم عن الألاهيات وفلسفة الاخلاق والشريعة والسياسة والادارة والاقتصـــاد والاجتماع ، او يصدر عن لسانه ما يحتوى على الحقائق الناصعة عن الله تعالى ، والملائكة ، والكتب السماوية ، والأنبياء السابقين ، والأمم الخالية ، و القيامة ، والحياة بعد المـــوت ، والجنة والنار. وهو وان كان معرفوفا فى قومه بطهارة القلب ، وجاذبية الشمائل ، وسمـــو السيرة ، ونزاهة الاخلاق والاعمال .الا انه لم يجد احد فى شخصه قبل ان يبلغ هو اربعـــين سنة ما يدعو الى التكهن بانه سوف يكون له شأن فى الارض وسوف يعلن امرا ذا بال .

ولا شك كذلك فى أن الناس كانوا يجدون فيه حتى ذلك الحين رجلا ميالا الى الصـــمت والدعة ، محباً للخير والسلام .ولكن ما أعظم دهشتهم عندما يتزل اليهم من غار حراء بعد بلوغه الأربعين حيث يجدون فيه الان شخصا غير شخصه . هذا الشخص الوديع المسالم بدأ يتلو عليهم الان كلاما عجيبا ، كلاما اخذ بمجامع قلوب العرب ، وكان من شدة تـــأثيره وسرعه تملكه للاذهان والقلوب ان اعداءه كانوا يأبون سماعه خشية من ان يؤثر فى قلوبهم . وكان من فصاحت هذا الكلام وحلاوة بيانه وروعة اسلوبه ان كبار قومه ينهون الناس عن الاستماع له ، ولكن كانوا هم انفسهم يستترون ليسمعوا هذا الرجل يقرأه فى بيته بالليـــل .ومما لا يخفى على احد ان هؤلاء العرب كانوا مزهوين ببلاغة كلامهم وفصاحة شـــعرهم وخطابتهم ، ولكن لما تحداهم هذا الرجل الأمى بأن يأتوا ولو بسورة من مثل الكلام الذى يتلوه عليهم ، عجزت عنه مصاقع خطبائهم وفحول شعرائهم لانه كان كلامـــا لم يكـــن لاسماعهم عهدا بمثله .

وما كان هذا الرجل – كما قلنا قبل – الا أميا نشأ فى بادية أمة عريقة فى الجهل والهمجية ، منغمسة فى الوثنية وعبادة الحجارة و لم يشتغل قبل بلوغه الاربعين من حياته الا برعى الغنم ،

او بالتجارة على عادة قومه ، و لم يتح له ان يتلقى نوعا من العلم والثقافة والتربية ولكننـــا نجده فجأه يصبح حكيما منقطع المثال ، وقائدا للجيش عديم النظير ، وقاضـــيا مـــاهرا ، ومشرعا مبتكرا ، وفيلسوفا نطاسيا ، وسياسيا محنكا ، ومصلحا للأخلاق غير عادى بعـــد ما نزل من الغار وشرع فى دعوة قومه الى رسالته . وجده قومه يأتى بِحِكَم لم ينطق بمثلها أحد قبله ، ولا استطاع ان ينطق بها أحد فى زمانه ولا بعده . بل لم يسمعوه هو نفسه ينطق بمثلها قبل أن يبلغ الأربعين من عمره .لقد بدأ هذا الأمى الناشئ ، ربيب اليتم والعـــدم فى قرية جاهلية من قرى الحجاز المقفر ، يلقى الأحاديث الحاسمة فى مسائل ما وراء الكون

يخطب فى فلسفة تقدم الامم وانهيارها فى التاريخ ،

يعلق على ما تم على ايدى المصلحين السابقين من الأعمال ،

وينتقد الأديان والنحل بصورة تميز الحق من الباطل ،

يعطى الدرس فى الأخلاق والآداب والمدنية

. لقد جاء هذا الأمى بقوانين فى الأخلاق والأجتماع والأقتصاد والسياســـة والعلاقـــات الدولية وفى جميع شئوون الحياة لا يدرك كنهها فحول العلماء وحذاق الحكماء على بعـــد نظرهم وخصب أذهانهم وتجارب حياتهم الا بشق الأنفس . ولا تـــزال تتكشـــف للـــدنيا حقائقها وغاياتها واسرارها على قدر ما تزداد تجاربها وتنضج افكارها مع تعاقـــب الأيـــام والليالى . ان هذا التاجر الصامت المحب للأمن والدعة ، الذى ما أمسك بيـــده الســـيف للقتال ، ولا تلقى شيئا من التربية العسكرية ، ولا شهد طول حياته الا حربا واحدة دون ان يشترك فيها بالقتال ، وجدت فيه الدنيا دفعة واحدة محاربا شجاعا لا يؤخر قدمه فى أفتـــك الحروب وأضرسها ، وقائدا عظيما تمكن من فتح جزيرة العرب من أقصاها الى أقصـــاها فى مدة تسع سنوات، وبتنظيمه العسكرى وروحه الحربية دالت على أيدى العرب العزل دولتان من اعظم دول العالم- فى تلك الأيام- وأكثرها عدة وعتادا، فى سنوات قلائل. ان هـــذا الأمى الميال الى العزلة والخلوة بنفسه ، الذى لم يجد منه أحد رائحة الشغف بالسياسة حـــتى

أربعين سنة من عمره هو الذى وجد فيه قومه على حين فجأة مصلحا فذا ، ومـــدبرا غـــير مطاول وحد فى مدة ثلاث وعشرين سنة قبائل العرب الواغلة فى الهمجية والجهل والمشاحنة والتحارب ، المنتشرة على وجه صحراء تزيد على مليون ومائتى ألف ميل مربع فى طولهـــا وعرضها ، وجعلها تابعة لدين واحد ، ومدنية واحدة ، وقانون واحد ، ونظام للحكومـــة واحد ، بدون أن يستعين فى ذلك بالقطار أو البرق أو الهاتف أو الإذاعة أو الصحافة .غـــير أفكارها وعاداتها وطبائعها وأخلاقها ، وبدل همجيتها بأنضر مدنية وأرقاها ، وبدل إنحلالها الخلقى بالصلاح والتقوى ومكارم الأخلاق ، وتمردها بأحسن نظام لطاعة أولى الامر والتزام القانون ،لا وجعلها – وهى أمة عقيم ما أنجب صلبها منذ قرون رجلاً نابه الذكر – أمـــة انجبت فى مدة قصيرة آلافاً مؤلفة من أعاظم الرجال وأبطالهم ، سارت بذكرهم الركبـــان ، وانتشروا فى مشارق الارض ومغاربها يلقنون الناس الدروس فى الديانة والاخلاق والصـــدق والامانة والشرف والنظام والمدنية . مافعل هذا الرجل كل مافعل بوسائل الظلم والإكراه والتضليل والغش والباطل ، وانما فعله بأخلاقه الزكية الآخذة بمجامع القلـــوب ، وتعاليمـــه السامية الملتحمة بالأذهان ، فهو بهذه الاخلاق جعل من أعدائه أصدقاء ، وملـــك علـــيهم قلوبهم وأرواحهم برحمته وسعة صدره ، وسمو خلقه وكرم محتده .ماعدل عن محجة الصدق والامانة قط ، ولانقض لأحدٍ عهد ، ولاأعتدى عليه حتى فى الحرب .وقد قامت فى وجهه القوى الكاسرة الفتاكة فكسرشوكتها وأذل أعناق أهلها . ولكن لما إنتصر عليهم ، لم ينتقم لذاته من أحد منهم ، بل غمرهم جميعاً بعفوه وأكرامه وإحسانه ، حتى أنه عفا عن الـــذين قتلوا عمه وأخاه فى الرضاعة وبقروا بطنه ولاكوا كبده ، وأسبغ كساء العفو والصفح على من رموه بالحجارة ، وضيقوا عليه الخناق ، وتآمروا على قتله وأخرجوه من وطنه .

.هل ينتهى بهذا ذكر مزايا هذا الرجل ومناقبه وكمالاته ؟ الجواب : كلا ، فإنك إذا نظرت نظرة شاملة فى تاريخ العالم وجدت ان هذا الرجل الذى ولد قبل أربعة عشر قرنا فى مكة ، ونشأ على الفطرة فى بادية العرب هو مؤسس العصر الحاضر ، وسيد البرية ، وزعيم

الانسانية فى العالم كله ، وانه ليس بزعيم لمن يؤمنون به ويعترفون له بالزعامة فحسب ، بل هو كذلك زعيم لأولئك الذين لايؤمنون به ولا يعرفون له بالزعامة لأنفسهم ، لايشعر هؤلاء بأن الذى يعرضون عن أتباعه ويكذبون ويطيلون فيه السنتهم بالذم والقدح ، قد خالط توجيهه روح عصرهم الجديد ، واثر أبلغ تأثير فى أفكارهم ونظرياتهم ومبادئهم لما ياتونه من الاعمال فى الحياة .

محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى

هو الذى قد غير مجرى تصورات الدنيا عن الأوهام والخرافات وعبودية العجائب والرهبانية الى التعقل ، وايثار الحقيقة ، وهو الذى بدل طبيعة الدنيا المطالبة بالمعجزات المادية الحسية ، وأنشأ فيها الذوق لفهم المعجزات العقلية ، واعتبارها مقياساً للصدق والحق . وهو الذى فتح عيون الباحثين عن آثار الالوهية فى الامور الخارقة للعادة وعودهم على أن يروا آيات الله الدالة على قدرته وألوهيته وتوحيده فى آثار الآفاق والطبيعة . وهو الذى صرف الناس عن الاعتماد على الخرص والرجم بالغيب وسلك بهم الى طريق التعقل والتفكير والمشاهدة والتحقيق . وهو الذى أرشد الإنسان الى ما بين العقل والحس والوجدان من الحدود وربط العلم والعمل بالدين وربط الدين بالعلم والعمل .

وهو الذى أوجد فى الدنيا الروح العملية بفضل قوة الدين والتدين الصحيح وهو الذى قلع جزور الشرك وعبادة الخلق للخلق وأَصَّلَ مكانها بقوة العلم عقيدة التوحيد بشكل إضطر ديانات المشركين والوثنيين أنفسهم الى ان تظهر للدنيا — ولو كذبا وزورا — فى مظهر التوحيد . وهو الذى غير التصورات الاساسية للأخلاق والمعنويات وبين للذين كانوا لا يعتقدون الاخلاق الا فى الرهبانية وترك الدنيا واضطهاد النفس وحرمانها من لذائذ الدنيا ونعيمها وكانوا يرون ان لا يترقى البشر روحياً ولا ينال النجاة مع انغماسه فى شئون الدنيا واداء ما عليه من الحقوق لنفسه وجسده — بين لهم أن طريق الأخلاق الفاضلة والإرتقاء الروحى والنجاة لا يمر إلا من بين الحياة المدنية والاجتماعية والأعمال الدنيوية البحتة .

وهو الذى عرف الانسان مكانتة فى الدنيا وقيمته الحقيقية ، والذين لم يكونوا ليقبلوا احدا هاديا ومرشدا سوى ((مظهر الاله)) او ((ذاتا فوق البشر)) هو اقنعهم جميعا على ان الانسان مثلهم هو الذى ينبغى ان يكون مندوبا اليهم من ملكوت السماء وخليفة فى الدنيا لرب العالمين . والذين كانوا يتخذون كل إنسان قوى الها لأنفسهم ويخضعون له رؤوسهم هو الذى ارشدهم الى ان الانسان مهما كن قويا ليس شيئا غير الانسان فما من احد قد خرج الى الدنيا من بطن امه يستحق السيادة والحكم على الناس وما من احد دخل الدنيا وعلى جبينه وصمة العار والنحس والخضوع والتذلل والعبودية . وان تعليم هذا الرجل هو الذى انشأ فى الدنيا نظريات يعتز بها الانسان اليوم كنظرية الوحدة الانسانية والمساواة والديمقراطية والحرية الانسانية.

انظر الى أثره صلى الله عليه وسلم على مسيرة الدنيا

هذا وتعالو نتجاوز الان عن التصورات ونستعرض ما لزعامة هذا الأمى من النتائج الفعلية فى قوانين العالم وشئؤونة المتشعبة : فكم من مبدأ للأخلاق والمدنية والحضارة والطهارة والنظافة عرضه هذا الأمى على الانسان فانتشر فى العالم كله وصار يجرى فى عروقه مجرى الدم . وكم من قانون للحياة الاجتماعية اتى به هذا الأمى فحاولت ولا تزال تحاول الدنيا الاستقاء من منهله . وكم من حركة قد قامت ولا تزال تقوم فى الدنيا على اساس ما اتى به هذا الأمى من مبادئ وقواعد فى الإقتصاد[١] والمعيشة .وكم من ثروة حدثت ولا تزال تحدث فى عالم النظريات السياسية على اساس ما جاء به هذا الأمى من الأنظمة للحكم والادارة . وكم من اثر انطبعت به ولا تزال أنظمة الدنيا القضائية واتجاهاتها القانونية من آثار مبادئ القضاء وقواعد التشريع التى جاء بها هذا الأمى . وما هو الا هذا الامى العربى الذى نفذ فى الدنيا فعلا لاول مرة نظام الصلح والحرب والعلاقات الدولية والا فان

(١) وما أحداث انهيار الاقتصاد المخالف لما جاء به صلى الله عليه وسلم ودعوة علماء الاقتصاد بالرجوع الى الاقتصد الاسلامى ببعيد

الدنيا ما كنت تعرف قبله انه من الممكن ان يكون للحرب نظام وان تتم المعاملات بين مختلف امم الارض وشعوبها على أساس الإنسانية المشتركة.

من مثله صلى الله عليه وسلم...هوالذى صنع بيئته...؟؟

إذا رأيت الشخصية العبقرية لهذا الرجل العظيم فى مسار التاريخ البشرى ترى ان جميع اولئك الذين تعدهم الدنيا منذ فجر الانسانية الى يومنا الحاضر العمالقة ،لا يلوحون لك إذاءه إلا اقزاماً . ليس من اكابر الدنيا واعاظمها وعباقرتها من تعدى لمعانِ روائعه شعبة او شعبتين من شعب الحياة الانسانية، فمنهم من اذا كان ملكا فى باب النظريات فهو صعلوك فى القوة العملية. ومنهم من تنحصر عبقريته فى الحنكة السياسية او الذكاء العسكرى ومنهم من اذا كان رمزا للعمل والنشاط، فانه ضعيف فى الفكر. ومنهم من تنحصر عبقريته فى الحنكة السياسية او الذكاء العسكرى ومنهم من اذا ركز نظره فى ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية توارت عنه سائر نواحيها ومنهم من اذا تناول الاخلاق والمعنويات غاب عن فكره الاقتصاد والسياسة. ومنهم من اذا تفرغ للاقتصاد والسياسة ادار ظهره عن الاخلاق والمعنويات. وملخص القول لا نجد فى التاريخ الا ابطالا وعباقرة من ذوى الوجه الواحد . اما هذا الرجل فانه نسيج وحده وفريد شأنه، يحيط بجميع جوانب العبقرية والكمال والعظمة فهو نفسه الفلسفى والحكيم وهو نفسه المنفذ لفلسفته فى الحياة العملية .وهو نفسه المدبر السياسى، وقائد الجيش وواضع القانون ومعلم الاخلاق ومزكى الارواح والنفوس يشمل نظره حياة الانسان وينفذ الى كل جزء من اجزئها . وهو يصدر الاحكام والتعليمات فى كل ما يتعلق بحياة الانسان من آداب الاكل والشرب والجلوس والقيام الى العلاقات الدولية. وهو يثير حضارة منفردة على اساس افكاره ثم يقيم بين مختلف شُعَبِ الحياة إتزاناً دقيقاً لا إفراط فية ولا تفريط .فهل ترى رجلاً غيرة جمع بين نواحى العبقرية والعظمة مثله ؟ . ويقول الأديب الروسي (**ليو تولستوي**)[٧] والذي حرمته الكنيسة بسبب

(١) د عبد المعطى الدالاتى " ربحت محمد ولم أخسر المسيح"

آرائه الحرة الجريئة "أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه ، وليكون هو أيضاً آخر الأنبياء ... ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسكينة والسلام ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية".

ثم نكرر : من مثله صلى الله عليه وسلم.....؟؟؟

ليس من اشهر واعظم رجالات التاريخ إلا وفى نشأته فضل قليل او كثير لبيئته اما هذا الرجل فلا ينطبق عليه هذا الحكم ولا نرى لبيئته اثرا ما فى نشأته. ومن المحال ان يثبت بدليل عقلى او نقلى ان البيئة العربية فى ذلك الزمان كانت تقتضى تاريخيا ان يظهر فيها رجل مثله وغاية ما يمكن ان يقال ان ظروف العرب فى ذلك الزمان كانت تتطلب ان يبرز فيهم زعيم سياسى قومى يقضى عل ما كان بين قبائلهم من افتراق وتشتت ويصبهم جمعا فى بوتقة قومية موحدة، ويغزو البلاد ليوفر لقومه اسباب السعادة والرفاهية. اى كانت الظروف تنتظر زعيما قوميا تتوفر فية الخصائص العربية السائدة آنذاك حتى يستعين بكل ما تصل اليه يده من وسائل الظلم والقهر والغدر والخديعة وسفك الدماء وما الى ذلك لإسعاد قومه واعلاء كلمته، ولانشاء دولة قوية شامخة الأركان عزيزة الجانب مرهوبة المقام يرثها بعده ابناء قومه. أفمن الممكن ان يثبت شئ اكثر من ذلك من مقتضى ظروف العرب وتاريخها فى ذلك الزمان ؟ غاية ما يمكن ان يقال من وجهة نظر فلسفة هيجل او تفسير (ماركس) المادى للتاريخ انه كان يجب ان يظهر او يمكن ان يظهر بدوافع البيئة العربية ومقتضياتها زعيم يجمع كلمتهم ويصبهم جميعا فى بوتقة قومية متحدة تحت دولة موحدة ولكن كيف لفلسفة (هيجل) أو تفسير (ماركس) المادى ان يفسر الواقع التاريخى التالى : ؟ ..... ولد فى تلك البيئة رجل إعتنى بتعليم الاخلاق وتهذيب الانسانية وتزكية الارواح وتطهير القلوب واعتنى بقمع اوهام الجاهلية واستئصال شأفة العصبيات رجل خرق نظره الحواجز القومية العنصرية والوطنية، وشمل الانسانية باجمعها. رجل أقام صرحاً لنظام الاخلاق والمدنية والسياسة لا للعرب وحدهم ولكن للعالم الإنسانى بأسره. رجل ما عالج

معضلات الاقتصاد السياسية والمدنية والعلاقات الدولية فى عالم الخيال والفكر فحسب بل عالجها على أساس الأخلاق فى واقع الامر. رجل مزج بين الروح والمادة مزجا معتدلا كان ولا يزال اكبر شاهد وأسطع برهان على حكمته وعبقريته . فهل لأحد ان يقول بعد كل هذا وذلك ان ذلك الرجل انما كان صنيع البيئة العربية القائمة على الجاهلية بأوهامها وخرافاتها . ليس هذا فقط بل اننا اذا تاملنا فيما جاء به هذا الرجل فى حياته من جلائل الاعمال وعظائم الامور وجدنا انه لا يتقيد بحدود الزمان والمكان بل نظره يكسر قيود الاوقات و الظروف، ويشق حجب القرون والآفاق يمتد ويمتد الى الامام وعلى هذا هو ينظر الى الانسان فى كل زمان وفى كل مكان، ويقرر لحياته تعاليم فى السلوك والعمل تصيب المحز وتعالج مشاكله بصفة متساوية فى كل عصر وفى كل بيئة .

محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي صنع التاريخ

وهو ليس من الذين قد ابلاهم التاريخ واكل عليهم الدهر وشرب من الذين نفيض عليهم اليوم بالثناء لانهم كانوا دعاة الخير والانسانية فى زمانهم، بل هو- خلاف لكل من سواه- زعيم الإنسانية ومنقذها الذى لا يدانيه غيره وهو يساير التاريخ بل يجعله يسايره وهو جديد علينا اليوم كما كان جديداً على الذين ولد فيهم ونشأ بينهم وكما كان جديدا على كل العصور والدهور . والذين تضفى عليهم بكل سخاء ثياب المدح ويلقبون بصانعى التاريخ ليس فى حقيقة الامر الا من قد صنعه التاريخ .والحق انة ليس فى التاريخ البشرى كله رجل حاشا هذا الأمى يجوز أن يقال عنه أنه صنع التاريخ وما من أحد قد تم على يده نوع من الثورة فى التاريخ الإنسانى إلا وتجد- اذا نظرت فى حالاته وظروفه وبيئته- أن أسباب الثورة كانت بنفسها مختمرة قبل ان يقوم ذلك الرجل بتفجيرها وأن هذه الأسباب نفسها كانت تحدد وجهة الثورة وتمهد طريقها .فلم يكن من بطل الثورة الا ان اخرج متطلبات الظروف من عالم القوة الى عالم الفعل -حسب التعبير المنطقى- اى انما لعب دور ممثل كان كل من المنصة ونوعية التمثيل مقررا مهياء له من قبل . اما هذا الرجل فهو فرد فريد بين

صناعى التاريخ ومحدثى الثورات فى الدنيا، قديما او حديثا.أوجد اسباب الثورة وخمرها حيث لم تكن لها اسباب ، واعد المواد الابتدائية لها حيث لم تكن لها مواد. وأنشا روح الثورة والاستعداد فى أناس لم يكن فيهم روح لها ولا استعداد. وهكذا أعدهم على غرار ما كان يريده من الغايات. واذاب شخصيته العظيمة وصاغها فى قالب آلاف مؤلفة من الناس وصنع منهم ما شاء ان يصنع . هو الذى أعد أسباب الثورة بقوة ارادته وعين صورتها ونوعها. ثم غير مجرى الاحوال بعلو همته ومضاء عزيمته الى جهة اراد ان يوجهها اليها.

فقل لى بربك، أنى تجد صانعا للتاريخ هذا شائنه ومحدثا للثورة هذه مكانتة ؟؟ هذا وتعالوا نتفكر الآن : باى وسيلة تفجر هذا القدر من العلم والنور ورباطة الجأش وجاذبية الشمائل ونفوذ الكلمة، وهذا القدر من الكفاءات والكمالات والمواهب الفذة دفعة واحدة فى رجل أمى يرعى الغنم أو يحترف التجارة فى ناحية من أرض منحطة مظلمة كجزيرة العرب قبل أربعة عشر قرنا ؟ تقولون ان كل ذلك ما كان الا مما اختلقه هو نفسه، ونبع من ذهنه وافكاره واقول انه لو كان الامر كذلك لكان على هذا الرجل ان يدعى الألوهية ولو انه ادعاها لما ابت الدنيا ان تصدقه فى قوله وتؤيده فى دعواه. اذا كانت هذه الدنيا هى التى اتخذت امثال (رام)و(كرشنا) و(بوذا) الهة لها وادعت ان المسيح ابن الله وعبدت حتى النار والماء والهواء وما الى ذلك .ولكن انظرو واسمعوا ما يقول هذا الرجل عن نفسه بنفسه: انه لا يفتخر بما جاء به ولا يريد الثناء لنفسه على ما جاء به من جلائل الاعمال وانما ينسب كل ما يعمل الى الله الذى اكرمه به، يقول بصراحة: ما انا الا بشر مثلكم، وكل ما عندى ليس من نفسى. وانما هو لله ومن الله وحده. وما هذا الكلام الذى أتلوه عليكم وقد عجز عنه مصاقع خطبائكم وفحول شعرائكم بكلامى ومن بنات أفكارى .وانما نزل على كل حرف منه من عند الله تعالى، فلايستحق الحمد والثناء الا الله وحده. وهذه القوانين التى أتيت بها لحياتكم، وهذه الآداب التى علمتها إياكم، لست انا الذى اختلقت منها شيء من تلقاء نفسى ولا أقدر عليه، وانا فقير الى الله تعالى ورحمته وفضله فى كل شأن من شئون

حياتى، ولا اقول ولا اعمل الا ما اتلقاه من عنده سبحانه وتعالى. واقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله.

انظروا الى مبلغ هذا الرجل من الصدق والأمانة والتقوى. الكذاب دائما ينسب الى نفسه محاسن غيره ليجعل من نفسه رجلاً عظيماً مع أنه يعرف مصدرها بكل سهولة، اما هذا الرجل، فلا ينسب الى نفسه محاسن لو نسبها الى نفسه لما استطاع بشر ان يكذبه، لأنه لا يعرف مصدرها الحقيقى بتاتا. فأى دليل اقوى من ذلك على صدق هذا الرجل؟ ينال فى نفسه كمالات منقطعة النظير والمثال وبوسيلة خافية، ثم يقول للناس بدون تلكؤ وتحرج ما هو مصدرها.

قولو بالله ما لنا – بعد كل هذا- أن لا نصدقه فى ما يقول؟ وما لنا أن لا نشهد إقرارا باللسان وتصديقا بالجنان وعملا بالأركان :لا اله الا الله محمد رسول الله. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد نبى الهدى وسيد الأنبياء وخاتمهم[٨].

"لم يسجل التاريخ أن رجلاً واحداً ، سوى محمد ، كان صاحب رسالة وباني أمة ، ومؤسس دولة ... هذه الثلاثة التي قام بها محمد ، كانت وحدة متلاحمة ، وكان الدين هو القوة التي توحدها على مدى التاريخ"[٩](يقول الفيلسوف الفرنسي فولتير : "لقد قام الرسول بأعظم دور يمكن لإنســـــان أن يقوم به على الأرض ... إن أقل ما يقال عن محمد أنه قـــــــد جاء بكتاب وجاهد ، والإسلام لم يتغير قط ، أما أنتم ورجال دينكم فقد غيرتم دينكم عشرين مرة"[١٠].

ميلاد عصر جديد فى تاريخ الدنيا

(١) هذه المقالة تحت عنوان " الثبوت العقلى للرسالة المحمدية" عام ١٩٣٧ ويتضمنها الآن كتاب تفهيمات الجزء الأول وكذلك كتاب فى محكمة العقل تحت عنوان الرسالة المحمدية (للعلامة أبو اللأعلى المودودي **بتصرف يسير جداً**

(٢) المؤرخ فيليب حتّي ، عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي (٨ / ٢١٤) .

(٣) نقلاً عن (غوته والعالم العربي)كاتارينا مومزن (١٨١ و ٣٥٥).

(٤) على حسون فلسفة اقبال

يقول الأستاذ على حسون فى دراسته لفلسفة اقبال[١] "ان محمد صلى الله عليــه وســلم وبعثته يشكلان نقطة التحول العظمى فى تاريخ البشرية وبداية عصر جديد اكتشــف فيــه الأنسان لأول مرة أنه يملك حياه داخلية يستطيع الأنتفاع بها فى تشكيل حياته الخارجية فى العائلة والدولة ونفسه يستطيع ان يسعى بها لتحقيق الوحدة العليا من المثال والواقع هــذه الوحدة التى أخفق الدين المسيحى من السعى اليها فى تصورات بعيدة بعيدة عن الواقع مــن هذه النقطة فى تاريخ العالم تأسس العلم الحديث وما تفكير اوربا العلمى الا نتــاج ترجمــة كتب المسلمين وما علم الغرب الا من ثمرات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم [٢]

قالوا عنه صلى الله عليه وسلم

هيا أعرنى آذان قلبك وعيون فكرك وعقلك لنستعرض باقة من أقوال بعضا من بــنى قومك ممن عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم قبلك .

شــاعر الألمـــــان غــوته

"انظر إلى ينبوع الجبل يتدفق صافياً كشعاع دري فوق السحب .. أرضعت ملائكة الخــير طفولته في مهده .. ساحباً في أثره أخواتٍ من العيون كأنما هو مرشدها الأمين ..
وأما في البوادي فالرياحين تنبثق عند قدميه ، والمــروح تحيــا مــن أنفاســــه لا يثنيــه الوادي الظليل ، ولا الرياحين التي تطوّق ساقيه ، وتحاول أن تستهويه بلحاظها الفواتن ..
وها هو العُباب زاخراً يندفع لا يثنيه ثانٍ مخلفاً وراءه المنارات والصروح ذلك هو (محمد بن عبد الله)"[٣]. ونمضى مع **الشاعر غوته** حيث يقول : "يسوع كان طاهر الشــعور ولم يؤمن إلا بالله الواحد الأحد ، ومن جعل منه إلهاً فقد أساء إليه ، وهكذا فإن الحق هو مــا نادى به محمد"[٤] . ويتساءل غوته متعجباً : "تريدين أن تُقدمي إلي هذه الصــورة البائســة

(١) لمزيد من التفصيل راجع الفصل السادس من هذا البحث حول حاجة العالم الى رسالته صلى الله عليه وسلم
(٢) (نشيد محمد) غوته ، عن (تذكار جيتي) لعباس العقاد ص (٢١٠) .
(٤) قصيدة (هذه الأسماط من اللآلئ) غوته ، نقلاً عن (غوته والعالم العربي) كاتارينا مومزن ص (٢٥٥) .

للمصلوب على الخشب على أنه الله ؟![١].. إذا كان للرب كفواً أحدٌ أيكون بعدها رباً؟"[٢]

و في ديوانه الرائع (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) يخاطب **شاعر الألمان غوتـــه** ، أســـتاذه الروحي الشاعر حافظ شيرازي فيقول : "أي حافظ ! إن أغانيك لتبعث الســـكون وإنـــني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة ، لتحملنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمـــد بن عبد الله "[٣].ويقول غوته : "إننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا ، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد[٤]... ، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي محمد ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمـــد الـــذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد"[٥]

محمد أسد (ليوبولد فايس)

كان ليوبولد فايس رجل التساؤل والبحث عن الحقيقة ، وكان يشعر بالأســـى والدهشة لظاهرة الفجوة الكبيرة بين واقع المسلمين المتخلف وبين حقائق دينهم المشعة ، وفي يوم راح يحاور بعض المسلمين منافحاً عن الإسلام ، ومحمّلاً المسلمين تبعة تخلفهـــم عن الشهود الحضاري ، لأنهم تخلّفوا عن الإسلام ففاجأه أحد المسلمين الطيبـــين بهـــذا التعليق "فأنت مسلم ، ولكنك لا تدري !" .

فضحك قائلاً : "لست مسلماً ، ولكنني شاهدت في الإسلام من الجمـــال مـــا يجعلني أغضب عندما أرى أتباعه يضيّعونه" .ولكن هذه الكلمة هزت أعماقه ، ووضعته أمام نفسه التي يهرب منها ، وظلت تلاحقه من بعد حتى أثبت القدر صدق قائلها الطيب

---

[١] نفسه ص (٢٥٧) .

[٢] عن (الشرق والمغرب في أدب غوته) عبد الرحمن صدقي ص (٢٩) .

[٦] **الديوان الشرقي للشاعر الغربي) غوته ص(٣١) ويعتبر هذا الديوان أهم وصاياه للأجيال**

(١) (آفاق جديدة للدعوة) العلامة أنور الجندي (٨١) .

(٢) (شمس الله تسطع على الغرب) زيغريدهونكه (٤٦٥) .

[٣] (الإسلام على مفترق الطرق) محمد أسد ص(١٢)

، حين نطق (محمد أسد) بالشهادتين[١]. لقد جاء إسلام محمد أسد رداً حاسمـــاً علـــى اليأس والضياع ، وإعلاناً مقنعاً على قدرة الإسلام على استقطاب الحائرين الذين يبحثون عن الحقيقة وعن المصير ... يقول الدكتور عبد الوهاب عزام : "إنه استجابةُ نفس طيبة لمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، وإعجابُ قلب كبير بالفطرة السليمة ، وإدراك عقـــل منير للحق والخير والجمال" . ويقول :"جاءني الإسلام متسللاً كالنور إلى قلبي المظلـــم ، ولكن ليبقى فيه إلى الأبد والذي جذبني إلى الإسلام هو ذلك البناء العظـــيم المتكامـــل المتناسق الذي لا يمكن وصفه ، فالإسلام بناء تام الصنعة ، وكل أجزائه قد صيغت ليُـــتمَّ بعضها بعضاً... ولايزال الإسلام بالرغم من جميع العقبات التي خلّفها تأخر المســـلمين أعظم قوة ناهضة بالهمم عرفها البشر ، لذلك تجمّعت رغباتي حول مســـألة بعثـــه مـــن جديد"إن الرجل الذي أُرسل رحمة للعالمين ، إذا أبينا عليه هُداه ، فإن هذا لا يعني شـــيئاً أقل من أننا نأبى رحمة الله !"(٢).

الشاعر الفرنسي الشهير (لا مارتين)

ويقول الشاعر الفرنسي الشهير (**لا مارتين**) : "أعظم حدث في حياتي هو أنني درســـت حياة رسول الله محمد دراسة واعية ، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود، ومن ذا الـــذي يجرؤ على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد ؟! ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه ، عند النظر إلى جميع المقاييس التي تُقاس بها عظمة الإنسان؟! إن سلوكه عند النصر وطموحه الذي كان مكرساً لتبليغ الرسالة وصلواته الطويلة وحواره السماوي هذه كلها تدل علـــى إيمان كامل مكّنه من إرساء أركان العقيدة . إن الرسول والخطيب والمشرع والفاتح ومصلح العقائد الذي أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور هو محمد ، لقـــد هـــدم الرســـول المعتقدات التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق"[٣].

---

[٢] (الإسلام على مفترق الطرق) محمد أسد ص(١٠٢-١٠٣) .
(٢) (السفر إلى الشرق) ص(٢٧٧) .

باقة اخرى من أقوال من عرف محمد صلى الله عليه وسلم من غير العرب ولكنهم استنارت عقولهم بنوره صلى الله عليه وسلم فنطقت اقلامهم ومنهم من كان حرا من قيد التبعية والتقليد فوصل النور الى شغاف قلوبهم فاعلنوا للدنيا اسلامهم لله رب العالمين.

ديورانت: محمد أعظم عظماء التاريخ[١]

".. يبدو أن أحدًا لم يعن بتعليم -محمد صلى الله عليه وسلم- القراءة والكتابة.. ولم يعرف عنه أنه كتب شيئًا بنفسه.. ولكن هذا لم يحل بينه وبين قدرته على تعرف شؤون الناس تعرفًا قلّما يصل إليه أرقى الناس تعليمًا"."كان النبي -صلى الله عليه وسلم- من مهرة القواد.. ولكنه كان إلى هذا سياسيًا محنكًا، يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم"..".. لسنا نجد في التاريخ كله مصلحًا فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد -صلى الله عليه وسلم- لإعانة الفقراء.""تدل الأحاديث النبوية على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يحث على طلب العلم ويعجب به، فهو من هذه الناحية يختلف عن معظم المصلحين الدينيين.[٢] ويذكر أيضا فى موسوعته الشهيرة قصة الحضارة حيث يقرر"إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلّ أن نجد إنسانًا غيره حقق ما كان يحلم به.. ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه.. وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة. وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية،

(٣) العالم الكبير ويل ديورانت صاحب الكتاب المشهور عن "تاريخ الحضارة" في أحد عشر جزءا
(١) عن كتاب: أبطال من التاريخ مختصر قصة الحضارة

ودين بلاده القديم، دينًا سهلاً واضحًا قويًا، وصرحًا خلقيًا قوامه البسالة والعزة. واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم[١]"

دُرّاني: محمد رجل فوق التصور[٢]

أستطيع أن أقول بكل قوة إنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره". ".. وأخيرا أخذت أدرس حياة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم، وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة التي لم تنجب رجلاً عظيمًا واحدًا يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفًا من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد. "..

هذا هو نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– إذ كان آية في صفاته النادرة ونموذجًا كاملاً للفضيلة والخير، ورمزًا للصدق والإخلاص.. إن حياته وأفكاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته. فأي إنسان يدرس دون تحيّز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقًا رسول من عند الله، وأن القرآن

(٢) المؤرخ ول ديورانت فى موسوعته (قصة الحضارة) المجلد الحادى عشر

(٣) الدكتور م. ج. دُرّاني Dr. M. H. Durrani سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيًا في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث جاءه الإسلام "كما يأتي فصل الربيع"، فعاد إلى دين آبائه وأجداده.

الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقًا. وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابدّ أن يصل إلى هذا الحكم.[١]

الكاتبة البريطانية إيفلين كوبلد[٢]

. تقول :"يصعب عليَّ تحديد الوقت الذي سطعت فيه حقيقة الإسلام أمامي فارتضيته ديناً ، ويغلب على ظني أني مسلمة منذ نشأتي الأولى ، فالإسلام دين الطبيعة الذي يتقبله المرء فيما لو تُرك لنفسه"[(٣)] ."لما دخلت المسجد النبوي تولّتني رعدة عظيمة ، وخلعت نعلي ، ثم أخذت لنفسي مكاناً قصّياً صليت فيه صلاة الفجر ، وأنا غارقة في عالم هو أقرب إلى الأحلام ... رحمتك اللهم ، أي إنسان بعثت به أمة كاملة ، وأرسلت على يديه ألوان الخير إلى الإنسانية !"[(٤)].

روجيه دوبا سكويه[٥].

يقول في كتابه اظهار الاسلام : "تقتضي شهادة أن ((لا إله إلا الله)) الامتثال الضروري والتسليم لمشيئته عز وجل، ثم تأتي الخطوة الثانية ((محمد رسول الله)) فتُقرّر أنه لتحقيق الامتثال والتسليم لله ، لا توجد وسائل أفضل من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد عاش الرسول وأنجز مهمته بالاعتبار الكامل للدنيا والآخرة ، وأعطى المثل الأعلى في إمكانية تحقيق الحالة الإنسانية على الأرض بدون إغفال — ولو للحظة — البعد الروحي ، وأقام الاتزان الرائع الذي يميز المسلم والذي يسمح له بالتمتع بالحياة الدنيا ، دون أن ينسى أننا كلنا راجعون إلى

(١) من كتاب رجال ونساء أسلموا
(٢) شاعرة وكاتبة ، من كتبها (البحث عن الله) و(الأخلاق)
(٣) عن (الإسلام) للدكتور أحمد شلبي ص (٢٩٧) .
(٤) عن (آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في الغرب) أنور الجندي (٣٦٠) .
(٣) كاتب وصحفي سويسري ، اعتنق الإسلام مع زوجته الهولندية ، من أهم كتبه (تحدي العصر) و(إظهار الإسلام) ،

الله عز وجل وماثلون أمامه .. ويساعد الإسلام المرء على العيش بدون أن يفقد نفسه ، إذ يجمع طمأنينة الروح مع التوافق في العلاقات البشرية مع تحقيق الغاية العظمى التي خلقنا الله لها"[١] .

نظمي لوقا: محمد رجل فوق كل الشبهات[٢].

".. ما كان محمد (صلى الله عليه وسلم) كآحاد الناس في خلاله ومزاياه، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل عليهم السلام، وهمة البطل، فكان حقًّا على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيّي فيه الرجل. "لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية.. وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضًا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشرًا كسائر البشر، وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء. ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواترًا مكررًا في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر {**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**} [الكهف: ١١٠]، وفي تخير كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال. بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى: {**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ**} [الشورى: ٤٨]، وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه (صلى الله عليه وسلم) إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كُلِّف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها.

---

[١] (إظهار الإسلام) روجيه دوبا سكويه ص(٥٦) .

(٥) د. نظمي لوقا Dr. N. Luka مسيحي من مصر. يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبيًا، فإنه كثيرًا ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة الرسول عليه السلام. بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ألف عددًا من الكتب أبرزها (محمد الرسالة والرسول)، و(محمد في حياته الخاصة).

"ماذا بقي من مزعم لزاعم؟ إيمان امتحنه البلاء طويلاً قبل أن يفاء عليه بالنصر وما كان النصر متوقعًا أو شبه متوقع لذلك الداعي إلى الله في عاصمة الأوثان والأزلام.. ونزاهة ترتفع فوق المنافع، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة، وسماحة لا يداخلها زهو أو استطالة بسلطان مطاع. لم يفد. ولم يورث اهله، ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها. وحرم على نفسه ما أحلّ لآحاد الناس من أتباعه، وألغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس في الجاهلية حتى جعل العبدان والأحابيش سواسية وملوك قريش. لم يمكن لنفسه ولا لذويه. وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة غير مدفوعة، فسوّى ذلك كله بالأرض. أي قامة بعد هذا تنهض على قدمين لتطاول هذا المجد الشاهق أو تدافع هذا الصدق الصادق؟ لا خيرة في الأمر، ما نطق هذا الرسول عن الهوى.. وما ضلّ وما غوى.. وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين. (وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين) " أي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من (أبي القاسم) (صلى الله عليه وسلم) الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السموّ والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو أهله او عشيرته شيئًا مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام. "كان محمد (صلى الله عليه وسلم) يملك حيويته ولا تملكه حيويته. ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه. فهي قوة له تحسب في مزاياه، وليست ضعفًا يُعَدّ في نقائصه. لم يكن (صلى الله عليه وسلم) معطل النوازع، ولكنها لم تكن نوازع تعصف به؛ لأنه يسخرها في كيانه في المستوى الذي يكرم به الإنسان حين يطلب ما هو جميل وجليل في الصورة الجميلة الجليلة التي لا تهدر من قدره، بل تضاعف من تساميه وعفته وطهره. وبيان ذلك في أمر بنائه بزوجاته التسع [رضي الله عنهن]..

توماس كارليل: محمد الرحمة والحنان[1]

".. هل رأيتم قط.. أن رجلاً كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا عجبًا.. إنه لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب! فهو إذًا لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن. وإني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلباته.. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيّلوه حقًا.. ومحنة أن ينخدع الناس شعوبًا وأممًا بهذه الأضاليل".. إن محمداً – صلى الله عليه وسلم– لم يتلق دروسًا على أستاذ أبدًا وكانت صناعة الخط حديثة العهد آنذاك في بلاد العرب، ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمداً – صلى الله عليه وسلم– لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهده بعينيه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية.. إنه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه في ظلمات صحراء العرب، ولم يضره.. إنه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها لأنه كان بنفسه غنيًا عن كل ذلك. ولم يقتبس محمد – صلى الله عليه وسلم– من نور أي إنسان آخر ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك في جميع أشباهه من الأنبياء والعظماء – أولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور– من كان بين محمد – صلى الله عليه وسلم– وبينه أدنى صلة وإنما نشأ وعاش وحده في أحشاء الصحراء.. بين الطبيعة وبين أفكاره..."لوحظ على محمد –صلى الله عليه وسلم– منذ صباه أنه كان شابًا مفكراً وقد سماه رفقاؤه الأمين –رجل الصدق والوفاء– الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره. وقد

(١) توماس كارلايل (١٧٩٥ – ١٨٨١) Th. Carlyle الكاتب الإنجليزي المعروف. من كتابه: (الأبطال) (١٩٤٠)، وقد عقد فيه فصلاً رائعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم

لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة. وإني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت من لب.. وقد رأيناه طول حياته رجلا راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريمًا برًّا رؤوفا تقيًا فاضلاً حرًا، رجلاً شديد الجد مخلصًا، وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة، جم البشر والطلاقة حميد العشرة حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق.. وكان ذكي اللب، شهم الفؤاد.. عظيمًا بفطرته، لم تثقفه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غني عن ذلك.. فأدى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء.

ونمضى مع الأحرار من رق التبعية للغير، نمضى مع شهادة الحق والخير ولنتوقف مع

ريسلر: محمد أعظم رجال التاريخ قاطبة[٢]

القرآن يكمله الحديث الذي يعد سلسلة من الأقوال تتعلق بأعمال النبي – صلى الله عليه وسلم– وإرشاداته. وفي الحديث يجد المرء ما كان يدور بخلد النبي – صلى الله عليه وسلم–، العنصر الأساسي من سلوكه أمام الحقائق المتغيرة في الحياة، هذه الأقوال، أو هذه الأحاديث التي يشكل مجموعها السُّنَة التي دونت مما روي عن الصحابة –رضي الله عنهم– أو نقل عنهم مع التمحيص الشديد في اختيارها وهكذا جمع عدد كبير من الأحاديث.. والسنة هي المبينة للقرآن التي لا غنى عنها للقرآن..."... كان لزامًا على محمد – صلى الله عليه وسلم– أن يبرز في أقصر وقت ممكن تفوق الشعب العربي عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية. وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل

(١) البروفيسور/ جاك ريسلر الأستاذ في معهد باريس للدراسات الإسلامية، والحاصل على جائزة الأكاديمية الفرنسية، تقديرا لكتابه "الحضارة العربية" بوصفه دراسة أساسية لمعرفة الإسلام.

لحياة إنسانية فإنه يجب أن نعترف أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان.

ولز: من أشعل ذلك القبس ؟[٣]

".. هل تراك علمت قط أن رجلاً على غير كريم السجايا يستطيع أن يتخذك صديقًا؟ ذلك أن من عرفوا محمدًا - صلى الله عليه وسلم- أكثر من غيرهم، كانوا أشد الناس إيمانًا به. وقد آمنت به خديجة -رضي الله عنها- كل حياته على أنها ربما كانت زوجة محبة. فأبو بكر -رضي الله عنه- شاهد أفضل وهو لم يتردد قط في إخلاصه. كان يؤمن بالنبي- صلى الله عليه وسلم- ،وكذلك علي -رضي الله عنه- فإنه خاطر بحياته من أجل النبي - صلى الله عليه وسلم- في أحلك أيامه سوادًا..."حج محمد - صلى الله عليه وسلم- حجة الوداع من المدينة إلى مكة، قبل وفاته بعام، وعند ذاك ألقى على شعبه موعظة عظيمة.. إن أول فقرة فيها تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب ومن ثارات ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها الزنجي المؤمن عدلاً للخليفة.. إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها.

"لقد منح العرب العالم ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم، أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي فهو محمد صلى الله عليه وسلم. قبل ان نمضى مع أقوال من عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم، ماذا انت قائل أيها

(١) هربرت جورج ولز (١٨٦٦ – ١٩٤٦) H. G. Wells الكاتب والأديب البريطاني المعروف. حصل على بكالوريوس العلوم سنة ١٨٨٨، تولى التدريس بضع سنين ثم انصرف للتأليف. اشتهر بقصصه الذي يعتمد الخيال العلمي من مثل "آلة الزمن" و"الرجل الخفي"، فضلاً عن رواياته النفسية والاجتماعية مثل "مكيافيللي الجديد" و"الزواج". ولم يغفل ولز البحث في التاريخ فأنجز عام ١٩٢٠ "معالم تاريخ الإنسانية" الذي نقلنا منه

القارىء ؟ فلتترك لعقلك الفرصة ولتبعد عنه وساوس التبعية وتقليد الغير ولتكن حرا فى قرارك.

هنري دي: كيف كان يفكر هذا الرجل؟![1]

"إن أشد ما نتطلع إليه بالنظر على الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية علَّني أجد في هذا البحث دليلاً جديدًا على صدقه وأمانته المتفق تقريبًا عليها بين جميع مؤرخي الديانات وأكبر المتشيعين للدين المسيحي. "ثبت إذن أن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) لم يقرأ كتابًا مقدسًا و لم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه..".. ولقد نعلم أن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) مرّ بمتاعب كثيرة وقاسى آلامًا نفسية كبرى قبل أن يخبر برسالته، فقد خلقه الله ذا نفس تمحّضت للدين ومن أجل ذلك احتاج إلى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الأوثان ومذهب تعدد الآلهة الذي ابتدعه المسيحيون، وكان بغضهما متمكنًا من قلبه وكان وجود هذين المذهبين أشبه بإبرة في جسمه (صلى الله عليه وسلم). ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيّل وقوة الإدراك.. إلا أن يقول مرارًا ويعيد تكرارًا هذه الكلمات (الله أحد.. الله أحد). كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدنا عن فكرة التوحيد..". ".. لو رجعنا إلى ما وضحه الحكماء عن النبوة و لم يقبل المتكلمون من المسيحيين لأمكننا الوقوف على حالة مشيد دعائم الإسلام وجزمنا بأنه لم يكن من المبتدعين.. ومن الصعب أن تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل -عليه السلام-.. إلا أن معرفة هذه الحقيقة لا تغير موضوع المسألة؛ لأن الصدق حاصل في كل حال."لا يمكن أن ننكر على محمد (صلى الله عليه وسلم) في الدور الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاص صدقه، فأما الإيمان فلن يتزعزع

(١) هنري دي فاستري في كتابه: الإسلام: خواطر وسوانح

مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني -الدور المدني- وما أُوتيه من نصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغًا لا محل للزيادة فيه.. وما كان يميل إلى الزخارف و لم يكن شحيحًا.. وكان قنوعًا خرج من الدنيا و لم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته.. تجرد من الطمع وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب، ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها، فلم يكن له حاشية و لم يتخذ وزيراً ولا حشمًا، وقد احتقر المال..".

مونته: هذا الرجل مدهش بكل المقاييس[٥].

إن طبيعة محمد (صلى الله عليه وسلم) الدينية تدهش كل باحث مدقّق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص. فقد كان محمد مصلحًا دينيًّا ذا عقيدة راسخة، و لم يقم إلا بعد أن تأمل كثيرًا وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الإنسانية في الدين. وهو في قتاله الشركَ والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه كان في بلاد العرب أشبه بنبي من أنبياء بني إسرائيل الذين نراهم كباراً جدًّا في تاريخ قومهم. ولقد جهل كثير من الناس محمداً (صلى الله عليه وسلم) وبخسوه حقه؛ وذلك لأنه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها.."كان محمد (صلى الله عليه وسلم) كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله.".. ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل محمد صلى الله عليه وسلم وإن ما قام به من إصلاح أخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية.[٦]

(١) مونتـه (١٨٥٦ – ١٩٢٧) Montet أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، من كتبه (محمد والقرآن)، وترجمة جيدة للقرآن، و(حاضر الإسلام ومستقبله).
(٢) عن كتاب محمد والقرآن، ص ١٨ (عن ستودارد: حاضر العالم الإسلامي ١ / ٣٢).

درمنغم: محمد لم يعرف الراحة ولا السكون![٧].

".. إذا كانت كل نفس بشرية تنطوي على عبرة وإذا كان كل موجود يشتمل على عظة فما أعظم ما تثيره فينا من الأثر الخاص العميق المحرك الخصيب حياة رجل يؤمن برسالته فريق كبير من بني الإنسان!"..".

".. الحق أن النبي – صلى الله عليه وسلم- لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحي إليه في غار حراء، فقضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت لإعداد ما يقلب الدنيا، فقد نبتت في رمال الحجاز الجدبة حبة سوف تجدد، عما قليل، بلاد العرب وتمتد أغصانها إلى بلاد الهند والمحيط الأطلنطي. وليس لدينا ما نعرف به أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم- أبصر، حين أفاض من جبل عرفات، وأبصَر مستقبل أمته وانتشار دينه، وأنه أحس ببصيرته أن العرب الذين ألّف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وأفريقية وإسبانية[٨].[٩]

دينيه: محمد شخصية خارقة للعادة[١٠].

"إن الشخصية التي حملها محمد – صلى الله عليه وسلم- بين برديه كانت خارقة للعادة وكانت ذات أثر عظيم جدًا حتى إنها طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع وأعطاها صفة الشيء الجديد."إن نبي الإسلام هو الوحيد من بين أصحاب

(١) إميل درمنغم E.Dermenghem مستشرق فرنسي، عمل مديرا لمكتبة الجزائر، من آثاره: "حياة محمد"، و"باريس ١٩٢٩"، وهو من أدق ما صنفه مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، و"محمد والسنة الإسلامية"، "باريس ١٩٥٥".

(٣) عن كتابه حياة محمد لـــ د/ درمنغم ، وقد ترجمهالأستاذ الفلسطيني محمد عادلزُعَيْتِر

(٤) فلتعلم د/درمنغم انه صلى الله عليه وسلم حملهم فى هذا اليوم أمانة توصيل هذا الدين الى العالم كله فقاموا بها وتقاعسنا (الباحث)

(٥) إيتين دينيه (١٨٦١-١٩٢٩) Et.Dient تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (١٩٢٧)، وحج إلى بيت الله الحرام (١٩٢٨).ومن آثاره: صنف معاوية سليمان بن إبراهيم، و"محمد في السيرة النبوية"، وله بالفرنسية "حياة العرب"، و"حياة الصحراء"، و"الشرق في نظر الغرب"، و"الحج إلى بيت الله الحرام"، و"أشعة خاصة بنور الإسلام".

الديانات الذي لم يعتمد في إتمام رسالته على المعجزات وليست عمدته الكبرى إلا بلاغة التنزيل الحكيم..."".. إن سنة الرسول الغراء – صلى الله عليه وسلم- باقية إلى يومنا هذا، يجلوها أعظم إخلاص ديني تفيض به نفوس –مئات الملايين- من أتباع سنته منتشرين على سطح الكرة. "كان النبي – صلى الله عليه وسلم- يعنى بنفسه عناية تامة، إلى حد أن عرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال، وكان ينظر نفسه في المرآة.. ليتمشط أو ليسوي طيات عمامته.. وهو في كل ذلك يريد من حسن منظره البشري أن يروق الخالق سبحانه وتعالى..."."لقد دعا عيسى –عليه السلام- إلى المساواة والأخوة، أما محمد –صلى الله عليه وسلم- فوفق إلى تحقيق المساواة والأخوة بين المؤمنين أثناء حياته"

إن حدود هذا السفر لن تسمح لنا بأن نقدم لك جميع التفاصيل وجميع النواحي لحياة حافلة بالعظائم إلى هذا الحد كما هو الشأن في حياة النبي محمد نبي المسلمين صلى الله عليه وسلم.

الحق أننا نرى من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات، أن محمدا –صلى الله عليه وسلم- هو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية، معتمدا فقط على بداهة رسالته ووضوحها، وعلى بلاغة القرآن الإلهية، وإن في استغناء محمد – صلى الله عليه وسلم- عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الإطلاق.[١١]

أحقاً لم يلاحظوا أن هذا الكتاب الإلهي خال من أية خطة سابقة على وجوده، مرسومة على نسق المناهج الإنسانية، وأن كل سورة من سوره منفصلة عن غيرها وخاصة بحادثة وقعت بعد الرسالة طيلة فترة تزيد على عشرين عاما، وأنه من المستحيل على محمد –صلى الله عليه وسلم- أن يتوقع ذلك ويتنبأ له[١٢]...

(١) فمع بداهة رسالته صلى الله عليه وسلم ووضوحها أمده الله بالمعجزات المادية ايضا رسيأتى تفصيلها
(٢) عن كتاب أشعة خاصة بنور الإسلام

سيديو: حان الوقت لأن تتوجه الأنظار لمحمد[١٣]

"لقد حلّ الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسية فارتقت إلى أعلى مقام فطبق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون. ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد (صلى الله عليه وسلم)...

".. لم يعد محمد (صلى الله عليه وسلم) نفسه غير خاتم لأنبياء الله عليهم السلام وهو قد أعلن أن عيسى بن مريم كان ذا موهبة في الإتيان بالمعجزات، مع أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم يعط مثل هذه الموهبة، وما أكثر ما كان يعترض محتجًا على بعض ما يعزوه إليه أشد أتباعه حماسة من الأعمال الخارقة للعادة!.."..إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) أثبت خلود الروح.. وهو مبدأ من أقوم مبادئ الأخلاق. ومن مفاخر محمد (صلى الله عليه وسلم) أن أظهره قويًا أكثر مما أظهره أي مشرّع آخر.."..ما أكثر ما عرض محمد (صلى الله عليه وسلم) حياته للخطر انتصاراً لدعوته في عهده الأول بمكة، وهو لم ينفك عن القتال في واقعة أحد حتى بعد أن جرح جبينه وخده وسقطت ثنيتاه.. وهو قد أوجب النصر بصوته ومثاله في معركة حنين، ومن الحق أن عرف العالم كيف يحيي قوة إرادته ومتانة خلقه.. وبساطته، ومن يجهل أنه لم يعدل، إلى آخر عمره، عما يفرضه فقر البادية على سكانها من طراز حياة وشظف عيش؟ وهو لم ينتحل أوضاع الأمراء قط مع ما ناله من غنى وجاه عريض.. وكان (صلى الله عليه وسلم) حليمًا معتدلاً، وكان يأتي بالفقراء إلى بيته ليقاسمهم طعامه، وكان يستقبل بلطف ورفق جميع من يودّون سؤاله، فيسحر كُلَمَاءَهُ بما يعلو وجهه الرزين الزاهر من البشاشة، وكان لا يضج من طول الحديث، وكان

(١) لويس سيديو مستشرق فرنسي عكف عن نشر مؤلفات أبيه جان جاك سيديو الذي توفي عام ١٨٣٢ قبل أن تتاح له فرصة إخراج كافة أعماله في تاريخ العلوم الإسلامية. وقد عين لويسا أمينا لمدرسة اللغات الشرقية (١٨٣١) وصنف كتابا بعنوان (خلاصة تاريخ العرب

لا يتكلم إلا قليلاً فلا ينمّ ما يقول على كبرياء أو استعلاء، وكان يوحي في كل مرة باحترام القوم له.. ودلّ (صلى الله عليه وسلم) على أنه سياسي محنّك.."بدت في بلاد العرب أيام محمد (صلى الله عليه وسلم) حركة غير مألوفة من قبل، فقد خضعت لسلطان واحد قبائل العرب الغيرى على استقلالها والفخورة بحياتها الفردية، وانضم بعض هذه القبائل إلى بعض فتألفت أمة واحدة.

غوستاف لوبون: محمد أعظم من عرفهم التاريخ[١٤]

"جمع محمد -صلى الله عليه وسلم- قبل وفاته كلمة العرب، وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى.. ومما لا ريب فيه أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية ولذلك كان فضله على العرب عظيمًا.

"إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد -صلى الله عليه وسلم- من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا -صلى الله عليه وسلم- مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله.

"استطاع محمد -صلى الله عليه وسلم- أن يبدع مثلاً عاليًا قويًا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد -صلى الله عليه وسلم- على الخصوص.. ولم يتردد أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى.

".. لا شيء أصوب من جمع محمد -صلى الله عليه وسلم- لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة أيام كانت جزيرة العرب مجزأة، ما استطعنا أن نقدر قيمة

(١) كوستاف لوبون Dr.G.Lebon ولد عام ١٨٤١م، وهو طبيب، ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارة الشرقية.من آثاره: "حضارة العرب"، و"باريس ١٨٨٤"، "الحضارة المصرية"، و"حضارة العرب في الأندلس"، وهو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية

ذلك بنتائجه، فقد فتح العرب العالم في قرن واحد بعد أن كانوا قبائل من أشباه البرابرة المتحاربين قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم.

الفيلسوف الإنجليزي جورج برناردشو وآخرون

يقول: "لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً ، فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية ، وأوربة بدأت في العصر الراهن تفهم عقيدة التوحيـــد ، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك ، فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها بطريقـــة تجلب السلام والسعادة ! فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي"[١٥]." . ويقول **مايكل هارت** في كتاب (المائة الأوائل) : "كان محمد الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح في مهمته إلى أقصى حد ، سواء على المستوى الديني أم على المستوي الزمني"[١٦].أما عالم اللاهـــوت السويسري المعاصر **د. هانز كونج** والذي يعتقد أن المسيح إنسان ورسول فحسب اختاره الله ، فيقول : "محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة ، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمداً هو المرشـــد القائد على طريق النجاة"[١٧] ومما ميز حياة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم أن حياتـــه وسيرته وشمائله كلها قد حفظها لنا التاريخ ، فليس ثمة غموض في أي ناحية مـــن حياتـــه وسيرته . وقد اعترف بهذه الحقيقة كبار المؤرخين الغربيين . فالمؤرخ البريطـــاني الشـــهير (**أرنولد توينبي**) يقول : "الذين يريدون أن يدرسوا السيرة النبوية العطرة يجدون أمامهم من الأسفار مما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله الكرام"[١٨]. ويقول **الكونت كاتياني في كتابه (تاريخ الإسلام)** "أليس الرسول جديراً بأن تقدَّم للعالم ســـيرته حـــتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحـــب والســـلام؟! وإن الوثائق الحقيقية التي بين أيدينا عن رسول الإسلام ندر أن نجد مثلها ، فتاريخ عيسى ومـــا ورد في شأنه في الإنجيل لا يشفي الغليل" . **ويقول المستشرق المعروف غوستاف لوبون** : " نعرف ما فيه الكفاية عن حياة محمد ، أما حياة المسيح فمجهولة تقريباً ، وإنـــك لـــن

(١)عن (موسوعة مقدمات المناهج والعلوم) العلامةأنور الجندي (مجلد ٨ / ٢١١) .
(٢) (المائة الأوائل) مايكل هارت (٣٣) .
(٣) عن (الإسلام نهر يبحث عن مجرى) الدكتور شوقي أبو خليل (١٥) .
(٤) (مدخل تاريخي للدين) توينبي

تطمع أن تبحث عن حياته في الأناجيل"[١٩].ويلحّ ر. **ف. بودلي** على هذا المعنى فيقول : "لا نعرف إلا شذرات عن حياة المسيح، أما في سيرة محمد فنعرف الشيء الكثير ، ونجد التاريخ بدل الظلال والغموض"[٢٠] . **ويقول المستشرق هيل في كتابه (حضارة العرب)**، "لقـــد أخرج محمد للوجود أمة ، ومكن لعبادة الله في الأرض ، ووضع أسس العدالـــة والمســـاواة الاجتماعية ، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لا تعرف غير الفوضى". ويقول المستشرق الإسباني **جان ليك** في كتابه(العرب) : "لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحســـن مما وصفها الله بقوله : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) كان محمد رحمة حقيقية ، وإني أصلي عليه بلهفة وشوق"[٢١].ويقول المؤرخ **كريستوفر دارسون** في كتابه (قواعد الحركة في تاريخ العالم) : "إن الأوضاع العالمية تغيرت تغيراً مفاجئاً بفعل فرد واحد ظهر في التـــاريخ هو محمد" ويقول **العلامة شيريل** ، عميد كلية الحقوق بفيينا :"إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها"[٢٢]. ويقول الباحث الفرنسي **كليمان هوارت** : "لم يكن محمداً نبيـــاً عادياً ، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء ، لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كـــل الأنبياء الذين سبقوه مضاعفة من بني قومه ... نبي ليس عادياً من يقسم أنه "لـــو ســـرقت فاطمة ابنته لقطع يدها" ! ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلماً"[٢٣]. ونختم **بقول الشاعر الروسي الشهير (بوشكين)** : "شُقّ الصدر ، ونُزع منـــه القلب الخافق ... غسلته الملائكة ، ثم أُثبت مكانه ! قم أيها النبي وطف العالم .... وأشعل النور في قلوب الناس"[٢٤].

(٥) (حياة الحقائق) غوستاف لوبون ص(٦٢)
(١) (حياة محمد) المستشرق بودلي ص(٦) .
(٢) المستشرق الإسباني جان ليك (العرب) (٤٣) .
(٣) عن (هذا ديننا) محمد الغزالي (٢٥٤) .
(٤) عن (محمد في الآداب العالمية المنصفة) (١٤٢)
(٥) (قصائد شرقية) ألكسندر بوشكين ص(٤٥) .

الفصل الثـــــــــــاني
من دلائل صدق نبوته صلى الله عليه وسلم

ومن حكمة الله تعالى ورحمته، أنّه كلّما كان الناس إلى معرفة شيء أحوج، فإنّه – جلّ وعلا – يجعله سهلاً ميسّراً غير ذي عِوَج. فحاجة الناس الى التوحيـــد أعظم الحاجات، لذلك جعلها الله تعالى أيسر الأشياء على العقل،فان الله تعالى أخبر انه لا اله غيره، فان غيره هذا اما ان يكون قد علم وسمع قـــول الله أو لم يعلـــم او يسمع، فان علم وسمع وسكت فهو اله جبان ، وان لم يعلم او لم يسمع فهـــو الـــه جاهل نائم على أذنيه." انه لبمنتهى اليسر يدرك العقل استحالة الندية والولدية والتعددية فى حق الله تعالى، ومن يدع مع الله اله آخر لا برهان له بـــه....." وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد. وكذلك فحاجة الناس إلى معرفـــة النبـــوة، والإقرار بالرسول، فقد وضّحها المولى – جلّ وعلا – في كتابه توضيحاً أعظم مـــن أن يُشرح في هذا المقام، إذ الشرح يطول. ودلائل النبوة من الكثرة والوضوح بدرجة لا تخفى إلا على من عميت بصيرته وضل سبيله في هذه الحياة،فاذا كان بمقدور أى احد ان يميز بين الليل والنهار فكذلك يمكن التميز بين أصدق الخلق وأفضلهم صلى الله عليه وسلم وبين من هو كاذب * وسوف ندرس هنا بعضا من أخلاقه وســـيرته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته صلى الله عليه وسلم.

فيا أهل العقل والبحث.....! يا أهل الانصاف والعدل

بعد هذا العرض الموجز ندعوكم لجولة تفصيلية لنتوقف عند محطة أخلاقه صلى الله عليه وسلم و مقصود عرضنا لأخلاقه صلى الله عليه وسلم ليس فقط لمعرفة جوانب العظمة والرحمة والتسامح فى سيرته صلى الله عليه وسلم بل أيضا هى من المنهج النظري

* ولما كان الأمر بهذه السهولة واليسر كانت عقوبة من لم يأت به الخلود فى النار والعياذ بالله تعالى

لمعرفة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . من المعلوم أن مدعى الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم؛ فهما شخصان لا ثالث لهما لذلك فإن معرفة الصادق والتمييز بينه وبين الكاذب من أسهل الطرق وأيسرها لبعد ما بين الشخصين، فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم.وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، وما من نبي صادق إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز، بل إن كل شخصين ادعيا أمرا من الأمور أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب فلا بد أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة.

لذلك فإنه إذا كنتم يا أهل الغرب تدَّعون اليوم أنكم أهل المعرفة والبحث فإننا ندعوكم إلى أن تبحثوا -بكل أدوات ووسائل البحث العلمى المجرد من كل الهوى- في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل و هرقل من قبل ، هيا فلتحضروا عقولكم النيرة وبصيرتكم الثاقبة وأهم شيء ان تأتوا بقلوبكم ولكن بشرط ان تفرغوها من استكباركم عن الحق. ان من يريد الحق لذات الحق،فلا يهمه عند من يكون؟ ولا من أين يأتى؟ انه من اليسير على العقل ادراك الحق، لكن العسير على القلوب- المليئة بالكبر او الحقد او الحسد اوتقليد الآباء والأجداد – قبول هذا الحق بالرغم من اذعان وصريخ وتصريح العقل به . ولله در القائل "وليس يصح فى الأذهان شيء ** اذا احتاج النهار الى دليل" لكن رجاء من قارئى ان يكون صحيح العقل سليم القلب . "لأن أشرف ما فى الانسان عقله وقلبه .وان الإنسانية الصحيحة ترفض جمود الفكر وانسداد الأفق وترفض تعطيل الحواس عن مهمتها العظمى فى هذه الحياة ألا وهى استبانة الحقائق وإصدار الأحكام الصحيحة . إن الإسلام يرى هذا التصور ذنباً جديراً بالعقاب الأليم " **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير** "..... من سورة تبارك . وفى وصف أصحاب النار وعن سبب

عذابهم فيها (**ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون**) هود الآية ٣٠.إن التدين الحق تشغيل المواهب الرفيعة بحيث ينتفي من حياته الظن والوهم فهما اسباب الشقاء العاجل والآجل ويبقى اليقين وحده به سعادة الدنيا والاخرة .ان التقليد بلا برهان والتبعية بغير دليل لوناً من الحيوانية .وإن سيطرة الشهوات على الانسان بحيث تكون غاية الانسان ومحوراً لحياته وهدفها الأسمى إنه للحيوانية نفسها . وحرية العقل وصحته لابد ان ينضم اليها قلب سليم من الهوى فالتاريخ يؤكد ان هناك كثير من الاذكياء كانوا اشراراً . والقلب السليم المشرق يشق طريقه وسط الظلمات والاشواك وقلما يخطىء هدفه . اليس غريباً ان يعبد الانسان حجراً كان من حقه ان يجعله درج سلم يطأه بقدمه ليرقى به ،أو يعبد بقرة كان من حقه ان يذبحها ويسد بها جوعه ، لكن لماذا يفعل الانسان ذلك ؟ الظاهر ان الوثنية غطاء لاتباع المرء هواه أو هى سد يعترض التفكير السوى لتنطلق غرائز الإنسان وشهواته لتعربد به كيف تشاء والظاهر أيضا ان هذه ليست حقيقة الوثنية وحدها انما هى حقيقة كل تدين ينيم العقل ويأبى منطقه ويعطله عن مهمته العظمى ، سواء ذلك فى الالحاد أو التعديد أو الجحود أوالتجسيد "[٢٥]. "يجب ان تؤمن ويجب الا تفكر[٢٦]" فلماذا هذا الحاجز بين العقل والقلب فلندع العقل يفكر والقلب يستقبل ما يستسيغه ويتذوقه العقل،انك لا تطعم بطنك الا ما يستسيغه لسانك فلماذا تملأ قلبك بما لا يستسيغه عقلك؟؟. اعلم انى قد أطلت فى هذا التقديم ولكن عذرى ان ما سوف أسوقه لك من دلائل وآيات ،بغير العقل الصحيح والقلب السليم فكأنما نزف غيد الى عنين أو من يلقى بالورود الى من به عمىً وزَكَمْ أو من يلقى برائع القصيد على جمعٍ به صمم. فلنبدأ بذكر شهادة عاقل منكم لكن كان حال دون هدايته أنه لم يكن له القلب السليم مع العقل الصحيح.

قصة هرقل مع أبي سفيان:[٢٧]..

[٢٥] محمد الغزالى "علل وأدوية"

[٢٦] هذا القول مشهور عند غير المسلمين وهو ما رد به أحد القساوسة لمن ساله عن بعض الأشياء فى عقيدتهم مما جعل السائل يبحث حتى هداه الله اليه ذكره أحد المهتدين الى الفطرة

[٢٧] من كتاب **وليد عبد الجابر أحمد نور الله "المختصر القويم في دلائل نبوة الرسول الكريم"**

هذه القصة العظيمة رواها البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد ووردت في عدد من كتب السنة، وفيما يلي نص هذه القصة كما جاءت في صحيح البخاري، وما بين القوسين فهي زيادات وجدناها في الروايات الأخرى.روى البخاري عن عَبْدَ اللَّه بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَبَعَثَ بِكِتَابِه إِلَيْه مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ. وَكَانَ قَيْصَرُ لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ مَشَى مِنْ حِمْصَ إِلَى إِيلِيَاءَ شُكْرًا لِمَا أَبْلاهُ اللَّهُ فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم، قَالَ حِينَ قَرَأَهُ الْتَمِسُوا لِي هَا هُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِه لأَسْأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم.قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنَّه كَانَ بِالشَّأْمِ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا تِجَارًا فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَوَجَدَنَا رَسُولُ قَيْصَرَ بِبَعْضِ الشَّأْمِ فَانْطُلِقَ بِي وَبِأَصْحَابِي حَتَّى قَدِمْنَا إِيلِيَاءَ فَأُدْخِلْنَا عَلَيْه فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ مُلْكِه وَعَلَيْه التَّاجُ وَإِذَا حَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ)، وَدَعَا بِتَرْجُمَانِه[٢٨].فَقَالَ (هرقل): أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّه نَبِيٌّ؟.(قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْه نَسَبًا. قَالَ: مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَه فَقُلْتُ هُوَ ابْنُ عَمِّي؛ وَلَيْسَ فِي الرَّكْبِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي).فَقَالَ (هرقل): أَدْنُوه مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَه فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِه[٢٩] ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِه قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوه، (قَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَاللَّه لَوْلا الْحَيَاءُ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَنْ يَأْثُرَ أَصْحَابِي عَنِّي الْكَذِبَ لَكَذَبْتُه حِينَ سَأَلَنِي عَنْه وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الْكَذِبَ عَنِّي فَصَدَقْتُه). قَالَ كَيْفَ نَسَبُه فِيكُمْ؟، قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَه؟، قُلْتُ لا. قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِه مِنْ مَلِكٍ؟، قُلْتُ لا. قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَه أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟، فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟، قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً

(١) المترجم الذي ينقل من لغة إلى أخرى
(٢) هذا ذكاء من هرقل، فالهدف من جلوسهم وراء أبي سفيان لكيلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب

لدينه بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فيه؟، قُلْتُ لا.قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟، قُلْتُ لا.قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ؟، قُلْتُ لا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ[٣٠].قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟، قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟، قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ[٣١] يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟، قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ[٣٢].

فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي[٣٣] بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ.وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ[٣٤].

وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ.وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ.

---

(١) أي أنتقصه بها، على أن التنقيص هنا أمر نسبي، وذلك أن من يقطع بعدم غدره أرفع رتبة ممن يجوز وقوع ذلك منه في الجملة، وقد كان معروفا عندهم بالاستقراء من عادته أنه لا يغدر، قاله ابن حجر في فتح الباري

(٢) أي مَرَّة لنا ومَرَّة علينا

(٣) هذه الأسئلة التي سألها هرقل، تدل على ذكاؤه وحصافته وعلمه، حيث كانت صياغة الأسئلة تجبر أبا سفيان على الإجابة بطريقة محددة، إما بنعم أو بلا، أو باختيار من متعدد وهذا من شأنه أن يضيق الخناق على أبي سفيان فلا يكذب، كما أن الأسئلة ذاتها تمثل منهجًا في إثبات نبوة الأنبياء بالدلائل العقلية والنظرية والتاريخية.

(٤) أي يقتدي، وإجابة هرقل تشير إلى السر في اختيار الله عزوجل للعرب ليكون منهم خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم فلابد أن تزال كل الشبهات التي قد تحيط بدعوته وبعثته صلى الله عليه وسلم

(٥) في هذا الاستدلال على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفاته وشمائله الكريمة، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغاية في الأخلاق، ويكفى أن الله مدحه وأثني عليه فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم).

(وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا وَيُدَالُ عَلَيْكُمْ الْمَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الْأُخْرَى وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ).

وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ[١]، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ[٢] فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ[٣] إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ[٤] لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ.بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ[٥] أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ[٦] وَ{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }.قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، (فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي وَخَلَوْتُ بِهِمْ قُلْتُ لَهُمْ لَقَدْ أَمِرَ[٧] أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[٨] هَذَا مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَخَافُهُ قَالَ أَبُو

(١) إن القيم العظيمة والمبادئ السامية التي يدعو إليها الإسلام لهي دليل واضح بين على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) في هذا الاستدلال بالبشارات الواردة في الكتب السابقة، وتحوى الكتب السابقة عددًا من البشارات التي تنطبق جميعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم ما أصاب هذه الكتب من تحريف.

(٣) أصل وأتوجه

(٤) أي تكلفت الوصول إليه، وقد كان هرقل ذكيًا إلا إنه لم يكن عاقلا فطنًا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده في كتابه إليه بأنه إذا أسلم فسوف يسلم، وهب أنه مات في سبيل هذا الأمر فإنه سوف يموت شهيدًا ويا له من مقام

(٥) قال ابن حجر في فتح الباري: أي : بالكلمة الداعية إلى الإسلام ، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

(٦) جمع أريسي، وهو منسوب إلى أريس، قال ابن سيده : الأريس الأكار، أي : الفلاح.

(٧) أي عظم.

(٨) أراد به النبي صلى الله عليه وسلم لأن أبا كبشة أحد أجداده.

سُفْيَانَ وَاللَّهِ مَا زِلْتُ ذَلِيلًا مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ قَلْبِي الْإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهٌ).

وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً[1] يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ[2] وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ[3] حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ♠ فَحَاصُوا[4] حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ♥ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ"[5].

(١) كاهنا.
(٢) ورد في بعض الروايات أن اسمه كان ضغاطر وأنه كان بابا النصارى في ذلك الوقت.
(٣) لم يبرح من مكانه.
♠ هذا صوت العقل
(٤) نفروا.
(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحى رقم (٦).
♥ هذا أثر مرض القلب وحب الدنيا

تلك قصة هرقل مع أبي سفيان كما وردت في كتب الصحاح وهي توضح لنا بجلاء كيف أن هرقل كان ملكًا ذكيًا اتبع منهجًا علميًا للتأكد من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو لم يقابل الأمر بكفر وجحود وكبر مثلما فعل كسرى عظيم فارس، بل ناقش وبحث وسأل حتى يتأكد من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبني على هذه المعلومات قراره الذي لم يكن صائبًا بل خذلته شجاعته وطمعه في الرياسة والمنصب فاختار الفانية على الباقية[١]. غير أن ما يهمنا المنهج الذي اتبعه هرقل في معرفة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن هذه الأسئلة والبحث الذي قام به هرقل أفاده علما جازما بأن هذا هو النبي الذي ينتظره.

وكل عاقل سليم الفطرة إذا سمع هذه الأسئلة وأطلع على هذا البحث علم أنه من أدل الأمور على عقل السائل وخبرته واستنباطه ما يتميز به هل هو صادق أو كاذب وأنه بهذه الأمور تميز له ذلك، وقبل عرض هذا المنهج الذي اتبعه هرقل والذي ينبني على ثلاثة محاور أساسية هي:

١- النظر في شأن الرسول وسيرته.

٢- النظر في نصر الله أو خذلانه لمدعى الرسالة.

٣- النظر في منهج ومبادئ هذه الرسالة.

فهيا ننظر فى سيرة الرسول ولنرى جانبا من (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله)

يكفى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شهادة له بحسن خلقه وصف اللهُ عزوجل بذلك، قال الله في كتابه: (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**) [القلم:٤]؛

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) وهذا مما يؤيد قولنا فى هذا البحث " ان القناعة العقلية وحدها لا تكفى لتحقق الهداية -للمزيد راجع الفصل الخامس من هذا البحث

من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه ووفائه ومطابقة قوله لعمله علم علمًا يقينيًا أنه صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر ولا كاهن ولا كاذب؛ وإذا كان الناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة حتى في المدعين للصناعات والمقالات فما الشأن بمن يرسله الله عزوجل إلى البشر يبلغهم رسالته ويدعوهم إلى عبادته أليس يكون يحمل من علامات الصدق وكريم الأخلاق ما يلوح على قسمات وجهه قبل أن يظهر في أقواله وأفعاله، وهذا هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي بسببه أسلم عبد الله بن سلام الحبر اليهودي.يقول عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ[١]: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ[٢] النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ"[٣]؛ فهذا عبد الله بن سلام حبر من أحبار اليهود لم يحتج الأمر أن يعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى أن نظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف أنه ليس بوجه كذاب.

مهلا أسمع انك تقول لم أرى وجهه مثل عبد الله بن سلام فهيا بنا ننظر الى ما حفظ ووثق لنا عن شمائله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم. ولتعلم أن دلائل صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصر ونكتفي هنا بإيراد شهادات الأعداء على صدقه صلى الله عليه وسلم.

وروى الترمذي في سننه عن عَلِيٍّ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِنَّا لا نُكَذِّبُكَ وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى{ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ

(١) سنذكر قصة اسلامه تفصيلا فيما بعد
(٢) أي ذهبوا مسرعين.
(٣) رواه الترمذي (٢٤٨٥) وصححه الشيخ الألباني

بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }[الأنعام:٣٣]"[١] ، ولما قال له الأخنس بن شريق: "يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟"فقال: "ويحك والله إن محمدا صادق وما كذب محمد قط".

فهذا أبو جهل أكبر أعداء الإسلام يقر بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه، وما حمله على عداوته إلا الحسد والبغي، كما اعترف هو قائلاً: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ؛ أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا، ولا نصدقه[٢].

فهؤلاء أشراف مكة قد حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاردوه ورغم ذلك لم يستطيعوا أن ينكروا صدقه صلى الله عليه وسلم، ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاذبًا – حاشاه وكلا – ما وجد أعداؤه مطعنًا فيه أفضل من ذلك.

يقول توماس كارليل.

"..ومما يبطل دعوى القائلين أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم- لم يكن صادقًا في رسالته.. أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة – مع خديجة رضي الله عنها- لم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة.. ولم يكن إلا بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعًا وثار يريد أمرًا جليلاً وشأنًا عظيمًا".. لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير – صلى الله عليه وسلم- ابن القفار العظيم النفس، المملوء رحمة وخيرًا وحنانًا وبرًا وحكمة وحجى ونهى، أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا

(٥) سن دلائل النبوة للبيهقي. ارجع الى هامش رقم ٦٢

(١) الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في سورة الأنعام

مخلصين جادين؟ فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسيرون طبق اعتبارات باطلة. إذ ترى محمداً -صلى الله عليه وسلم- لم يرض أن يلتفع بالأكاذيب والأباطيل. لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة وبحقائق الأمور والكائنات، لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه بأهواله ومخاوفه ومباهره، ولم يكن هنالك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه، فكأنه لسان حال ذلك السر يناجيه: هاأنذا، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس، وما كلمة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة، فإذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية. وكل كلام ما عدا ذلك هباء وكل قول جفاء..."إني لأحب محمداً - صلى الله عليه وسلم- لبراءة طبعه من الرأي والتصنع. ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي لا يعول إلا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه ولم يكن متكبراً ولكنه لم يكن ذليلاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله وكما أراده، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة. وكان يعرف لنفسه قدرها.. وكان رجلاً ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد...[1] هذه شهادة **توماس كارلايل** فيه صلى الله عليه وسلم فماذا انت قائل قارئى العزيز وعقلك عقلك ولا تنظر الى من حولك فلن ينفعك غدا أحد حينما تقدم الى الله تعالى وحيداً كيف بك وقد كنت مكذباً رسله !من ينجيك من غضبه؟ عقلك عقلك الآن معك والفرصة أمامك لا تضيع نفسك فماذا كسب من كسب الدنيا كلها ولكن خسر نفسه.وماذا تخسر لو آمنت به؟إنك ان آمنت به صلى الله عليه وسلم ستربح الدنيا والأخرة.

صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهاده ودلالة ذلك على صدقه:

(١) توماس كارلايل (١٧٩٥ – ١٨٨١) Th. Carlyle الكاتب الإنجليزي المعروف. من كتابه: (الأبطال) (١٩٤٠)، وقد عقد فيه فصلاً رائعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومن دلائل صدقه صلى الله عليه وسلم صبره صلى الله عليه وسلم إن الحديث عن صـــبره عليه الصلاة والسلام، هو في حقيقة الأمر حديث عن حياته كلها، وعـــن ســـيرته بجميـــع تفاصيلها وأحداثها، فحياته صلى الله عليه وسلم كلها صبر ومصابرة، وجهاد ومجاهدة، و لم يزل عليه الصلاة والسلام في جهد دءوب، وعمل متواصل، وصبرٍ لا ينقطع، منذ أن نزلت عليه أول آية، وحتى آخر لحظة في حياته.لقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم طبيعة ما سيلقاه في هذا الطريق، منذ اللحظة الأولى لبعثته، وبعد أول لقاء بالملك، حين ذهبـــت بـــه خديجه رضى الله عنه إلى ورقة بن نوفل، فقال له ورقة: يا ليتني كنـــت حيـــاً إذ يخرجـــك قومك، فقال له عليه الصلاة والسلام: (أو مخرجي هم؟)، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي. فوطن نفسه منذ البداية على تحمل الصد والإيذاء والكيد والعداوة. ومن المواقف التي يتجلّى فيها صبره عليه الصلاة والسلام، ما تعرض له من أذى جسدي من قومه وأهله وعشيرته وهو بمكة يبلغ رسالة ربه، ومن ذلك ما جاء عند البخاري أن عروة بن الزبير سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بـــن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟.وفي يوم من الأيام كـــان عليه الصلاة والسلام يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، فقـــال بعضـــهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشـــقى القوم فجاء به، فانتظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه على ظهره بين كتفيـــه، فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ســـاجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره الأذى.وأشد من ذلك، الأذى النفســـي المتمثّل في ردّ دعوته وتكذيبه، واتهامه بأنه كاهن وشاعر ومجنون وساحر، وادعاء أن ما أتى به من آيات ما هي إلا أساطير الأولين، ومن ذلك ما قاله أبو جهل مستهزئا: اللهم إن كان

هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت: {**وَمَـــا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْـــتَغْفِرُونَ * وَمَـــا لَهُـــمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**} (الأنفال: ٣٣ – ٣٤). وروى البخـــاري في صحيحة أن امرأة من المشركين جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك؛ لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا. فأنزل الله عز وجل: {**وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**} (الضحى: ١ – ٣)، وكان أبو لهب يتْبَع النبي صلى الله عليه وسلم في مجامع الناس وأسواقهم، ويكذّبه، بينما كانت امرأته أم جميل تجمع الحطب والشوك وتلقيه في طريقه.وقد حدَّث صلى الله عليه وسلم عن موقف من مواقف الأسى والكرب، حين يبلغ بالإنسان الحد أن ينسى نفسه وهو في غيبوبة الهـــم والحزن، وذلك بعد أن ضاقت عليه مكة فخرج إلى الطائف يطلب النصـــرة... فقـــد روى البخاري ومسلم أن عائشه رضى الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقالـــت: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكـــان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كـــلال فلـــم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالـــب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فـــيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد فقال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحـــده لا يشرك به شيئا).ويبلغ الأذى قمته فيُحاصر صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، وتهجم عليه الأحزان المتوالية، فيفقد زوجته خديجة التي كانت خير ناصر ومعين بعد الله عز وجل، ثم يفاجأ بموت عمه الذي كان يحوطه ويدافع عنه، ويضاعف حزنه أنه مات على الكفر، ثم يخرج من بلده مهاجراً بعد عدة محاولات لقتله واغتياله، وفي المدينـــة يبـــدأ

عهداً جديداً من الصبر والتضحية،، وحياة فيها الكثير من الجهد والشدة، حتى جاع وافتقر، وربط على بطنه الحجر... يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (قد أُخفت في الله وما يخـــاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يُؤذى أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومـــالي ول بلال طعامٌ يأكله ذو كبد، إلا شيء يواريه إبط بلال) رواه الترمذي.وما بـــدر واحـــد والاحزاب وتبوك وحنين وغيرها من غزواته وسراياه التي بلغت مائة غـــزوة وســـرية، إلا صفحات مضيئة من صبره وجهاده صلى الله عليه وسلم، ولم يكن يخرج مـــن غـــزوة إلا ويدخل في أخرى، حتى شُجَّ وجهه الشريف، وكسرت رباعيته، واتهم في عرضه، ولحقـــه الأذى من المنافقين وجهلة الأعراب.بل روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة، فقال رجل من الأنصار: والله ما أراد محمد بهذا وجه الله، قال ابن مسعود: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فتمعر وجهه وقال: (رحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر). ومن المواطن التي صبر فيها النبي صلى الله عليه وسلم، أيّام موت أولاده وبناته، حيث كان له من الذرية سبعةٌ، تـــوالى موتهم واحداً تلو الآخر حتى لم يبق منهم إلا فاطمة رضي الله عنها، فمـــا وهـــن ولا لان، ولكن صبر صبراً جميلاً، حتى أُثر عنه يوم موت ولده إبراهيم قوله: (إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون). بل لا ننسى ذكر صبره صلى الله عليه وسلم على وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها ثم عمه ابو طالب ولم يكـــن صبر النبي صلى الله عليه وسلم مقتصراً على الأذى والابتلاء، بل شمل صبره على طاعـــة الله سبحانه وتعالى حيث أمره ربّه بذلك في قوله: {**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**} (الأحقاف: ٣٥)، وقوله: {**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**} (طه: ١٣٢)، فكان يجتهد في العبادة والطاعة حتى تتفطّر قدماه من طول القيام، ويكثر من الصيام والذكر وغيرها من العبادات، وإذا وكان شعاره في ذلك: أفلا أكون عبدا شكورا ؟لقد كانت وقـــائع ســـيرته

صلى الله عليه وسلم مدرسة للصابرين، يستلهمون منها حلاوة الصبر، وبرد اليقين، ولـــذة الابتلاء في سبيل الله تعالى.

ثم فلنتفكـــــر....مع دراني

وقل لى بالله عليك! بل اسمع الى قول دكتور دراني[1] "هل لرجل كذاب ان يقاسى مثل هذه الالام والشدائد لاجل شيء لا اساس له من الصحة والواقع؟ وهل لرجل دأبه التخريص والقاء الكلام على عواهنه ان يقول شيئا على وجه الخرص و التخمين ثم يعض عليه بالنواجذ، ويأبى ان يتزحزح عنه ولو قيد شعرة ، دون ان يبالى ما كان يثار عليه من المحن والاهوال ، وتضيق عليه الارض الى ان يظلم على وجهه المستقبل ويقوم له قومه بالمرصاد ، ويتآمرون على قتله ، ويؤلبون عليه الدنيا ، ويهجمون عليه فى مأمنه ؟ ان هذا الثبات وهذه الاستقامة والعزيمة المنقطعة المثال لهى اكبر دليل واصدق برهان على انه كان كامل الايقان بصدق دعوته وسداد موقفه . وانه لو كان فى قلبه ادنى ذرة من الشك فى صدق دعوته لما استطاع بحال ان يصمد فى وجه اعاصير الاهوال طيلة احدى وعشرين سنة بصفة متصلة .

تحمل – صلى الله عليه وسلم– ثلاثة عشر عامًا كاملة من المتاعب في مكة دون انقطاع، وثماني سنوات[2] في المدينة دون توقف، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامدًا، رابط الجأش، صلبًا في أهدافه وموقفه. عرض عليه قومه أن ينصبوه ملكًا عليهم وأن يضعوا عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته. فرفض هذه الإغراءات كلها فاختار بدلاً من ذلك أن يعاني من أجل دعوته. لماذا؟ لماذا لم يكترث أبدًا للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء؟ لا بد أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه.

(١) للمزيد عن الدكتور دراني راجع هامش رقم ٣ ص ٢٣ من هذا البحث و٢ ص ٥٤
(١) الثابت انها عشر سنوات

"هل بوسع المرء أن يتصور مثالاً للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالآخرين أسمى من هذا المثال حيث نجد رجلاً يقضي على سعادته الشخصية لصالح الآخرين، بينما يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبذل أقصى جهده في سبيل ذلك يقومون برميه بالحجارة والإساءة إليه ونفيه وعدم إتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، وأنه رغم كل ذلك يرفض أن يكف عن السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟؟!! هل يستطيع أي انسان غير مخلص.. أن يبدي هذا الثبات والتصميم على مبدئه والتمسك به حتى آخر رمق دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التي يمكن تصورها وقد قامت عليه البلاد بأكملها وحملت السلاح ضده؟.!!!"إن هذا الإيمان وهذا السعي الحثيث وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد -صلى الله عليه وسلم- حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته. إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبدًا أن يصمد أمام العاصفة التي استمرّ أوارها أكثر من عشرين عامًا كاملة[١]. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسمو في النفس كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقًا[٢]. ((هذا قول دُرّاني فماذا انت قائل أيها القارىء العاقل ؟ وعقلك عقلك لتسعد نفسك ولترقى بروحك الى ما أراد الله لك !))

٣- كرمه وجوده وشجاعته صلى الله عليه وسلم:

(١) ثلاث وعشرون سنة

(٢) الدكتور م. ج. دُرّاني Dr. M. H. Durrani سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيًا في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث جاءه الإسلام "كما يأتي فصل الربيع"، فعاد إلى دين آبائه وأجداده

ومن حسن أخلاقه صلى الله عليه وسلم، والتي لا تكون إلا لنبي اصطفاه الله عزوجل، سخاؤه وكرمه فهو إن لم يكن يملك المال ما كان ليرد سائله بشيء يكرهه أو يجيبه إجابة تحرجه، روى الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لا[1].وقد تواترت الأخبار بجوده صلى الله عليه وسلم، وكرمه، فما بخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا ولا منع أحدًا سأله شيئًا قط روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ فَقَالَ أَنَسٌ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلا الدُّنْيَا فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)[2].

وروى عن عليٍّ رضى الله عنه قال : كنا إذا احمَرَّ البأسُ[3] ولقي القوم، اتَّقَيْنا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فما يكونُ أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منه[4]. وقال علي رضى الله عنه أيضًا: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا[5].قال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأسُ، نَتَّقِي به، وإن الشجاعَ منا للَّذي يحاذي به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم"[6].((فوالله ان ابعد شيئا عن الكذاب الشجاعة والشجاع لا يكذب ان ما عنده من الشجاعة يصونه عن الوقوع فى الكذب أليس هذا هو حكم المنطق الصحيح والعقل السليم أم الى ماذا نحتكم؟))

حيائه صلى الله عليه وسلم:

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل.
(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله شيئًا فقال لا قط.
(٥) احمرار البأس كناية عن شدة الحرب.
(٦) رواه أبو الشيخ ص ٥٣ واللفظ له ، والنسائي في الكبرى (انظر تحفة الأشراف ٣٥٧/٧).
(١) مسند الإمام أحمد (٨٦/١)، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب
(٢) رواه مسلم في المغازي ، باب غزوة حنين.

ومن روؤس الأخلاق التي اتصف بها سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، ودعا المسلمين إلى الالتزام بها، خلق الحياء، الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ[١].وقد حاز منه رسول الله صلى الله عليه وسلم الغاية العليا روى البخاري في صحيحه عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ [٢]. غير أن حيائه صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعه من قول الحق والغضب له إلا إنه لم يكن يواجه أحداً بما يكره، لهذا وصفه الصحابة بأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا كره شيئًا عُرف في وجهه إشارة إلى أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهيته لذلك. صلى الله عليه وسلم.

زهده وتواضعه صلى الله عليه وسلم:.

ومن عظيم أخلاقه صلى الله عليه وسلم التي تؤكد نبوته وبعثته للبشر أجمعين، زهده في هذه الدنيا مثله في ذلك مثل كافة الأنبياء الذين سبقوه، فلم تتشوف نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا يومًا من الأيام بل كان دعاؤه صلى الله عليه وسلم (اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٣]وبلغ من زهده صلى الله عليه وسلم أنه كانت تمر عليه وعلى أهل بيته الهلالين والثلاثة ولا يوقد في بيوته صلى الله عليه وسلم نارًا أي أنهم لم يكونوا يطبخون اللحم لشهرين متواصلين، روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ لعروة بن الزبير: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ قَالَ قُلْتُ يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ قَالَتْ الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنْ الْأَنْصَارِ وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ

(٣) رواه ابن ماجة في سننه كتاب الزهد باب الحياء.
(٤) رواه البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم
(٥) رواه الترمذي في سننه كتاب الزهد باب ما جاء في أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ[١].بل إن الخبز نفسه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشبع منه، روى البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ[٢] فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ وَقَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ[٣].

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت : ما شبِعَ آلُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم منذُ قدِمَ المدينةَ من طعامِ البرِّ ثلاثَ ليالٍ تباعاً حتى قُبِضَ [٤]. وعن عمروِ بنِ الحارثِ ختنِ[٥] رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أخي جويريةَ بنتِ الحارثِ قال: ما تركَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عندَ موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً ، إلا بغلتَه البيضاءَ وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة[٦].وروى مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَجِدُ مِنْ الدَّقَلِ[٧] مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ[٨]. كان يبلغ به صلى الله عليه وسلم الجوع أنه يخرج في الليل يبحث عن طعام من شدة الجوع، روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: خرجَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذاتَ يومٍ أو ليلةٍ فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: "ما أخرَجَكما من بيوتِكما هذه الساعة "؟ قالا : الجوعُ يا رسولَ الله، قال : "وأنا والذي نفسي بيده لأَخْرَجَنِي الذي أخرَجَكُما"، قوموا، فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصارِ، فإذا هو ليسَ في بيته، فلما رأتْه المرأةُ، قالت: مرحباً وأهلاً فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "أين فلانٌ"، قالت: ذهبَ يَسْتَعْذِبُ[٩] لنا من الماءِ، إذ جاءَ الأنصاريُّ فنَظَرَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وصاحِبَيه، ثم قال:

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق.
(٢) مشوية.
(٣) رواه البخاري كتاب الأطعمة باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون.
(٤) أخرجه البخاري في الأطعمة ، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون.
(٥) الختن هو قريب الزوجة، وجويرية بنت الحارث رضى الله عنها هي أم المؤمنين وإحدى زوجات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم
(٦) أخرجه البخاري في الوصايا ، باب الوصايا.
(٧) أردأ التمر.
(٨) رواه مسلم كتاب الزهد والرقائق.
(١) أي يبحث عن ماء عذب.

الحمدُ لله، ما أحدٌ اليومَ أكرمَ أضيافاً مني، قال: فانطَلَقَ فجاءهم بعذقٍ فيه بُسرٌ وتمرٌ ورُطَبٌ، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المديةَ[1]، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إياك والحلوبَ" فذَبَحَ لهم، فأكلوا من الشاةِ، ومن ذلك العذقِ وشربوا، فلما أن شبعوا ورَوُوا، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: "والذي نفسي بيده لتُسأَلُنَّ عن هذا النعيمِ يومَ القيامةِ، أخرجكم من بيوتِكم الجوعُ ثم لم ترجعوا، حتى أصابكم هذا النعيمُ"[2].

وفي هذا الحديث ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكبار أصحابه – رضي الله عنهم – من التقلل من الدنيا، وما ابتلوا به من الجوع وضيق العيش في أوقات.

وكان زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة في الآخرة الباقية ونفوراً من الدنيا الفانية، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يتقلب في اليسار والقلة حتى توفي صلى الله عليه وسلم، فتارة يوسر، وتارة ينفد ما عنده لإخراجه في طاعة الله من وجوه البر، وإيثار المحتاجين، وضيافة الطارقين، وتجهيز السرايا، وغير ذلك، وهكذا كان خلق صاحبيه – رضي الله عنهما – بل أكثر أصحابه رضي الله عنهم اجمعين. وروى البخاري في صحيحه عن عقبةَ قال: صلَّيتُ وراءَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بالمدينةِ العصرَ فسلَّمَ، ثم قام مسرعاً، فتخطّى رقابَ الناسِ إلى بعضِ حُجَرِ نسائه، ففزِع الناسُ من سُرْعَته، فخرَج عليهم فرأى أنهم عجِبوا من سرعته فقال:"ذكرتُ شيئاً من تِبْرٍ[3] عندَنا، فكرِهْتُ أن يحبِسَني[4]، فأَمَرْتُ بقِسْمَته"[5]. كان من تواضعه وزهده فى حطام الدنيا وكسره لنفسه أنه على ما نال من الملك العظيم كان لايعيش الا عيشة الفقراء والمساكين . وكان من دعائه : (اللهم احينى مسكينا وأمتنى مسكينا وأحشرنى مع زمرة المساكين) . وكان ينام على الحصير ،ويكتسى

(٢) السكين.
(٣) أخرجه مسلم في الأطعمة ، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تحققاً تاماً واستحباب الاجتماع على الطعام.
٤- الذهب.
(١) أي يشغله صلى الله عليه وسلم التفكر فيه عن التوجه والإقبال على الله تعالى.
(٢) رواه البخاري في الصلاة ، باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم.

الخشن ، ويسكن كوخا سقفه من سعف النخل ، ويطعم القديد ، بل تمر عليه أيام لايطعم فيها شيئاً ، ويتجافى جنباه عن المضجع بالليل ، ليقوم لعبادة ربه ، ويطيل فيها القيام ، حتى تتورم قدماه ، ولا يربأ بنفسه عن أن يعمل كما يعمل الاجير العادى ، وما نشأت فيه آخر أيامه غطرسة الملوك ولا عنجهية الأمراء ولاتبختر العظماء . فكان يختلط بالناس ويعاشرهم كأنه مثلهم وواحد منهم، ويشاطرهم كل ما يترل بهم من ألآلام والمصائب ، ويجالس عامتهم حتى ليتعذر على الاجنبى إذا دخل عليهم أن يعرف من منهم سيد القوم وملك البلاد . وهو عندما فارق الدنيا لم يترك لأهله شيئاً يرثونه عنه ، وجعل كل ماكان فى ملكه صدقة على أمته ، ولم يقم لنفسه ولا لأهل بيته أدنى حق على أتباعه ، بل حرم على أهله أن يأخذوا شيئاً من الصدقة ، خشية أن يجعل أتباعه بعد مرور الايام كل صدقاتهم على آله.كان النبي صلى الله عليه وسلم القمة في التواضع فكان يرقّع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ورغم انشغاله كان يجيب دعوة الجارية الصغيرة ويسير معها في طرقات المدينة لا يتحرج من ذلك، يقول أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: إِنْ كَانَتْ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ[١].

".وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضى الله عنه قال: "مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي قَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى"[٢]. ونرى كيف أنه لم يكن من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يتخذ بوابا مع قدرته على ذلك تواضعا، وكان من شأنه أنه لا يستتبع الناس وراءه إذا مشى كما جرت عادة الملوك والأكابر، فلذلك اشتبه على المرأة فلم تعرفه مع ما كانت فيه من شاغل الوجد والبكاء.

(٣) البخاري كتاب الأدب باب الكبر.
(٤) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب زيارة القبور.

وعن أنس رضى الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسولَ الله، يا خيرَنا وابنَ خيرِنا، وسيدَنا وابنَ سيدنا، فقال: "يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يسْتَهْوِيَنَّكم الشيطانُ، أنا محمدٌ عبدُ الله ورسوله ما أحبُّ أن ترفعوني فوقَ مترلتي التي أنزلني الله عزوجل"[١].

وعن أسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهما: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ركِبَ على حمارٍ على إكافٍ عليه قطيفة، وأردفَ أسامةَ وراءه[٢].

ويقول نظمي لوقا ".. رجل فرد هو لسان السماء. فوقه الله لا سواه. ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين. ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبر. بل يشفق، بل يفرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعيه. ولو أن هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما أنعم من الهداية على الناس وما تم له من العزة والأيادي، وما استقام له من السلطان، اعتد بذلك كله واعتزّ، لما كان عليه جناح من أحد؛ لأنه إنما يعتد بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة. يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله. ويخرج على جماعة من أصحابه فينهضون تعظيمًا له، فينهاهم عن ذلك قائلاً: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا.[٣] ويتحدث إميل درمنغم عن تواضعه صلى الله عليه وسلم فيقول"ولد لمحمد -صلى الله عليه وسلم- من مارية القبطية ابنه إبراهيم فمات طفلاً، فحزن عليه كثيرًا ولحده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس فقال المسلمون: إنها انكسفت لموته، ولكن محمدًا - صلى الله عليه وسلم- كان من سمو

(١) أخرجه أحمد (١٥٣/٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٩)، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه: إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في الجهاد ، باب الردف على الحمار.
(٣) د. نظمي لوقا Dr. N. Luka مسيحي من مصر. يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبيًا، فإنه كثيرًا ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة الرسول عليه السلام. بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ألف عددًا من الكتب أبرزها (محمد الرسالة والرسول)، و(محمد في حياته الخاصة).

النفس ما رأى به رد ذلك فقال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد..." فقول مثل هذا مما لا يصدر عن كاذب دجال".. تجلت بهذه الرحلة الباهرة "حجة الوداع" ما وصلت إليه من العظمة والسؤدد رسالة ذلك النبي الذي أنهكه اضطهاد عشر سنين وحروب عشر سنين أخرى بلا انقطاع، وهو النبي الذي جعل من مختلف القبائل المتقاتلة على الدوام أمة واحدة.وإن محمداً – صلى الله عليه وسلم– الذي خلق للقيادة لم يطالب معاصريه بغير ما يفرض عليهم من الطاعة لرجل يبلغهم رسالات الله، فهو بذلك واسطة بين الله رب العالمين والناس أجمعين.. وكان ينهى عن عده ملكا.. ولقد نال السلطان والثراء والمجد، ولكنه لم يغتر بشيء من هذا كله فكان يفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم، ومما كان يمضه عجز كثير من الناس عن إدراك كنه رسالته.[١]

رفقه ولينه صلى الله عليه وسلم:

الرفق هو: لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف، ولقد وصف الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: ١٥٩].

وقد سارت الركبان بأخبار رفقه ولينه صلى الله عليه وسلم، يحكى معاوية بن الحكم فيقول: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ

(١) إميل درمنغم E.Dermenghem مستشرق فرنسي، عمل مديرا لمكتبة الجزائر، من آثاره: "حياة محمد"، و"باريس ١٩٢٩"، وهو من أدق ما صنفه مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، و"محمد والسنة الإسلامية"، "باريس ١٩٥٥".

مَا كَهَرَنِي[١] وَلا ضَرَبَنِي وَلا شَتَمَنِي قَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ القرآن.ومن أعجب المواقف الدالة على عظيم ما حبا اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم بالرفق واللين ما رواه مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَهْ مَهْ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لا تُزْرِمُوهُ[٢] دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ[٣] عَلَيْهِ[٤]. وعن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: "ما خُيِّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينَ أمرَيْنِ إلا أَخَذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتَقَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تُنْتَهَكُ حرمةُ الله فينتقمُ لله بها "[٥].وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الغضب ممن يطيلون في الصلاة وخلفهم الضعيف والكبير، عن أبي مسعودٍ الأنصاري قال: قال رجل: يا رسولَ الله، لا أكادُ أدركُ الصلاةَ مما يطول بنا فلان، فما رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في موعظةٍ أشدَّ غضباً من يومئذ، فقال: "يا أيها الناس إنكم مُنَفِّرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريضَ، والضعيفَ، وذا الحاجة"[٦].

(١) انتهرني.
(٢) تقطعوا عليه بوله.
(٣) أي صبه.
(٤) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، ورواه البخاري في الوضوء، باب ترك النبي والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد.
(٥) رواه البخاري في المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم في الفضائل ، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام.
(٦) أخرجه البخاري في العلم ، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا ما رأى ما يكره.

وفاؤه صلى الله عليه وسلم:.

أما وفاؤه صلى الله عليه وسلم فقد كثرت الأخبار في هذا الأمر منذ ولادته وحتى وفاته، روى أبو داود عن عَبْد اللَّه بْن أَبي الْحَمْسَاء قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانه فَنَسِيتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاث فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانه فَقَالَ يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلاث أَنْتَظِرُكَ[١]، فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب إلى المكان المتفق عليه في الموعد ثلاث مرات متوالية حتى يأتيه الرجل وما ذلك إلا لصدق وعده وحسن وفائه صلى الله عليه وسلم لا لقبض ثمنه، وإذا كان ذلك حاله قبل البعثة فإن حاله بعد الإسلام أعظم وأكبر كيف لا وقد عد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يف بوعده من المتلبسين بعلامات النفاق، روى البخاري عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: قَالَ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ[٢].ومن وفائه صلى الله عليه وسلم وفاؤه لزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، تقول أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ [٣].أما وفاؤه صلى الله عليه وسلم مع أعدائه فكان ذلك من عظيم أخلاقه رغم ما واجهه من اضطهاد وتعذيب، ولقد رأينا كيف أن هرقل عظيم الروم سأل أبا سفيان بن حرب ولم يكن أسلم يؤمئذ سأله إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغدر فكانت إجابة أبي سفيان الصريحة: لا.وهذا صحابي يتخلف عن غزوة بدر لا لشيء إلا وفاءًا بالعهد، يقول حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا

(١) رواه أبو داود كتاب الأدب باب "في العدة".
(٢) رواه البخاري كتاب الإيمان باب علامة المنافق.
(٣) رواه البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي خديجة وفضلها رضي الله عنها.

وَأَبِي حُسَيْلٌ، فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: (انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ)[١].

رحمته صلى الله عليه وسلم:

وصف الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: تمت الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الأمم قبل. تذكر كتب السير انه تم حصار النبى صلى الله عليه وسلم وقومه مدة ثلاث سنوات حتى اضطر هو وقومه لأكل أوراق الشجر ومرت الأيام وها هو امامة بن اثال يسلم الى الله تعال ويمنع الميرة عن أهل مكة حتى الم بهم جوعا شديدا فناشد اهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم ان يأمر امامة بن اثال ان يرسل لهم الميرة. فها هى فرصة الانتقام والثأر لكن بابى هو وامى لم يجوعهم كما أجاعوه وأهله وأصحابه.

شفقته على الأطفال صلى الله عليه وسلم[٢].

أما شفقته على أطفاله فكان أمراً مختلفاً تماماً، فكثيراً ما ذهب إلى الأسرة التي ترضع ابنه إبراهيم، حيث يأخذه في حجره طويلاً، ويقبله ويعطف عليه[٣].

وعندما رأى الأقرع بن حابس التميمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما ويأخذهما في حضنه، قال: "إن لي عشرة من الولد، ما

(١) روام مسلم كتاب الجهاد والسير باب الوفاء بالعهد.
(٢) مقال مأخوذ من كتاب: "مفخرة الإنسانية: النور الخالد". لـ محمد فتح الله كولن من أشهر الدعاة في تركيا وواحد من أبرز المنظّرين للفكر الدعوي بها. ولد في ٢٧ نيسان عام ١٩٤١ في قرية صغيرة تابعة لقضاء (حسن قلعة) المرتبطة بمحافظة أرضروم، وهي قرية كوروجك ونشأ في عائلة متدينة، وكان والده (رامز أفندي) شخصاً مشهوداً لـه بالعلم والأدب والدين
(٣) المسند، للإمام أحمد ١١٢/٣

قبَّلتُ منهم أحداً"، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "من لا يَرْحم لا يُرحم" [١]. وفي حديث آخر: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"[٢]. وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبّلون الصبيان؟ فما نقبّلهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أوَ أملك لك إن نَزَع الله من قلبك الرحمة"[٣]. كان إذا رأى طفلاً أو صبيًّا يبكي جلس وبكى معه؛ إذ يشعر في وجدانه ألم الأم وعذابها. ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه نجد نموذج هذه الرحمة، وهذه الشفقة التي لهجت بها الألسن؛ إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وَجْد أمه به".[٤] كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلة، ولا سيما النوافل منها؛ إذ كانت تتجاوز طاقة الصحابة، ولكنه عندما يقف للصلاة يريد إطالتها ويسمع بكاء طفل في أثنائها؛ إذ به يخفف صلاته ويتَجوَّز فيها؛ ذلك لأن النساء كن يقفن للصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يشتركن في أداء صلاة الجماعة خلفه، فخوفاً من أن تكون أم ذلك الطفل موجودة بين المصليات فإنه كان يخفف صلاته، ويسرع بها لكي يريح قلب تلك الأم.

كان في كل مسألة نموذجًا للشفقة؛ فبكاء طفل كان يؤلمه، بل كان يبكيه. ولكن المهم هو أنه بكل شفقته الواسعة الباهرة، ورحمته كان متوازنًا، فمثلاً رحمته الواسعة هذه لم تكن حائلة أمامه في تطبيق الحدود الشرعية؛ مهما كان شكل هذه الحدود وكيفيتها.

رحمة بالحيوانات.. أيضاً[٥].

(١) البخاري، الأدب، ١٨؛ مسلم، الفضائل، ٦٥
(٢) الترمذي، البر، ١٦؛ أبو داود، الأدب، ٥٨
(٣) البخاري، الأدب، ١٨؛ مسلم، الفضائل، ٦٤؛ ابن ماجه، الأدب، ٣؛ "المسند" للإمام أحمد ٥٦/٦
(٤) [البخاري، الأذان، ٦٥؛ مسلم، الصلاة، ١٩٢
(٥) مصدر رقم ٢ الصفحة السابقة

كانت شفقته تشمل الحيوانات أيضاً، فقد مرّ سابقاً كيف أن امرأة دخلت النار بسبب هرة، وكيف أن بغياً دخلت الجنة بسبب سقيها الماء لكلب ظامئ. وهنا أنقل لكم حادثة أخرى بهذا الخصوص كخاتمة للموضوع:

عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته. فرأينا حُمَّرَة معها فرخان، فأخذْنا فرخيْها، فجاءت الحُمَّرَة فجعلت تَفْرُش، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "من فَجَع هذه بولدها؟ رُدُّوا ولدها إليها"[١]. أجل، لقد كانت شفقته تحتضن الحيوانات أيضًا. ثم ألا نتذكر أن الله تعالى عاتب أحد أنبيائه السابقين بسبب بيت نمل؟ إذ قام هذا النبي عن قصد أم عن دون قصد بحرق بيت نمل، فما لبث أن جاءه تأنيب من الله تعالى[٢].

ونبينا الذي نقل لنا هذه الحادثة وأمثالها من الحوادث الأخرى أيمكن أن يتصرف إلا هكذا..؟ وظهر فيما بعد في أمته أشخاص عندما يُمدحون يقال عنهم: إنه لا يؤذي حتى نملة. هؤلاء الأشخاص كانوا يعلقون أجراساً صغيرة على أقدامهم لكي تبتعد الحشرات عن طريقهم عند سماعها لصوت الأجراس، ولا تنسحق تحت الأقدام... يا إلهي..! ما هذه الشفقة العميقة والشاملة!! وما هذا الأنموذج الرائع للرحمة..!. أجل، حتى النمل لم تخرج عن دائرة رحمته صلى الله عليه وسلم ولم تستثنَ منها. وهل يكون في مقدور إنسان يتحرج عن سحق نملة القيام بظلم الناس الآخرين؟ كلا، لا يستطيع هذا عن علم وعن قصد أبداً. عندما كان صلى الله عليه وسلم في "مِنًى" خرجت حية من بين بعض الصخور، فأسرع بعض الصحابة لقتلها، غير أنها استطاعت أن تنسلّ بين شقوق الصخور، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يراقب المنظر عن بُعد: "وقاها الله شرّكم،

(١) أبو داود، الأدب، ١٦٤، الجهاد، ١١٢؛ "المسند" للإمام أحمد ٤٠٤/١
(٢) البخاري، الجهاد، ١٥٣؛ مسلم، السلام، ١٤٨

ووقاكم شرّها"[١]. فالرسول كان يرى فيما هم به الصحابة شراً، والمقتول وإن كان حية إلا أن لها مكانًا أيضاً في نظام هذه الدنيا. فأي قتل غير ضروري سيضر بالتوازن البيئي، ويؤدي إلى أضرار لا يمكن تلافيها. والحقيقة أن إعلان الحرب على الحشرات باسم الزراعة والمحافظة عليها، يُعَدّ جريمة بالنسبة للتوازن البيئي، والغريب أن هذه الجرائم ترتكب اليوم باسم العلم. يروي عبد الله بن جعفر رضي الله عنه: جاء بعير يشتد حتى سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قام بين يديه، فذرفت عيناه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صاحب هذا البعير؟" قالوا: فلان. فقال "ادعوه، فأتوا به"، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "يشكوك" فقال: يا رسول الله، هذا البعير كنا نسنو[٢] عليه منذ عشرين سنة، ثم أردنا نحره. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شكا ذلك، بئسما جازيتموه، استعملتموه عشرين سنة حتى إذا أرق عظمه، ورق جلده أردتم نحره بعينه" قال: بل هو لك يا رسول الله. فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه نحو الظهر، أي الإبل[٣]. لقد كانت رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشفقته تتجاوز بكثير الرحمة المدعاة من قبل ما يطلق عليهم اليوم اسم "أنصار الإنسانية"، ولكنه استطاع أن يصون رحمته الواسعة من الإفراط ومن التفريط أيضاً، بفضل فطنته الكبيرة. أجل، لم يتهاون أبداً مع أي شر أو إثم تحت اسم المرونة أو الرحمة أو المسامحة، ولم يدعْ له فرصة لوضع بنيانه ومد جذوره؛ لأنه كان يعرف جيداً أن أي مسامحة لمجرم أثيم ذي روح متوحش تعني الاعتداء على حقوق آلاف من الأبرياء.

ونعترف بكل أسى أن أيامنا الحالية مملوءة بمثل هذه الاعتداءات أكثر من أي عهد مضى. فقد رأينا بأم أعيننا إلى أي حال جرّنا هذا التسامح مع الفوضويين ومع أعداء عقائدنا وتراثنا وماضينا. ولا نزال نرى ذلك ونشاهده، وقلوبنا تتفطر ألـــماً.

(٣) البخاري، جزاء الصيد، ٧؛ مسلم، السلام، ١٣٧؛ النسائي، الحج، ١١٤؛ "المسند" للإمام أحمد ٣٨٥/١
(١) نحمل
(٢) مجمع الزوائد، للهيثمي ٩/٩؛ "الخصائص الكبرى" للسيوطي ٩٥/٢

فإن لم تستخدم الرحمة والشفقة بشكل متوازن أدى ذلك إلى نتائج وخيمة جداً في مستوى الفرد، وفي مستوى المجتمع ككل. بينما لا يمكن الإشارة إلى أي مثال على هذا الاستعمال السلبي للرحمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أجل، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الناس إلى درجة يكاد يتلف فيها نفسه، والقرآن الكريم يشير إلى هذا الأمر في بعض المواضع؛ إذ يقول: {**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً**} (الكهف: ٦). هذا علماً بأنه عندما اقتربت منه نسائم النبوة كان معتكفاً في مغارة، وجاءه الوحي لأول مرة هناك. إذن، فقد كان يحب الناس، ونذر نفسه من أجل هذه الغاية.

حلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه عن من أساء له:

ومن الأخلاق التي كانت سببًا في إسلام حبر يهودي، حلمه صلى الله عليه وسلم، وعفوه عن من أساء له، روى الطبراني عن عَبْد اللَّه بن سَلامٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بن سَعْنَةَ، قَالَ زَيْدُ بن سَعْنَةَ: مَا مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إلا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ وَلا تَزِيدُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إلا حِلْمًا، فَكُنْتُ أَلْطُفُ لَهُ لأَنْ أُخَالِطَهُ، فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ. قَالَ زَيْدُ بن سَعْنَةَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا مِنَ الْحُجُرَاتِ وَمَعَهُ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بِصُرَى قَرْيَةَ بَنِي فُلانٍ قَدْ أَسْلَمُوا، وَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ[1] وَشِدَّةٌ وَقُحُوطٌ مِنَ الْغَيْثِ، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الإِسْلامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ، فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ أُرَاهُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ.

(١) قحط وجفاف.

قَالَ زَيْدُ بن سَعْنَةَ: فَدَنَوْتُ إِلَيْه، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبيعَني تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِط[1] بني فُلانٍ إِلَى أَجْلٍ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ : لا يَا يَهُودِيُّ، وَلَكِنِّي أَبيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجْلٍ كَذَا وَكَذَا، وَلا تُسَمِّي حَائِطَ بني فُلانٍ، قُلْتُ : بَلَى، فَبَايَعَني فَأَطْلَقْتُ هِمْيَاني، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجْلٍ كَذَا وَكَذَا، فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ، فَقَالَ : : اغْدُ عَلَيْهِمْ فَأَعْنهُمْ بِهَا.

فَقَالَ زَيْدُ بن سَعْنَةَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاث، أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِه وَرِدَائِه، وَنَظَرْتُ إِلَيْه بِوَجْهٍ غَلِيظ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّه مَا عَلِمْتُكُمْ بني عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمَطْلٌ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ، وَإِذَا عَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِه، فَقَالَ: يَا عَدُوَّ اللَّه أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم مَا أَسْمَعُ، وَتَصْنَعُ بِه مَا أَرَى، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ، وَرَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ، ثُمَّ قَالَ : يَا عُمَرُ، أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ، اذْهَبْ بِه يَا عُمَرُ وَأَعْطِه حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ مَكَانَ مَا رَوَّعْتَهُ.قَالَ زَيْدٌ : فَذَهَبَ بِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَأَعْطَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ : مَا هَذِه الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رَوَّعْتُكَ، قُلْتُ : وَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ ؟، قَالَ : لا ، مَنْ أَنْتَ ؟، قُلْتُ : أَنَا زَيْدُ بن سَعْنَةَ، قَالَ : الْحَبْرُ، قُلْتُ : الْحَبْرُ ، قَالَ : فَمَا دَعَاكَ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم مَا فَعَلْتَ وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ؟.قُلْتُ : يَا عُمَرُ، لَمْ تَكُنْ مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْه إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ الْجَهْلُ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا، فَقَدْ أُخْبِرْتُهُمَا،

(٢) البستان أو الحديقة وحوله جدار.

فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي وَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالا صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لا تَسَعُهُمْ، قُلْتُ : أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وسلم، وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً[١]. ولعل في هذا الحديث غنية عن إيراد أمثلة أخرى عن حلم النبي العدنان صلى الله عليه وسلم.

لطف معاملته وحسن معاشرته للآخرين صلى الله عليه وسلم:

ومن جماع محاسن أخلاقه صلى الله عليه وسلم لطف معاملته وحسن عشرته للآخرين، وقد ورد في هذا آثار كثيرة وأخبار متفرقة تدل على طيب عشرته صلى الله عليه وسلم، روى الترمذي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْزِعُ وَلا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ[٢].عند أبي داود عن أَنَسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَجُلا الْتَقَمَ[٣] أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ وَمَا رَأَيْتُ رَجُلا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ[٤].وأورد الترمذي في الشمائل المحمدية عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ عَلَى أَشَرِّ الْقَوْمِ، يَتَأَلَّفُهُمْ بِذَلِكَ، فَكَانَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ عَلَيَّ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي خَيْرُ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا خَيْرٌ، أَوْ أَبُو بَكْرٍ ؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا خَيْرٌ أَمْ عُمَرُ ؟ فَقَالَ: عُمَرُ ، فَقُلْتُ: يَا

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٢/٥) والحاكم في المستدرك (٧٠٠/٣) وقال صحيح الإسناد غير أن الذهبي قال في تعليقه (ما أنكره وأركه"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٠/٨): رواه الطبراني ورجاله ثقات، وقال ابن حجر في الإصابة (٥٦٦/١): رجال الإسناد موثقون وله شاهد من وجه آخر .
(٢) رواه الترمذي في سننه رقم (٢٤٩٠).
(٣) أي: وضع فمه على أذنه صلى الله عليه وسلم للتناجي.
(٤) سنن أبي داود (٤٧٩٤) وحسنه الشيخ الألباني.

رَسُولَ اللهِ، أَنَا خَيْرٌ أَمْ عُثْمَانُ؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ، فَلَمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَصَدَقَنِي، فَلَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ[١]. ومن أجمع ما ورد في ذلك ما رواه البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا[٢].

هذا هو نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعه برودة المياه من قبوله من صبي أو فتاة صغيرة في السن لا لشيء حتى يدخل السرورَ على قلوبهم ولا يواجههم بما يكرهون، وما كان صلى الله عليه وسلم ينزع يده من يد أحد أخذها، ونذكر فيما يأتي شيئ من التفصيل عن معاملته صلى الله عليه وسلم لنسائه وأولاده ولأطفال المسلمين.

معاملته صلى الله عليه وسلم لنسائه:.

شهدت له زوجته عائشة رضى الله بسمو خلقه صلى الله عليه وسلم مع نسائه فقالت: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٣].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بخدمة أهله رغم مشاغله ومهامه الجسام، روى البخاري عن الأسود قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ [٤].وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراعي حاجات زوجاته النفسية فهذه عائشة زوجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وكانت صغيرة في السن تحكي فتقول: دخلَ الحبشةُ المسجدَ يلعبونَ، فقال لي: "يا حميراء، أتحبينَ أن تنظري إليهم ؟" فقلت: نعم، فأسندْتُ وجهي على

(٥) الشمائل للترمذي رقم ٣٢٩ وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الشمائل.
(٦) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم.
(١) رواه مسلم في الفضائل ، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام.
(٢) رواه البخاري في الأذان ، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج.

خَدِّه، قالت: ومِن قولهم يومئذ: أبا القاسمِ طيباً، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: " حسبُكِ " فقلت: يا رسولَ الله لا تعجلْ، فقام لي ثم قال: "حسبك"، فقلت: لا تعجلْ يا رسولَ الله، قالت: ومالي حبُّ النَّظَرِ إليهم، ولكني أحببتُ أن يبلغَ النساءَ مقامُه لي، ومكاني منه[1]. ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأنف منهن وهن في حال الحيض بل كان يتحبب إليهن، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ فَيَشْرَبُ وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ[2]. قُارن أو قارنى ، بين هذه الأخلاق الكريمة وبين من يرون ان المرأة رجس! وهل هى من جنس البشر أم لا؟ وكيف ينظر اليها لا سيما حال كونها حائض .قارن وانظر أى الفريقين أحق ان يتبع؟

وكان يعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نسائه، روى البخاري عن أنسٍ بنِ مالك أَنَّ نَبِيَّ الله صلى الله عليه وسلم كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعُ نِسْوَةٍ[3].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبر على غضبهن وغيرتهن روى البخاري في صحيحه عن أنسٍ قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ فَجَمَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِلَقَ الصَّحْفَةِ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ "غَارَتْ أُمُّكُمْ" ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ[4].

(٣) السنن الكبرى للنسائي (٣٠٧/٥)، وقال ابن حجر: إسناده صحيح ، ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا (الفتح ٢ / ٤٤٤).
(١) رواه مسلم في الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها. وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه.
(٢) رواه البخاري في النكاح ، باب من طاف على نسائه في غسل واحد.
(٣)- رواه البخاري في النكاح ، باب الغيرة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاورهن في أمور الدين والدولة فقد ذكر البخاري في قصة صلح الحديبية بعد أن فرغ المسلمون من كتابة الصلح قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:"قوموا فانحروا ثم احلقوا "، قال: فوالله ما قامَ منهم رجلٌ، حتى قال ذلكَ ثلاثَ مراتٍ فلما لم يقمْ منهم أحدٌ دخلَ على أم سلمةَ فذكر لها ما لَقِيَ من الناس، فقالت أمُّ سلمة: يا نبيَّ الله، أتحبُّ ذلك؟ اخرجْ، ثم لا تكلِّمْ أحداً منهم كلمةً حتى تنحَرَ بُدَنَك، وتدعو حالقَكَ فيحلقك فخرج فلم يكلِّمْ أحداً منهم حتى فعلَ ذلك؛ نَحَرَ بُدَنَه، ودعا حالقَه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضُهم يحلِقُ بعضاً، حتى كادَ بعضُهم يقتُلُ بعضاً غما[١].هذه هو قدر المرأة فى الإسلام، مستشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل صلى الله عليه وسلم بما اشارت به ام المؤمنين رضى الله عنها.

معاملته لأطفال المسلمين صلى الله عليه وسلم

ومن حسن أخلاقه انبساطه صلى الله عليه وسلم، وملاعبته لأطفال المسلمين روى البخاري عن أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمًا[٢] وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ نُغَرٌ[٣] كَانَ يَلْعَبُ بِهِ فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلاَةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا[٤]. وعن أمِّ خالد بنت خالد قالت: قَدِمْتُ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَأَنَا جُوَيْرِيَةٌ فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمِيصَةً لَهَا أَعْلاَمٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الأَعْلاَمَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ سَنَاهْ سَنَاهْ، قَالَ الْحُمَيْدِيُّ يَعْنِي حَسَنٌ حَسَنٌ[٥]. وعن أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُهُ[٦]. وما كان رسول الله صلى الله عليه

(١) رواه البخاري في الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب.
(٢) أي مفطوم.
(٣) نوع من أنواع الطيور.
(٤) رواه البخاري كتاب الأدب باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل.
(٥) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب هجرة الحبشة.
(٦) صحيح البخاري كتاب الاستئذان ، باب التسليم على الصبيان.

وسلم يأنف من اللعب معهم، يقول سلمة بن الأَكْوَع رضي الله عنه: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ[١] فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ قَالَ فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَا لَكُمْ لا تَرْمُونَ قَالُوا كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ "[٢].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف حقهم فلم يكن يهضمه حتى وإن كان هناك كبار، روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ يَا غُلاَمُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ قَالَ مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ [٣]. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم ما كان عليه من زهد في الحياة وإقبال على الأخرة، ورغم اجتهاده في عبادته لربه إلا إنه لم يعتزل الدنيا بل إنه نهى أصحابه عن فعل ذلك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عظيم عبادته وخشيته وزهده يسير أمر الأمة أعظم تسيير ويراعى حاجات بيته ويداعب أطفاله كما رأينا فيما ذكرناه من أخلاقه الكريمة وشيمه العظيمة وليس ذلك إلا لما تمتع به من توازن نفسي وسلوكي حباه به الله عزوجل

ومن دلائل نبوته من مولده صلى الله عليه وسلم وحتى بعثته:

ومن الوقائع التي تؤكد نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع بعد مولده من قصص مماثلة ذكرها كتب السيرة، والتاريخ.

١- من ذلك ما حدثَ ليلةَ مولده، من طلوعِ نجمِه الذي يدُلُّ على ولادته صلى الله عليه وسلم، وبه عرفتْ اليهودُ أنه قد وُلِدَ.

(٧) يترامون.

(٨) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد).

(١) رواه البخاري كتاب المساقاة ، باب من رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة.

روى ابن إسحاق بسنده عن حسان بن ثابت رضي الله عنه قـــال: والله إني لغـــلامٌ يفعةٌ[١]، ابنُ سبعِ سنينَ أو ثمانٍ، أعقِلُ كلَّ ما سمعتُ، إذ سمعتُ يهودياً يصرُخُ بأعلى صوته : يا معشرَ يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلَكَ ، مالَكَ ؟ قال : طلعَ نجمُ أحمدَ الـــذي وُلِدَ به.

قال ابن إسحاق: فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت: ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة ؟ فقال: ابن ستين، وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين[٢].

ثالثًا: بعد بعثته صلى الله عليه وسلم:.

بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ووحي الله له، تكثر القصص والوقائع الدالة على تصديق أهل الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن بعضهم كان صادقًا مع نفسه فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقه وآمن به، بينما كان آخرون يطمـــس الحســـد والبغي أعينهم عن رؤية الحق، ومن الوقائع في هذا الأمر، ما نذكره:

قصة ورقة بن نوفل رضي الله عنه:

هذا ورقة بن نوفل، وكان قد خرج لما كره عبادة الأوثان إلى الشام وغيرها يســـأل عن الدين، فأعجبه دين النصرانية فتنصر، وكان لقي من بقي من الرهبان على دين عيســـى و لم يبدل، وتعلم منهم، فلما قابل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء اللقاء الأول، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى داره يقول "زملوني زملوني" من روعة اللقاء الأول، اقترحت عليه الزوجة الرؤوم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد أن يذهبا إلى ورقة بن نوفل فيعرضا عليه الأمر.

(٢) أيْفَعَ الغُلامُ فهو يَافِع إذا قارب الاحْتِلامَ ولَمَّا يَحْتَلِمْ.
(١) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (١٤٢/١).

روى البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أم المؤمنين قالت: ".. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ.فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ.فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى.فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ[١] الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا[٢] لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ.قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[٣] ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[٤] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ[٥].

هذه هي قصة ورقة بن نوفل رضي الله عنه، ولعل من أعظم فوائدها الدليل على أن علماء أهل الكتاب كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون عناء وجهد في البحث حيث كانت علامات النبوة وأمارات الرسالة ظاهرة واضحة لمن كان على علم وتبصر في شأنه صلى الله عليه وسلم.

(٢) الناموس هو صاحب السر، والمقصود به هنا جبريل عليه السلام.
(٣) الجذع هو القوي الصغير في العمر، فكان ورقة بن نوفل رضى الله عنه يتمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شابا ليكون أمكن لنصره، وهذه من مناقبه.
(١) أي قويًا.
(٢) يلبث.
(٣) صحيح البخاري كتاب بدء الوحى رقم (٣)، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بدء الوحى إلى رسول الله.

المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة على نبوة سيد البرية صلى الله عليه وسلم:.

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد جمع الله له النبوة والمعجزة معاً وقد كانت معجزة القرآن الكريم المعجزة العقلية البيانية التي جاء بها الرسول الأمي هي من أعظم معجزاته وقد تميز بها على سائر الأنبياء ببقائها حتى قيام الساعة، أما معجزات من سبقه من الأنبياء فقد كانت معجزات حسية انتهت بانتهاء وقتها، فلو أنك سألت أي نصراني اليوم أرني معجزة من معجزات المسيح فلن يجيبك.

ولرسول الله وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة أكرمه الله تعالى بها، عدها بعض أهل العلم فبلغت ألف معجزة إن لم تكن أكثر من ذلك، ونورد هنا فقط بعض الأمثلة على هذه المعجزات.

القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو أعظم معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هو أعظم معجزات الأنبياء جميعهم، لأنه معجزة خالدة باقية فقد تعهد الله عزوجل بحفظه ما دامت السموات والأرض. فالقرآن الكريم أعظمَ ما أوتيه النبيُّ صلى الله عليه وسلم دلالة على صحةِ رسالته، وهو نفسُ رسالتِه المتمثلةِ في شقِّها الأولِ بالقرآنِ العظيمِ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه.

قال الله عزوجل: "**قَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الأيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**" [العنكبوت:٥١].

سر كون القرآن المعجزة العظمي

"قوله صلى الله عليه وسلم:عن ابى هريرة رضى الله ((**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو**

أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة).) أي إن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل علي وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشيا عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك. قيل المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة ، بخلاف غيره من المعجزات فإنها لا تخلو عن مثل. وقيل المراد أن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله صورة أو حقيقة، والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله، فلهذا أردفه بقوله "فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا ". وقيل المراد أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخييل، وإنما هو كلام معجز لا يقدر أحد أن يأتي بما يتخيل منه التشبيه به، بخلاف غيره فإنه قد يقع في معجزاتهم ما يقدر الساحر أن يخيل شبهه فيحتاج من يميز بينهما إلى نظر، والنظر عرضة للخطأ، فقد يخطئ الناظر فيظن تساويهما. وقيل المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات ، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه ، وهذا أقوى المحتملات ، وتكميله في الذي بعده. وقيل المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر ، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده ، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل

من جاء بعد الأول مستمرا. قلت : ويمكن نظم هذه الأقوال كلها في كلام واحد ؛ فإن محصلها لا ينافي بعضه بعضا. رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته وعموم نفعه، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون ، فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد، فحسن ترتيب الرجوى المذكورة على ذلك، وهذه الرجوى قد تحققت، فإنه أكثر الأنبياء تبعا"[١].

فالقرآنُ الكريمُ هو المعجزةُ الخالدةُ للرسالةِ المحمدية، وذلك أن المعجزاتِ الأخرى معجزاتٌ وقتِيَّةٌ، ودلالتُها على صحةِ الرسالةِ لا تكونُ إلا لمن عايَنَها، ولذا خصَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذه المعجزةَ هنا بالذكرِ، وناسبت هذه المعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم النبيين ولابد من أن تكون معجزته خالدة باقية على مر العصور والدهور.

بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم:.

لا يتسع المقال للحديث عن جميع أو أكثر أوجه إعجاز القرآن الكريم، وذلك لكثرتها وعظمتها فما من آية من القرآن الكريم إلا وهي معجزة قائمة بذاتها تدل الناس على الإيمان بالله عزوجل والإيمان بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

إعجاز القرآن الكريم الغيبي:

ومن الصور الباهرة لإعجاز القرآن الإخبار بوقائع الأمم المتقدمة، وقصص الأنبياء السابقين بشكل لا مثيل له يفوق ما ورد في التوراة والإنجيل من قصص السابقين . لقد حوى القرآن الكريم من قصص السابقين الكثير وحوى من أسرارها ما لم يأتي في كتاب آخر، مما ينسف أية شبهة أو زعم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن من نصارى أو يهود، فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قومه يعلمون بخبر الأمم السابقة قبل أن يترل القرآن الكريم بذلك، "فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من أهل الكتاب ولا من غيرهم وهو لم يعاشر إلا قومه وقومه يعلمون ذلك منه ويعلمون أنهم لم

(١) فتح الباري (٦/٩ ، ٧) .

يكونوا يعلمون ذلك ويعلمون أيضا أنه هو لم يكن تعلم ذلك وأنه لم يكن يعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه وعلى من بلغه خبر قومه"[٢].

ولقد جاء في القرآن الكريم تفصيل أخبار الأنبياء السابقين بشيء لا يوجد في الكتب المتقدمة، فقد "أخبر عن قصة آدم وسجود الملائكة له وتزيين إبليس له حتى أكل من الشجرة وهبط هو وزوجه، وأخبر عن قصة نوح ومكثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده، وأخبر عن قصة الخليل وما جرى له مع قومه وإلقائه في النار وذبح ولده ومجيء الملائكة إليه في صورة ضيفان وتبشيره بإسحاق ويعقوب وذهاب الملائكة إلى لوط وما جرى للوط مع قومه وإهلاك الله مدائن قوم لوط وقصة إسرائيل مع بنيه كقصة يوسف وما جرى له بمصر وقصة موسى مع فرعون وتكليم الله إياه مرة بعد مرة وآياته كالعصا واليد البيضاء والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وتظليل الغمام على بني إسرائيل وإطعامهم المن والسلوى وانفجار الماء من الحجر اثني عشر عينا لسقيهم وعبادتهم العجل وقتل بعضهم بعضا لما تاب الله عليهم وقصة البقرة ونتق الجبل فوقهم وقصة داود وقتله لجالوت وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه وغير ذلك من أحوال بني إسرائيل إلى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى وعيسى بن مريم وأحوال المسيح وآياته ودعائه لقومه والآيات التي بعث بها وتفاصيل ذلك وذكر قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة بأحسن بيان وأتم معرفة مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره إلى أن اعلن النبوة أنه لم يتعلم هذا من بشر بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك لا يهودي ولا نصراني ولا غيرهم فكان هذا من أعظم الآيات

(٢) الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢٣/٥) بتصرف.

والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلا نبي أو من أخذ عن نبي فإذا لم يكن هو أخذه عن نبي تعين أن يكون نبيا"[٣].

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (٥/٣٢٤-٣٢٦) بتصرف.

أعجاز القرآن التاريخى

حاكم مصر في عهد يوسف ملك أم فرعون:

من الأدلة الباهرة على إعجاز القرآن الكريم التاريخي، حديث القرآن الكريم عن حاكم مصر في عهد نبي الله يوسف عليه السلام، فمن قرأ القرآن الكريم علم أن الكتاب العزيز كان إذا ذكر حكام مصر القدامى لا يذكرهم إلا بلقب (فرعون) وذلك في حوالي ستين آية كريمة إلا في سورة واحدة ذكر فيها حاكم مصر بلقب (ملك) وذلك في سورة يوسف، قال تعالى: (**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ**)، وقوله تعالى: (**وقـــال الملك ائتوني به**). فما السر وراء عدم وصف حاكم مصر بأنه "فرعون" وتلقيب الكتاب العزيز له بأنه "ملك"، لعل أن هذا السر بقي أعوامًا طويلة وقرونًا مديدة دون الوصول إلى جواب شاف، حتى كان العصر الحديث وكان اكتشاف ترجمة اللغة الهيروغلفية (المصرية القديمة) وبدأ العالم في دراسة تاريخ مصر القديمة، وكانت الإجابة على هذا السؤال.فإن حياة يوسف عليه السلام في مصر كانت أيام (الملوك الرعاة : الهكسوس) الذين تغلبوا على جيوش الفراعنة، وظلوا في مصر من ١٧٣٠ ق.م إلى ١٥٨٠ ق.م حتى أخرجهم أحمس الأول وشكل الدولة الحديثة (الإمبراطورية).

لذلك كان القرآن العظيم دقيقاً جداً في كلماته لم يقل : قال فرعون ائتوني به، ولم يقل : وقال فرعون إني أرى سبع بقرات سمان، بل قال : (وقال الملك) . لأن يوسف عليه السلام عاش في مصر أيام (الملوك الرعاة) حيث تربع على مصر ملوك بدل الفراعنة الذين انحسر حكمهم إلى الصعيد وجعلوا عاصمتهم طيبة جنوب مصر.

إن في ذلك معجزة قرآنية تشهد أنه كلام الرب تبارك وتعالى وتشهد بنبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، كما تشهد كذلك بأن القرآن معجزة متجددة لا تنقضى عجائبه ولكنها تزداد مع زيادة العلم.

القرآن الكريم وجثة فرعون:

ومن الأخبار التاريخية التي تفرد القرآن الكريم بذكرها، وجاء العلم الحديث ليكتشف أن ما قاله القرآن الكريم صحيحًا، هو مصير فرعون مصر الذي طارد موسي عليه السلام حتى دخل ورائه ماء البحر وكان مصيره الغرق، ومما يعلمه كل أحد فإن الذي يموت غرقًا يتحلل جسمه وتختفى ملامحه، غير أن القرآن الكريم أكد أن الله عزوجل أنجى بدن فرعون ليكون آية لمن خلفه، قال تعالي: (**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ**) [يونس:٩٢].

وجاء الدكتور الفرنسي **موريس بوكاي** في كتابه القرآن والعلم الحديث ليؤكد تطابق ما ورد في القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه في اليم مع الواقع المتمثل في وجود جثته إلى يومنا هذا آيةً للعالمين؛ يقول الدكتور بوكاي – الذي كانت هذه الآية وأخواتها سببًا في إسلامه– : "إن رواية التوراة بشأن خروج اليهود مع موسى عليه السلام من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأن منفتاح Mineptah خليفة رمسيس الثاني هو فرعون مصر في زمن موسى عليه السلام، وإن الدراسة الطبية لمومياء منفتاح Mineptah قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون. إن التوراة تذكر أن الجثة ابتلعها البحر ولكنها لا تعطي تفصيلاً بشأن ما حدث لها لاحقاً، أما القرآن فيذكر أن جثة الفرعون الملعون سوف تنقذ من الماء كما جاء في الآية السابقة، وقد أظهر الفحص الطبي لهذه المومياء أن الجثة لم تظل في الماء مدة طويلة، إذ أنها لم تظهر أية علامات للتلف التام بسبب المكوث الطويل في الماء"[٤].

ويزيد **موريس بوكاي** الأمر تفصيلاً، فيقول: "وجاءت نتائج التحقيقات الطبية لتدعم الفرضية السابقة، ففي عام ١٩٧٥ جرى في القاهرة انتزاع خزعة صغيرة من النسيج العضلي، بفضل المساعدة القيمة التي أسداها الأستاذ Igon. وأظهر الفحص الدقيق

(١) القرآن والعلم الحديث موريس بوكاي.

بالميكروسكوب حالة الحفظ التامة لأصغر الأجزاء التشريحية للعضلات، وتشير إلى أن مثـــل هذا الحفظ التام لم يكون ممكناً لو أن الجسد بقي في الماء بعض الوقت، أو حتى لو أن البقاء خارج الماء كان طويلاً قبل أن يخضع لأولى عمليات التحنيط. وفعلنا أكثر من ذلك و نحـــن مهتمون بالبحث عن الأسباب الممكنة لموت فرعون وأكدت دراسات الطـــب الشـــرعي للمومياء وجود سبب لموت سريع كل السرعة بفعل كدمات جمجمية ـــ مخية سببت فجوة ذات حجم كبير في مستوى صاقورة القحف مترافقة مع آفة رضية، و يتضح أن كل هـــذه التحقيقات متوافقة مع قصص الكتب المقدسة التي تشير إلى أن فرعون مات حين ارتد عليه الموج).ووفقًا لروايات التوراة فإن جثة الفرعون التي غرقت في مياه البحر يجب أن تكون قد تحللت، غير أن العلم الحديث أثبت أن جثة فرعون ظلت باقية وتم حفظها وهو ما ذكـــره القرآن الكريم منذ ١٤ قرنًا قبل أن يصل العلم إلى ما يملك من أدوات اليوم، يقول الـــدكتور **موريس بوكاي**: "وفي العصر الذي وصل فيه القرآن للناس عن طريق محمد صلى الله عليـــه وسلم، كانت جثث كل الفراعنة الذين شك الناس في العصر الحديث صواباً أو خطأً أن لهم علاقة بالخروج، كانت مدفونة بمقابر وادي الملوك بطيبة على الضفة الأخرى للنيـــل أمـــام مدينة الأقصر الحالية.

في عصر محمد صلى الله عليه وسلم كان كل شيء مجهولاً عن هذا الأمر و لم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وبالتالي فإن جثة فرعون موسى التي مازالـــت ماثلـــة للعيان إلى اليوم تعد شهادة مادية في جسد محنط لشخص عرف موســـى عليـــه الســـلام، وعارض طلباته، وطارده في هروبه ومات في أثناء تلك المطاردة، وأنقذ الله جثته من التلف التام ليصبح آية للناس كما ذكر القرآن الكريم[٥].

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة د . موريس بوكاي ، ص ٢٦٩ دار المعارف ط ٤ / ١٩٧٧ ، بتصرف.

إن هذه المعلومة التاريخية عن مصير جثة فرعون لم تكن في حيازة أحد من البشر عند نزول القرآن ولا بعد نزوله بقرون عديدة، لكنها بينت في كتاب الله على قبل أكثر مـــن ألـــف وأربعمائة عام.

هذان مثالان تاريخيان أثبتهما العلم الحديث بعد أن ذكرهما الله عزوجل في كتابـــه العزيز قبل أربعة عشر قرنًا في دليل واضح على صحة نبوة خاتم النبيين وخير البريـــة محمـــد صلى الله عليه وسلم.

وهناك أمثلة لا تحصى من اعجاز الثقران الكريم فى علم الأجنة ، واسال كيث مورو عالم الأجنة الكندى وفى عالم النبات وعلم الفضاء وعالم البحار والكون

القرآن معجزة متجددة:

إن إحدى أهم أوجه إعجاز القرآن الكريم، أن معجزته متجددة وعجائبه لا تنقض، فالقرآن معجزة باقية على طول الزمان، من حين جاء به الرسول تُتْلى آيات التحدّي به، ويُتلى قوله: **(فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) [الطور:٣٤]**، و**(فَـــأْتُوا بِعَشْـــرِ سُـــوَرٍ مِثْلِـــهِ)** [هود:١٣]، و **(بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ) [يونس:٣٨]**.

وإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا في أول الأمر، وقطعه بذلك، مع علمه بكثـــرة الخلق، دليلٌ على أنّه كان خارقاً يعجز الثقلين عن معارضته، وهذا لا يكون لغير الأنبياء.

وها هو القرآن الكريم مع طول الزمان، قد سمعه الموافق، والمخالف، والعـــرب، والعجـــم، وليس في الأمم من أظهر كتاباً يقرأه الناس، وقال إنّه مثله، وهذا يعرفه كلّ أحدٍ. والقـــرآن ممّا يعلم الناس؛ عربهم، وعجمهم أنّه لم يُوجد له نظيرٌ، مع حرص العرب، وغير العرب على معارضته؛ فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعده ووعيـــده آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آيـــة. كلّ ذلك لا يوجد له نظيرٌ في العالم.

ولعل ما يندرج تحت إعجاز القرآن الكريم الباقي المتجدد، ما يتم كشفه في العصـــر الحديث من علوم يثبت أن القرآن الكريم قد أشار إليها قبل عدة قرون، وقد أفاض العلمـــاء والأئمة في الحديث عن هذا الأمر وأوردوا من الأمثلة الكثير، غير أننا نكتفي بمثال واحـــد وآية واحدة جمعت بين الإعجاز الغيبي والإعجاز العلمي.يقول الله عزوجـــل: (**الم غُلِبَـــتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْـــلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**) [الروم: ١-٤].

لقد تحقق ما وعد به الله عزوجل في هذه الآيات من انتصار الروم، وفرح المؤمنون وازداد فرحهم بعد ذلك بعد أن انتصروا على المشركين في بدر، غير أن ما معنى قوله تعالى: "أدني الأرض" رأى السابقون من العلماء والمفسرين أن كلمة "أدنى الأرض" تعـــنى الأرض الأقرب إلى الشام، وهو تفسير صحيح تقبله اللغة وتؤيده ما وصلوا إليه مـــن علـــم في ذاك الزمان، غير أن العلم الحديث أثبت أن القرآن الكريم سبق العصر الحديث بكشف علمي لم يظهر إلا حديثًا.

يقول **الدكتور زغلول النجار** في مقال له عن هذه المعجزة: أكـــدت الدراســـات الحديثة أن منطقة حوض البحر الميت، بالاضافة إلى كونها أقرب الأراضي التي كان الـــروم يحتلونها إلى الجزيرة العربية هي أيضا أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً، حيث يصل منسوب سطح الأرض فيها إلى حوالي الأربعمائة متر تحت متوسط مستوى سطح البحر، وأن هذه المنطقة كانت من مناطق الصراع بين إمبراطوريتي الفرس والروم، وأن المعركة الحاسمة التي أظهرت جيوش الفرس على جيوش إمبراطورية روما الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) لابد أنها وقعت في حوض البحرالميت، وأن الوصف بـــ (**أَدْنَى الأَرْضِ**) هنا كما يعني أقربها للجزيرة العربية، يعني أيضاً أنها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً، وهذه الإشارة القرآنية العابرة تعتبر من الســـبق العلمي في كتاب الله، لأن أحداً لم يكن يعلم هذه الحقيقة في زمن الوحي بالقرآن الكريم، ولا لقرون متطاولة من بعده.

ويضيف الدكتور النجار: "ثبت علمياً بقياساتٍ عديدةٍ أن أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً هو غور البحر الميت، ويقع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضاً، حيث يصل مستوى منسوب سطحه إلى حوالي أربعمائة متر تحت مستوى سطح البحر، ويصل منسوب قاعه في أعمق أجزائه إلى قرابة الثمانمائة متر تحت مستوى سطح البحر، وهو بحيرة داخلية بمعنى أن قاعها يعتبر في الحقيقة جزءاً من اليابسة. وخلاصة القول: أن منطقة أغوار وادي عربة – البحرالميت – الأردن تحوي اخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، والمنطقة كانت محتلة من قبل الروم البيزنطيين في عصر البعثة النبوية الخاتمة، وكانت هذه الإمبراطورية الرومانية يقابلها ويحدها من الشرق الإمبراطورية الفارسية الساسانية، وكان الصراع بين هاتين الإمبراطوريتين الكبيرتين في هذا الزمن على أشده، ولابد أن كثيراً من معاركهما الحاسمة قد وقعت في أرض الأغوار، وهي أخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، ووصف القرآن الكريم لأرض تلك المعركة الفاصلة التي تغلَّب فيها الفرس على الروم في أول الأمر بـ(أَدْنَى الأَرْضِ) وصفٌ معجزٌ للغاية لأن أحداً من الناس لم يكن يدرك تلك الحقيقة في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، ووروده بهذا الوضوح في مطلع سورة الروم يضيف بعداً آخر إلى الإعجاز التنبؤي في الآيات الأربع التي استهلت بها تلك السورة المباركة، ألا وهو الإعجاز العلمي".

وهكذا يتضح مجدداً بما لا مجال للشك فيه أن القرآن العظيم هو كتاب الله الذي أنزله على خاتم النبيين وسيد البشر أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم.

وإن عجائبه وأسراره لا تنقضى، بل إن ذلك من وجوه إعجازه المعدودة، فهو آيةً باقيةً لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله عزوجل بحفظه، فقال تعالى: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) [الحجر : ٩]، وقال : (**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) [فصلت : ٤٢].

إن سائر معجزات الأنبياء قد انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، والقرآن العزيز الباهرة آياته، الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم حجته قاهرة، ومعارضته ممتنعة، والأعصار كلها طافحة بأهل البيان، وحملة علم اللسان، وأئمة البلاغة، وفرسان الكلام، وجهابذة البراعة، وفيهم الملحد، والمعادي للشرع، فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته، ولا ألف كلمتين في مناقضته، ولا قدر فيه على مطعن صحيح، ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح، بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه.

أقوال الغربيين المنصفين عن القرآن الكريم[٦]:

يقول المستشرق آرثر آدبري : "عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية ، فكأنما أستمع إلى نبضات قلبي"[٧]. **ويقول الشاعر الألماني الشهير جوته** : "إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة ... فالقرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم ... وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي ... ولما بلغ **غوته** السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على النبي محمد، ولما أبصر **غوته** ريشة طاووس بين صفحات القرآن هتف : "مرحباً بك في هذا المكان المقدس ، أغلى كنز في الأرض"[٨].**وتقول المستشرقة الألمانية أنا ماريا شميل:** "القرآن هو كلمة الله ، موحاة بلسان عربي مبين ، وترجمته لن تتجاوز المستوى السطحي ، فمن ذا الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغة؟!"[٩].ويقول الباحث **الأمريكي مايكل هارت** صاحب كتاب "العظماء مائة": "لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن".**ويقول المستشرق بودلي:** "بين أيدينا كتاب فريد في أصالته وفي سلامته ، لم

(١) استفدنا في هذه النقطة من كتاب "ربحت محمدًا ولم أخسر المسيح" د.عبد المعطي الدالاتي.
(٢) كتاب (حتى الملائكة تسأل) (٢٠٦) لعالم الرياضيات الأمريكي جيفري لانغ الذي أعلن إسلامه.
(٣) نقلاً عن (جوته والعالم العربي) كاتارينا مومزن (١٧٧-١٨٨-٢٦١).
(٤) في مقدمتها لكتاب (الإسلام كبديل) لمراد هوفمان.

يُشكّ في صحته كما أُنزل ، وهذا الكتاب هو القرآن"[١٠].**ويقول المستشرق "فون هامر"** مقدمة ترجمته لمعاني القرآن: "القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمداً قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب ، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية".**ويقول البروفسور يوشيودي كوزان** – مدير مرصد طوكيو: "إن هذا القرآن يصف الكون من أعلى نقطة في الوجود ... إن الذي قال هذا القرآن يرى كل شيء في هذا الكون ، وكل شيء مكشوف أمامه".ويحاول **المفكر مارسيل بوازار** أن يصل إلى سر التأثير العجيب للقرآن فيقول: "القرآن يخاطب الإنسان بكليته ... أعمق مشاعره، وعمله اليومي من منظور تستطيع نسبته إلى علم النفس التطبيقي"[١١].

ويقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي الذي أسلم عام١٩٨٢م،: "إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه نصوص القرآن لأول مرة هو ثراء الموضوعات العلمية المعالجة ، وعلى حين نجد في التوراة – الحالية – أخطاء علمية ضخمة ، لا نكتشف في القرآن أي خطأ، ولو كان قائل القرآن إنساناً فكيف يستطيع في القرن السابع أن يكتب حقائق لا تنتمي إلى عصره ، ليس هناك تفسير وضعيّ لمصدر القرآن"[١٢]. لقد أطلنا الوقوف قليلاً على معجزة القرآن الكريم رغم أننا لم نوفيها حقها أو عُشر حقها، وليس ذلك إلا إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة والشريعة الفريدة التي أتت بالسعادة للبشرية جميعها إذا ما التزموا بهديه واستناروا بنوره.

---

(٥) نقلاً عن (البحث عن الحقيقة) ص(٥٢٢).
(١) نقلاً عن (القرآن الكريم من منظور غربي) د. عماد الدين خليل (٢٨).
(٢) دراس إيتين دينيه (١٨٦١-١٩٢٩) Et.Dient تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (١٩٢٧)، وحج إلى بيت الله الحرام (١٩٢٨).ومن آثاره: صنف معاوية سليمان بن إبراهيم، و"محمد في السيرة النبوية"، وله بالفرنسية "حياة العرب"، و"حياة الصحراء"، و"الشرق في نظر الغرب"، و"الحج إلى بيت الله الحرام"، و"أشعة خاصة بنور الإسلام".
(٣) فمع بداهة رسالته صلى الله عليه وسلم ووضوحها أمده الله بالمعجزات المادية ايضا رسيأتى تفصيلها ة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة) د. موريس بوكاي ص(١٤٥).

."إن نبي الإسلام هو الوحيد من بين أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في إتمام رسالته على المعجزات وليست عمدته الكبرى إلا بلاغة التنزيل الحكيم.١.."."..إن سنة الرسول الغراء – صلى الله عليه وسلم– باقية إلى يومنا هذا، يجلوها أعظم إخلاص ديني تفيض به نفوس – مئات الملايين– من أتباع سنته منتشرين على سطح الكرة.والحق أننا نرى من بـــين جميـــع الأنبياء الذين أسسوا ديانات، أن محمدا –صلى الله عليه وسلم– هو الوحيد الذي اســـتطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية، معتمدا فقط على بداهة رسالته ووضوحها، وعلى بلاغة القرآن الإلهية، وإن في استغناء محمد –صلى الله عليه وسلم– عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الإطلاق.٢أحقاً لم يلاحظوا أن هذا الكتاب الإلهي خال من أية خطة سابقة على وجوده، مرسومة على نسق المناهج الإنسانية، وأن كل سورة من سوره منفصلة عن غيرها وخاصة بحادثة وقعت بعد الرسالة طيلة فترة تزيد على عشرين عاما، وأنه من المستحيل على محمد –صلى الله عليه وسلم– أن يتوقع ذلك ويتنبـــأ لـــه٣... ويقـــول **جيـــــفرى لانـــغ** يقول في جامعة (سان فرانسيسكو) تعرفت على طالب عربي كنـــت أُدرِّسُهُ ، فتوثقت علاقتي به ، وأهداني نسخة من القرآن ، فلما قرأته لأول مرة شعرت كأن القرآن هو الذي "يقرأني" !."القرآن هذا الكتاب الكريم قد أسرني بقوة ، وتملّـــك قلـــبي ، وجعلني أستسلم لله ، والقرآن يدفع قارئه إلى اللحظة القصوى ، حيث يتبدّى للقارئ أنـــه يقف بمفرده أمام خالقه(٤)، وإذا ما اتخذت القرآن بجدية فإنه لا يمكنك قراءته ببساطة ، فهو فهو يحمل عليك ، وكأن له حقوقاً عليك ! وهو يجادلك ، وينتقدك ويُخجلك ويتحـــداك ... لقد كنت على الطرف الآخر ، وبدا واضحاً أن مُنزل القرآن كان يعرفني أكثـــر ممـــا أعرف نفسي ... لقد كان القرآن يسبقني دوماً في تفكيري ، وكان يخاطب تساؤلاتي ...

(٤) فمع بداهة رسالته صلى الله عليه وسلم ووضوحها أمده الله بالمعجزات المادية ايضا رسيأتى تفصيلها

(١) عن كتاب أشعة خاصة بنور الإسلام
(٤) نفسه ص (٢٠٩) .

وفي كل ليلة كنت أضع أسئلتي واعتراضاتي ، ولكنني كنت أكتـــشف الإجابـة في اليوم التالي ... لقد قابلت نفسي وجهاً لوجه في صفحات القرآن.."(١).

"بعد أن أسلمت كنت أُجهد نفسي في حضور الصلوات كي أسمع صوت القراءة ، على الرغم من أني كنت أجهل العربية ، ولما سُئلت عن ذلك أجبت : لمـــاذا يســـكن الطفل الرضيع ويرتاح لصوت أمه ؟ أتمنى أن أعيش تحت حمايـــة ذلـــك الصـــوت إلى الأبد"(٢).ونختم الحديث عن د. جيفري لانغ بإحدى نجاواه لله : "يا ربي إذا ما جنحـــتُ مرة ثانية نحو الكفر بك في حياتي ، اللهم أهلكني قبل ذلك وخلصني من هذه الحيـــاة . اللهم إني لا أطيق العيش ولو ليوم واحد من غير الإيمان بك"(٣) .

معجزة انشقاق القمر

من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة على رسالة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر في مكة المكرمة، وهي معجزة تواترت الأخبار بنقلها وصح الأثر بشأنها، فقد سأل مشركو مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فأراهم القمر ينشق إلى شقين غير أن قلوبهم المريضة لم ترعوى رغم روعة المعجزة. روى الإمام البخاري في صحيحه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شِقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم اشْهَدُوا[٤].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ[٥].وقد ذكر الله عزوجل انشقاق القمر في

(١) (الصراع من أجل الإيمان) ص (٣٤) .
(٢) نفسه ص (١٢٠) .
(٣) (حتى الملائكة تسأل) ص (٢٣٤) .
(١) البخاري كتاب المناقب باب علامات باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر.
(٢) نفس السابق.

كتابه الكريم، فقال: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آَيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ) [القمر:١-٣].

فهذا آية بينة أراد بعض المشركين التشكيك فيها بزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد عليهم البعض بسؤال المسافرين إذا كانوا رأوا هذه الحادثة أم لا روى أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة "انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت كفار قريش: هذا سحر سحركم ابن أبي كبشة ، فانظروا إلى السفار، فإن أخبروكم أنهم رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق، قال : فما قدم عليهم أحد إلا أخبرهم بذلك".

فمعجزة انشقاق القمر من أعظم معجزات الأنبياء بعد القرآن الكريم، وهي أعظم من معجزة شق البحر لموسي عليه السلام لأن البحر في الأرض أما القمر في السماء والبرهان فيه أظهر.

العلم الحديث وانشقاق القمر:

رغم أن انشقاق القمر من المعجزات التي وقعت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقضت، إلا إن آثارها لا زالت باقية، حيث يذكر الدكتور زغلول النجار في مقال له عن انشقاق القمر أنه كان يتحدث عن هذه المعجزة في محاضرة بكلية الطب جامعة كارديف ببريطانيا، وبعد انتهاء حديثه وقف رجل بريطاني من الحضور واستأذن في أن يضيف شيئًا إلى إجابتي فأذنت له، ثم بدأ بتعريف نفسه على أن اسمه **داود موسى بيدكوك**، وأنه مسلم، ويرأس الحزب الإسلامي البريطاني.

ثم حكي "**بيدكوك**" قصته مع انشقاق القمر فقال: إن هذه الآيات في مطلع سورة القمر كانت هي السبب في إسلامه في أواخر السبعينيات من القرن العشرين؛ لأنه ببحث مستفيض في الأديان أهداه أحد المسلمين ترجمة لمعاني القرآن الكريم، وأنه عند فتح هذه الترجمة لأول مرة فوجئ بسورة القمر، فقرأ الآيات في مطلعها، ولم يكد يصدق أن القمر قد انشق ثم التحم فأغلق الترجمة وانصرف عنها، ثم شاء الله تعالى أن يشاهد على شاشة التلفاز البريطاني (B.B.C) برنامجًا عن رحلات الفضاء استضاف فيه المذيع البريطاني المعروف جيمس بيرك (James Buke) ثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين وذلك في سنة ١٩٧٨ م، وفي أثناء الحوار كان المذيع ينتقد الإسراف على رحلات الفضاء بإنفاق ملايين الدولارات والأرض يتضور فيها ملايين البشر من الجوع، والمرض، والجهل، والتخلف، وكان جواب العلماء أنه بفضل هذه الرحلات تم تطوير عدد من التقنيات المهمة التي تطبق في مجالات التشخيص والعلاج الطبي والصناعة، والزراعة، وغيرها، وفي أثناء هذا الحوار جاء ذكر أول رحلة إنزال رجل على سطح القمر، وقد تكلفت أكثر من مائة مليار دولار، وجلس المذيع يتابع عتابه على هذا الإسراف، قرر العلماء بأن هذه الرحلة قد أثبتت لهم حقيقة لو أنفقوا أضعاف هذا المبلغ لإقناع الناس بها ما صدقهم أحد، فسأل المذيع : ما هي

هذه الحقيقة؟ فأجابوا: أن هذا القمر قد سبق له أن انشق ثم التحم، وأن آثار محسوسة تؤيد ذلك الحدث قد وجدت على سطح القمر وامتدت إلى داخله.

يضيف **بيدكوك:** حينما سمعت ذلك قفزت من الكرسي الذي كنت أجلس عليه أمام التلفاز، وقلت: معجزة تحدث لمحمد قبل ألف وأربعمائة سنة ويرويها القرآن بهذا التفصيل العجيب يسخر الله من يثبتها للمسلمين في عصر العلوم والتقنية الذي نعيه، وينفق هذا المبلغ الكبير، لابد وأن يكون هذا الدين حقًا، وعدتُ إلى ترجمة معاني القرآن الكريم أقرؤها بشغف شديد، وكانت آيات افتتاح سورة القمر هي السبب المباشر لقبولي الإسلام دينًا. وهكذا تعود معجزة انشقاق القمر لتطل علينا من جديد وتثبت للمنكرين صدق ونبوة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم رغم مرور مئات السنين على هذه الآية الباهرة.

وبجانب معجزة القرآن الكريم – أخي القارئ – هناك الكثير من المعجـــزات والآيـــات الحسية قد أيد الله بها الرسول صلى الله عليه وسلم ،

القرآن لوحده معجزة خالدة، ولو لم يكن هناك معجزة أخـــرى ســـوى هذه المعجـــزة للنبي لاستطاعت أن تكون شاهداً على صدقه، ولكن هذا لا يدل على أن الـــنبي لم يمتلـــك معجزات جسمانية ومادية غير هذه المعجزات الروحية والمعنويـــة، بـــل ذهبـــت الآيـــات والـــروايـــات والـــتـــواريخ الإسلامية وسيرة النبي إلى القول: بأنه كان يمتلك ذلك، ولا شك في أن انـــضـــمـــام الـــمعجزات المحسوسة والمادية إلى تلك المعجزة المعنوية الكبيرة يظهر حقيقة الدعوة النبوية بصورة أجلى وأوضح.

ولنذكر الآن بعض من المعجزات الحسية التي أيد الله بها رسولنا الكريم:

١– معجزة نبوع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم:

روى البخاري عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانـــت صلاة العصر، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم

بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم. [١]

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة(أي أناء صغير من جلد) يتوضأ فجهش الناس نحوه(أي تجمعوا) قـــال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يـــده في الركـــوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. [٢]والروايات في هذه المعجزة مشـــهورة بـــين الصحابة وقد رواها جمع كثير منهم أنس وجابر بن عبد الله وابن عباس، والبراء بن مالـــك وأبو قتادة، وغيرهم وخبرها متواتر مستفيض. وقد تكررت في أكثر من مناسبة.

٢– معجزة شفاء علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة:

قال عليه الصلاة والسلام في غزوة خيبر:–(لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله علـــى يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال: "أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال : "فأرسلوا إليه (ائتوني بـــه) فأُتي به فنفث في عينه بقليل من ريقه عليه الصلاة والسلام فبرأ لتوه و لم يمرض بعينه قـــط. [٣]وقد قام المسيح عليه السلام بالتـــفل في عين أحد العميان فشفي من مرضه[٤]:((وجـــاء إلى بيت صيدا.فقدموا إليه أعمى وطلبوا إليه أن يلمسه. فاخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خـــارج القرية وتفل في عينيه ووضع يديه عليه وسأله هل أبصر شيئًا.))

---

[١] [صحيح البخاري ج ١ / ص ٧٤] [صحيح مسلم ج٤ / ص ١٧٨٣] [صحيح ابن حبان ج/١٤ ص/ ٤٧٧]

[٢] صحيح البخاري ج / ٣ ص١٣١٠/] [صحيح ابن حبان ج١٤/ص٤٨٠]

[٣] [رواه البخاري في كتاب الغزوات ورواه مسلم في باب فضائل الصحابة

(٣)[مرقس ٨: ٢٢

ـ وأصيب سلمة يوم خيبر بضربة في ساقه، فنفث فيها رسول الله صلى الله عليه وسـلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قد. عن يزيد بن أبي عبيد قال:((رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس أصيب سلمة ... فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشـتكيت حـتى الساعة.)) [٥] ـ وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أن عبد الله بن عتيك لما قتل أبا رافـع ونزل من درجة بيته سقط إلى الأرض فانكسرت ساقه، قال: فحدثت النبي صلى الله عليـه وسلم فقال:"أبسط رجلك" فبسطها فمسحها فكأنما لم أشكها قط. [٦]

ـ وعن معاذ بن رافع بن مالك عن أبيه قال:((رميت بسهم يوم بدر ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي فما آذاني منها شيء)) [أخرجه ابن أبي شيبه والحاكم والبيهقي وأبو نعيم]

٣- معجزة ردّ عين قتادة بعد تدليها:

في غزوة أحد أُصيب قتادة بن النعمان في عينه حتى سقطت وتدلت على وجـــنته(أي على أحد خده) فردها عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة فبرأت على الفور، وصارت عينيه تلك أحسن عينيه... فتلك من آيات الله التي أيد الله بها رسوله. والروايـة أخرجهـا ابـن إسحاق في السيرة النبوية(٣ / ٣٠)، وابن حجر في الإصابة، وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة النعمان، وأبو يعلى، والبيهقي في الدلائل، وأبو نعيم في الدلائل بـرقم(٤١٨، ٤١٧) وذكرها الحاكم في المستدرك(٣ / ٢٩٥)

٤- معجزة شفاء الضرير بدعائه صلى الله عليه وسلم:

[٥] [صحيح البخاري ج ٤ / ١٥٤١/ صحيح أبي داود / ٣٢٩٥ صحيح ابن حبان ج١٤ / ص ٤٣٩]

[٦] [صحيح البخاري ج ٤ / ص ١٤٨٣]

عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أدع الله أن يعافيني فقال: (إن شئت أخّرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وأن شئت دعـــوت لك) قال:لا، بل ادع الله لي قال:- فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتـــين، وأن يـــدعو بهـــذا الدعاء:-

(اللهم أني أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة،يا محمد أني أتوجه بك في حاجتي هذه فتُقضى،اللهم شفعة في) ففعل الرجل فبرأ،فشفاء هذا الضرير آية من نبوته[٧]

٥- خروج الجن من الصبي بدعائه صلى الله عليه وسلم:

عن أبن عباس رضي الله عنهما قال:-أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم فقالت:يا رسول الله أن به لماً، وأنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينـــا طعامنـــا قال:- فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له فثعّ (أي قاء أو ســـعل مـــرة واحدة) فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى. [رواه الدرامي]

٦- معجزة فيضأن ماء بئر الحديبية:

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه لما كان بالحديبية هو وأصحابه سنة ســـت مـــن الهجرة وكان بالحديبية بئر ماء فنزحها أصحابه بالسقي منها حتى لم يبقى فيها ما يملأ كأس ماء وكانوا ألفًا وأربعمائة رجل، وخافوا العطش فشكوا ذلك إليه صلى الله عليـــه وســـلم، فجاء فجلس على حافة البئر، فدعا بماء فجئ به إليه فتمضمض منه،ومج ما تمضمض بـــه في البئر، فما هي إلا لحظات، وإذا البئر فيها ماء فأخذوا يسقون فسقوا وملئوا أوانيهم وأدوات حمل الماء عندهم وهم كما تقدم ألف وأربعمائة رجل، وهم أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم وأنزل فيهم قوله تعالى من سورة الفتح:-(لَقَد رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ

[٧] [رواه البخاري في التاريخ الكبير ٢١٠/٦،والطبراني في المعجم الكبير ١٩/٩ وصححه وسلمه الذهبي، والبيهقي في دلائـــل النبـــوة ١٦٦/٦ وغيرهم]

تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِم فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وأَثَــابَهُمْ فَتْحــاً قَرِيبــاً). [رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة]

٧- معجزة الطعام القليل يشبع العدد الكثير:

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: قال أبو طلحة لأم سُليم: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت:نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أخرجت خِماراً لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فقمــت عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:-(أرسلك أبــو طلحــة؟) فقلــت: نعــم، قال:(بطعام؟) قلت:نعم، فقال:- رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه(قوموا) فــأنطلق، وانطلقت ين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة:- يا أم سُليم قــد جــاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليــه وسلم وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:-(هلم يا أم سُليم ما عندك؟) فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت، وعصرت أم سُليم عكــة فآدمته، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء أن يقول،ثم قال:-(ائذن لعشرة) فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا،ثم خرجوا، ثم قال،(ائذن لعشرة)، فأذن لهم فأكلوا حتى شــبعوا، ثم خرجوا، ثم قال،(ائذن لعشرة) فأكل القوم كلهم، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.أليســت هذه معجزة؟ بلى وربي أنها لمن أعظم المعجزات.[٨]

٨- معجزة تكثير الطعام:

[٨] [صحيح البخاري / علامات النبوة] [صحيح مسلم / الأشربة]

عن جابر ابن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه رجل يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه هو وامرأته ووصيف لهم حتى كالوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو لم تكيلوه لأكلتم منه ولقام لكم" [صحيح مسلم في معجـــزات النبي ، رواه احمد في مسنده]

قال أبو طلحة الأنصاري في حديثه المشهور:((أطعم رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم ثمانين رجلاً من أقراص شعير جاء بها أنس تحت إبطه)) [البخاري في كتـــاب المناقـــب ــ ومسلم ٣ / ١٦١٢ والترمذي ٥ / ٥٩٥ والبيهقي في الدلائل]

وقال جابر بن عبد الله:((أطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق مـــن صـــاع شعير وعناق(الأنثى من أولاد المعز) ألف رجل حتى تركوا وانحرفوا(مالوا عن الطعام)، وأن البرمة لتغط كما هي وأن العجين ليخبر)) [البخاري في كتاب المغازي ومسلم ٣ / ١٦١٠ والترمذي ٥ / ٥٩٥]

إن معجزة تكثير الطعام والشراب قد تكررت فبلغت عشرات المـــرات، وفي ظـــروف مختلفة، ومناسبات عديدة، فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه:((كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير قال فنفدت أزواد القوم ــ أي نفد زادهم واحتاجوا إلى طعام ــ قـــال حتى هم بنحر بعض حمائلهم قال فقال عمر: يا رسول الله لو جمعت ما بقـــي مـــن أزواد القوم فدعوت الله عليها؟(أي بقاياه) قال ففعل قال فجاء ذو البر ببره وذو التمر بتمره قال وقال مجاهد وذو النواة بنواه قلت وما كانوا يصنعون بالنوى قال كانوا يمصونه ويشـــربون عليه الماء قال فدعا عليها حتى ملأ القوم أزودتهم قال فقال عند ذلك: "أشهد أن لا إلـــه إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة" [صحيح مسلم، والنسائي]

٩ – معجزة تكثيره عليه السلام السمن لأم سليم:

عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:- كانت لأمي أم سليم شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت العكة ثم بعثت بها ربيبة، فقالت:يا ربيبة أبلغي هذا العكة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها، فانطلقت بها ربيبة حتى أتـــت رســـول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سُـــليم قـــال:- (أفرغوا لها عكتها) فأفرغت العكة ودفعت إليها قالت:- فانطلقت بها، وجئت وأم ســـليم ليست في البيت،فعلقت العكة على وتد، فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر فقالت:يا ربيبة أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت:- بلـــى قـــد فعلت فإن لم تصدقيني فانطلقي فسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت ومعها ربيبة، فقالت يا رسول الله إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال:-(قد فعلت، قـــد جـــاءت) قالت:والذي بعثك بالحق، ودين الحق أنها لممتلئة تقطر سمناً، قال أنس: فقـــال رســـول الله صلى الله عليه وسلم:-(يا أم سليم أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه! كلـــي وأطعمي) قالت فجئت إلى البيت فقسمت في قعب لنا، وتركت فيها ما أتئد منا به شهراً أو شهرين، فكون العكة تمتلئ بعد إفراغها والأكل منه طرة شهرين من معجزاته.

١٠- معجزة نزول المطر بدعائه:

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: أصابت الناس سنة(جدب) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة فقام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع الله أن يسقينا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما رأينا في السماء قزعة (قطعة ســـحاب) فـــو الذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار(أنتشر) سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر(يتقاطر) على لحيته قال: فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعـــد الغـــد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو قال غيره، فقال: يا رسول الله تهـــدم البناء، وغرق المال فادع الله لنا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديـــه فقـــال:"اللهم

حوالينا ولا علينا" قال: فما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده إلى ناحية مـــن السماء إلا فرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة (أي حتى صارت الســـحب والغيـــوم محيطة بالمدينة) في السحاب، وسال الوادي قناة شهرا، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حـــدث بالجود. [صحيح البخاري / كتاب الجمعة]

١١- معجزة حنين جذع النخل شوقاً إليه صلى الله عليه وسلم:

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صنع لـــه المنـــبر فاستوى عليه، صاحت النخلة التي كان يخطب عليها حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصـــبي الـــذي يســـكت حـــتى استقرت، قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر)) [رواه البخاري]

وحديث حنين الجذع هو حديث مشهور معروف متواتر قد خرجه أهل الصحيح ورواه الأكابر / من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم منهم / أبي ابن كعب وجابر بن عبـــد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري وبريـــدة وأم سلمة وسهل ابن سعد.

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب المناقـــب(فتح ٦٠١/٦) والترمذي في كتاب الجمعة(٢ / ٣٧٩،) والبيهقي في الدلائل(٦ / ٦٦).

١٢- معجزة تحول جذل الحطب سيفاً:

الجذل:هو عود غليظ من أصل الشجرة، لقد انكسر سيف عكاشة بن محصن يوم بـــدر فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم جذل حطب فقال له:-(اضرب به) فانقلب في يده سيفاً، صارماً طويلاً أبيضاً شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد عكاشة في قتال أهل الردة، وبعدما قتل بلعت الأرض ذلك السيف.

١٣- معجزة نطق الغزالة ووفاؤها له صلى الله عليه وسلم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على قوم قد اصطادوا ظبية، فشدوها على عمود فسطاط، فقالت: يا رسول الله أني أُخـــذت ولي خِشـــفان(الولد الصغير) فاستأذن لي أرضعهما وأعود إليهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم(أين صـــاحب هذه؟) فقال القوم نحن يا رسول الله قال:-(خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وترجع إليكم) فقالوا من لنا بذلك؟ قال:-(أنا) فأطلقوها،فذهبت فأرضعت خشـــفيها ثم رجعـــت إليهم، فأوثقوها فمر بهم صلى الله عليه وسلم فقال:-(أين صاحب هذه؟) فقالوا:-هذا يـــا رسول الله فقال(تبيعونها؟) فقالوا:- هي لك يا رسول الله، فقال:-(خلو عنها فأطلقوهـــا) فذهبت،فنُطقها آية من نبوته.

١٤- معجزة انقياد الشجر له صلى الله عليه وسلم:

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:- سهرنا مع النـــبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أفيح(أي واسعاً رحباً) فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته، فأتبعتُه بإداوةٍ فيها ماء، فنظر فلم ير شيئاً يستتر بـــه، وإذ شـــجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق إلى إحداهما فأخذ ببعض من أغصانها، وقال:-(انقادي علي بـــإذن الله) فانقادت معه كالبعير المخشوش (الذي جعل في أنفه الخشائش وهو العـــود، يجعـــل في عظم أنف الجمل لينقاد) الذي يُصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، حـــتى إذا كـــان بالمنتصف فيما بينهما لاءم أي جمعهما، وقال:-(التئما إلي علي بإذن الله) فالتأمتـــا، قـــال جابر:- فخرجت أحضر(أي أعدو بشدة) مخافة أن يحس بقربي منه فيبعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني التفاته، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا. [صحيح مسلم]

وعن ابن عباس، رضي الله عنه، قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وســـلم، فقال: بم أعرف أنك رسول الله؟ قال:((أرأيت أن دعوت هذا العذق من الشجرة تشهد أني رسول الله؟)) قال: نعم. قال: فدعا العذق، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى ســـقط إلى

الأرض ينقز، فأقبل إليه، وهو يسجد ويرفع ويمجد ويرفع حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال له:((ارجع)) فرجع إلى مكانه، فقال الأعرابي: والله لا أكذبك بشـــيء تقوله بعدها أبداً، أنا أشهد أنك رسول الله، وآمن. [أخرجه البخاري في تاريخه، والترمذي في أبواب المناقب(٣٦٢٨) وأخرجه البزار، وأبو يعلى]

١٥ – معجزة سكون اضطراب الجبل بأمر الرسول:

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صـــلى الله عليـــه وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال:((اثبت أحد فإنما عليك نـــبي وصديق وشهيدان.)) وفي رواية: فضربه برجله وقال:((أثبت أحد فما عليـــك إلا نـــبي أو صديق أو شهيدان)) [رواه البخاري في كتاب فضال الصحابة] [صـــحيح ابـــن حبـــان ج١٤/ص٤١٥].

١٦ – من معجزاته صلى الله عليه وسلم إخبار الشاة له أنها مسمومة:

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن امرأة يهوديـــة أتـــت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة، ولما أكل منها أخبرته الشاة أنها مســـمومة، فجيء باليهودية إلى رسول صلى الله عليه وسلم، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: "لا، ما كان الله ليسلطك علي". [متفق عليه] [أخرجه البخاري في كتـــاب الهبـــة ومسلم ٤ / ١٧٢١] [البيهقي في الدلائل]

١٧ – ومن علامات نبوته ذعر أبو جهل عندما أراد أن يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم فقال: واللات والعزى لإن رأيته يفعل ذلك لأطـــإن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وســـلم وهـــو يصلي، ــ ليطأ على رقبته ــ قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديـــه

قال: فقيل له مالك؟ فقال: أن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رســـول الله صلى الله عليه وسلم:((لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)) [صحيح مسلم ١٧/ ١٤]

١٨- من علامات النبوة إخباره عليه الصلاة والسلام عن غيوب مستقبلية فوقعـــت كما أخبر:

أولاً:- قوله صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنهمـــا:((إن ابـــني هـــذا ســـيد وسيُصلح الله به بين فئتين عظيمتين)) فكأن الأمر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقـــد أصلح به بين من كان مع الحسن وبين من كان مع معاوية رضي الله عنهم. [رواه البخاري في صحيحه]

ثانيًا:- قوله صلى الله عليه وسلم:-((اُثبت أُحد فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان)).

فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فمات أبو بكر بمرض أصـــابه، وقُتـــل عمـــر في المحراب شهيداً،وقُتل عثمان في داره شهيداً، فرضي الله عنهم أجمعين. [رواه البخاري]

ثالثا: إخباره صلى الله عليه وسلم عن فتح القسطنطينية ورومية(روما)

روى أحمد في مسنده عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو ابن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب إذ ســـئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المدينتين تفتح أولاً، أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((مدينة هرقل تفتح أولاً)) يعني القسطنطينية. والحديث صـــححه الحاكم والذهبي ووافقهما الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

وقد وقع الأمر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم فتحقق فتح القســـطنطينية علـــى يـــد السلطان محمد الفاتح العثماني رحمه الله كما هو معروف بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح.

رابعاً :- قوله صلى الله عليه وسلم:-(إن هذا قبر أبي رِغال، وإن معه غصناً من ذهب) فحفروه فوجدوه كما أخبر النبي صلى الله عله وسلم، وذلك حين كان ذاهباً إلى الطائف، فكان هذا الخبر آية نبوته صلى الله عليه وسلم.

خامساً:- قوله صلى الله عليه وسلم لخباب بنت الأرتّ وقد جاء يشكو إليه مـــا يلقـــي المؤمنون كفار قريش، يطلب من أن يستنصر الله تعالى لهم، قال له وقد أحمر وجهه صلى الله عليه وسلم أو تغير لونه، فقال له:-(لقد كان من قبلكم تحفر له الحفرة، ويجـــاء بالمنشـــار فيوضع على رأسه، فيشق نصفين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت، ما يخشى إلا الله والذئب على غنمه). وقد تم هـــذا كما أخبر صلى الله عليه وسلم. [صحيح البخاري]

سادساً :- قوله صلى الله عليه وسلم:(مُنعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مدها ودينارها، ومنعت مصر أرد بها ودينارها، وعُدتم من حيث بدأتم) فهذا الخبر قد وقع كمـــا أخبر صلى الله عليه وسلم، فقد منعت العراق، ومنعت الشام، ومنعت مصر، مـــا كـــانوا يؤدونه إلى أهل الحجاز من خراج وغيره، وعاد أهل الحجاز كما بدؤوا فمسهم الجـــوع، ونالهم بعد ما أصابهم من رغد العيش وسعة الرزق.

سابعاً :- قوله صلى الله عليه وسلم:((الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه مـــن يشاء)) فهذا الخبر من أنباء الغيب، إذ كانت خلافة أبي بكر سنتين وأربعة أشهر إلا عشـــر ليال، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان اثنتي عشـــر سنة إلا اثني عشر يوماً، وكانت خلافة علي خمس سنوات إلا شهرين، وتكميل الثلاثـــين بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما، إذ كانت نحو من ستة أشهر، ثم نزل عليهما لمعاوية عام أربعين من الهجرة

أبو بكر ٢ سنة ٣ أشهر ٢٠ يوم

عـــمر	١٠ سنوات	٦ شهر	٤ أيام
عثمان	١١ سنة	١١ شهر	١٨ يوم
علـــي	٤ سنوات	١٠ أشهر	
الحسن	شهريـــــــــــــــن		

المجـــموع = ٣٠ ســـــنة

ثامناً:- قوله صلى الله عليه وسلم في عثمان رضي الله عنه،((افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه)) وذلك في حديث صحيح ونصهُ: أن النبي صـــلى الله عليـــه وســـلم دخـــل حائطاً(بستان) فدلى رجليه في القف(الدكة تجعل حول البئر يجلس عليها وتدلى الأرجـــل في الماء المستخرج من البئر) فقال أبو موسى وكان معه:- لأكونن اليوم بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلست خلف الباب فجاء رجل فقال:أفتح فقلت من أنت؟ قال أبو بكر، فأخبرتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:(أفتح له وبشرهُ بالجنة) ثم جاء عمر، فقـــال كذلك، ثم جاء عثمان فقال: ((ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه)) فهذا الخبر من أنباء الغيب الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم.

تاسعاً: قوله صلى الله عليه وسلم:-((إن جبريل كان يعارضني القرآن كل عام مرة،وإنه عارضني العام مرتين، وما أرى ذلك إلا اقتراب أجلي))، فبكت فاطمة ثم سارها فأخبرهـــا بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وأنها أول أهله لحوقاً به، فكان كما أخبر إذ ماتت بعده بســـتة أشهر، و لم يمت قبلها من آل البيت أحد، فكأن هذا الخبر آية من نبوته صلى الله عليه وسلم.

عاشراً: قوله صلى الله عليه وسلم لنسائه:-((كيف بإحـــداكن تنـــبح عليهـــا كـــلاب الحواب)) وكان ذلك كما أخبر، فقد خرجت عائشة رضي الله عنها تُريد الصلح بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في وقعة الجمل، فلما بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكـــلاب، فقالت رضي الله عنها:أي ماءٍ هذا؟ فقالوا: ماء الحواب،فقالت: ما أظنني إلا راجعـــه:فقال بعض من كان معها: بل تقدمي فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم، قالت: إن رســـول الله صلى الله عليه سلم قال لنا ذات يوم:- قال:-((كيف بإحداكن تنبح عليهـــا كـــلاب الحواب)) فهذا الخبر الصادق قد وقع كما أخبر به قبل وقوعه بكذا سنة.

الحادي عشر:- قوله صلى الله عليه وسلم في حديث احمد عن عمار بن ياسر قال: قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي حين ولى غزوة العشيرة:(يا أبا تـــراب ألا أحـــدثك بأشقى الناس رجلين؟) قلنا بلى يا رسول الله: قال(أحيمر ثمود، الذي عقر الناقـــة، والـــذي يضربك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى يبل أي بالدم هذه أي لحيته) [صحيح الجامع الصغير]

فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقد ضربه رضي الله عنه عبد الرحمن بن ملجم أحد الخوارج بالكوفة فقتله على نحو ما أخبر عليه الصلاة والسلام.

الثاني عشر:- قوله صلى الله عليه وسلم((سيكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند)) فهذا الخبر الصادق وقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقد فتح المسلمون الهند أيام معاوية سنة ٤٤هـــ أربع وأربعين ثم توالى الغزو والفتح كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

رابع عشر:- قوله صلى الله عليه وسلم في سُهيل بن عمرو:-(عسى أن يقـــوم مقامـــاً يسرك يا عمر) وذلك يوم صلح الحديبية حيث غضب عمر رضي الله عنه من تعنت سُهيل وكان ممثلاً لقريش يومئذ فقال له صلى الله عليه وسلم:-(عسى أن يقوم مقاماً يسرك يـــا عمر) وكان الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم إذ مات الرسول صلى الله عليـــه وســـلم واضطربت البلاد ونجم الكفر ووقف سهيل بن عمرو رضي الله عنه بباب الكعبـــة بمكـــة

فخطب فثبت أهل مكة وقوى بصائرهم فحفظهم الله من الردة بسببه وهو موقف سر عمر والمؤمنين وصدق عليه الصلاة والسلام.

خامس عشر: النبي صلى الله عليه وسلم يخبر وهو في المدينة أن أمتـــه ســـتفتح كنـــوز كسرى:

روى الإمام البخاري رحمه الله بإسناده إلى عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل. فقـــال: [يـــا عدي، هل رأيت الحيرة؟] قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: [فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله، قلت فيما بيـــني وبـــين نفسي فأين دعار(الدعار هو الخبث الشديد) طيء الذين قد سعروا البلاد؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى]. قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: [كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمأن يترجم له، فيقولن ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك فيقول بلى فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى!! فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم]. قال عدي: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [اتقوا النار ولول بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة]. قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنـــت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاســـم صلى الله عليه وسلم: يخرج ملء كفه.(رواه البخاري)

سادس عشر: إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده:

قال البخاري رحمه الله: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا هلك كســـرى فـــلا

كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله.

سابع عشر: الإخبار عن فتح خيبر من الغد فتم ما أخبر به الصادق المصدوق صـــلى الله عليه وسلم: قال عليه الصلاة والسلام في غزوة خيبر:-((لأعطين هذه الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)) قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهـــم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وســـلم كلهـــم يرجـــو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب" فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال : فأرســـلوا إليه (ائتوني به) فأُتي به فنفث في عينه بقليل من ريقه عليه الصلاة والسلام فـــبرأ لتـــوه و لم يمرض بعينه قط. [رواه البخاري في كتاب الغزوات ورواه مسلم في باب فضائل الصحابة]

وفي الحديث معجزتين ظاهرتين للنبي صلى الله عليه وسلم الأولى إخباره بأن الله تعـــالى يفتح على يديه خيبر فكان كما أخبر، والثانية شفائه علي رضي الله عنه وأرضاه.

الثامن عشر: ومن علامات نبوته صلى الله عليه وسلم أنه أخبر عن مصارع المشركين في بدر قبل مصرعهم: روى مسلم في صحيحه وأحمد ــ واللفظ له ــ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فترائينا الهلال وكنت حديد البصر فرأيته فجعلت أقول لعمر: أما تراه، قال سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر، قال: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارعهم بالأمس، يقول:((هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى، وهذا مصرع فلان غداً أن شاء الله تعالى)) قال: فجعلوا يصـــرعون عليها قال، قلت والذي بعثك بالحق ما أخطئوا تيك كانوا يصرعون عليها.

التاسع عشر: إخباره صلى الله عليه وسلم عن مقتل أمراء مؤتة قبل أن يأتي الخبر بمقتلهم:

روى البخاري في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: ((أخـــذ الرايـــة زيـــد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحه فأصيب - وعيناه تذرفان ــ حتى أخذها

سيف من سيوف الله ــ يعني خالد ابن الوليد رضي الله عنه ــ حتى فــتح الله علــيهم)) [الفتح ٩ / ٥٤]

عشرون: إخباره صلى الله عليه وسلم بفساد بعض أحوال المسلمين وقتالهم بعضهم بعضاً بعد فتح فارس والروم:

قال مسلم رحمه الله: حدثنا عمرو بن سواد العامري أخبرنا عبد الله بن وهــب أخــبرني عمرو بن العاص حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: [إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟] قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أو غير ذلك. تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضــهم على رقاب بعض](مسلم ٤/٢٢٧٤)

قلت: وللأسف فقد حدث ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وقتــل المهــاجرين والأنصار بعضهم بعضاً في الجمل وصفين!! فأنا لله وأنا إليه راجعون

الحادي والعشرون: أخبر صلى الله عليه وسلم بأنه لا تقوم الساعة حتى تقاتل أمته قومــاً صغار الأعين ذلف الأنوف(قصر الأنف مع انبطاحه)، وهذه حلية التتار، فكان كذلك ووقع ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

الثاني والعشرون: أخبر صلى الله عليه وسلم بأن عماراً ستقتله الفئة الباغية، فقتل يــوم صفين مع علي رضي الله عنه [رواه البخاري: الصلاة [١ / ٦٤٤] ومسلم: الفتن [٤ / ٢٩١٥] وأخرجه مسلم في صحيحه رقم(٢٩١٦) من حديث أم سلمة.

الثالث والعشرون: أخبر صلى الله عليه وسلم بقتال الخوارج، ووصف لهم الثدية، فحدث كما وصف سواء بسواء. وأحاديث قتال الخوارج متواترة، أنظرهــا في الســنة لأبــن أبي عاصم(٢ / ٦٢٣ ــ ٢٢٣٣) من حديث أبي بكرة.

الثالث والعشرون: أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بأنه سوف تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، فوقع ما أخبر به، وكان ظهور هذه النـــار في سنة بضع وخمسين وستمائة، وتواتر أمرها. [البخاري: الفتن ١٣ / ٨٤] [مسلم: الفـــتن ٤ / ٢٢٢٧] رقم(٢٩٠٢) قال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند أهل الشـــام ــ وبصرى مدينة معروفة بالشام، تبعد عن دمشق حوالي ١٠٠ كم شرقاً.

وأخيراً وبعد هذا العرض لبعض المعجزات الظاهرة للنبي الخاتم صلى الله عليـــه وســـلم نقول: تعساً والله لمن لا يعتبر..

و نبوءات النبي صلى الله عليه وسلم التي تحققت قد كثرت الأمثلة والأحداث التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عدها العلماء فبلغت قرابة **ألف أمر غيبي تحقق معظمها** وإنا على يقين بتحقق بقيتها، وما كثرة هذه الوقائع إلا لحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تبليغ الحق وتبيين الطريق لأمته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، جاء في الصحيح عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامه ذَلكَ إِلَى قِيَام السَّاعَة إِلا حَدَّثَ به حَفظَهُ مَنْ حَفظَهُ وَنَسيَهُ مَنْ نَسيَهُ قَدْ عَلمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاء وَإِنَّهُ لَيَكُونُ منْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ[٩].ويفصل عمرو بن أخطب أمر هذه الخطبة فيقول: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ الْفَجْرَ وَصَعدَ الْمنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعدَ الْمنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعدَ الْمنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا[١٠].

يقول الحافظ ابن حجر: "دل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتُدئت إلى أن تفنى، إلى أن تُبعث، فشمل ذلك الإخبارَ عن المبدأ والمعاش والمعاد، في تيسير إيراد ذلك كلِّه في مجلس واحد من خوارق العادة أمرٌ عظيم، ويقْرَب ذلك – مع كون معجزاته لا مرية في كثرتها – أنه صلى الله عليه وسلم أعطي جوامع الكلم"[١١].

ونذكر هناأيضا بعضًا من تلك الوقائع والأحداث:

إخباره صلى الله عليه وسلم عمه أبي طالب بأن الأرضة أكلت صحيفة المقاطعة الظالمة التي علقتها قريش في الكعبة ووضعت فيها بنود المقاطعة المفروضة على المسلمين ومن

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون إلى قيام الساعة، وقد رواه البخاري في صحيحه والإمام أحمد في مسنده عن آخرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
(٢) نفس السابق.
(٣) فتح الباري (٣٣٦/٦).

ناصرهم من آل عبد المطلب، يقول ابن هشام في السيرة النبوية: وذكر بعض أهل العلـــم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب: يا عم إن ربي الله قد سلط الأرضة علـــى صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان، فقال أربك أخبرك بهذا ؟، قال نعم، قال فوالله ما يدخل عليك أحد، ثم خرج إلى قـــريش، فقال يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم فإن كان كما قـــال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها ؟ وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخـــي، فقال القوم رضينا، فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا، فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرا[١٢].

ومن الغيوب كذلك إخباره صلى الله عليه وسلم بموت عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما شهيدين، روى البخاري في صحيحه عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّـــهُ عَنْهُ قال: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِـــمْ فَقَالَ اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ[١٣]"، فكان كما أخبر صـــلى الله عليـــه وسلم، فمات أبو بكر بمرضٍ أصابه، وقُتل عمر رضى الله عنه في المحراب شـــهيداً، وقُتـــل عثمان رضى الله عنه في داره شهيداً، فرضي الله عنهم أجمعين. وفي الحديث دلالة أخـــرى على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا الجبل يسكن ويثبت لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وفي هذا إشارة لطاعة الجبال والجمادات لخير البرية محمد صـــلى الله عليه وسلم.ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم بوقوع الفتنة بين علي ومعاوية رضى الله عنهما، روى البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ وَلا تَقُومُ السَّـــاعَةُ حَتَّـــى يُبْعَـــثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ[١٤].

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣٠٨/١).
(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذًا خليلاً.
(٣) صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام.

فهذان خبران أخبر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وقعا كما أخبر، فقـــد اقتتل عليّ ومعاوية رضي الله عنهما بجيشيهما في صفين، ودعواهما واحدة، فكان ما أخبر به صلى الله عليه وسلم كما أخبر فهي آية نبوّته صلى الله عليه وسلم ومعجزته التي على مثلها آمن البشر.

وأما الخبر الثاني فقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي صلى الله عليـــه وســـلم فخرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي باليمن، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحـــة بـــن خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسجاح التميمية في بني تميم، وقتل الأسود قبل أن يموت النبي صلى الله عليه وسلم وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر، وتاب طليحة ومات على الإســـلام على الصحيح في خلافة عمر، ونقل أن سجاح أيضا تابت. ومن الغيوب كـــذلك إخبـــاره صلى الله عليه وسلم عن استشهاد أمراء مؤته قبل أن يأتي الخبر بمقتلهم؛ روى البخـــاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ فَقَالَ أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُـــمَّ أَخَـــذَ جَعْفَـــرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّـــى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)[١٥]. ومن الغيوب الباهرة الدالة على نبوته صلى الله عليـــه وســـلم وعـــده لأصحابه بالنصر والتمكين لهذا الدين رغم ما كان يصيبهم من أذى واضطهاد من قريش في مكة، روى البخاري عن خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا،قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِـــبُ مِـــنْ صَـــنْعَاءَ إِلَـــى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ[١٦]، وقد تم هذا كما

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب باب مناقب خالد بن الوليد رضى الله عنه.
(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام.

أخبر صلى الله عليه وسلم، فكان آية نبوته ومعجزتها التي لا يقدر عليها أحدٌ إلا الله جـــل جلاله، وعظم سلطانه. ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم بفتوح أمته للبلدان المتفرقة، وانتشار الإسلام حتى يرفرف على جهات الأرض المختلفة، فقال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم مخبرًا عن ملك أمته وسلطانها: (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ)[١٧].

يقول النووي: "هذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها بحمد الله كمـــا أخبر به صلى الله عليه وسلم قال العلماء : المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كـــنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام، وفيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكـــون معظـــم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأما في جهتي الجنوب والشـــمال فقليـــل بالنسبة إلى المشرق والمغرب، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى"[١٨].

ولقد فصل صلى الله عليه وسلم أخبار تلك الفتوحات في العديد من الأحاديـــث، منها إخباره صلى الله عليه وسلم بفتح مصر روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضـــى الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَـــا الْقِـــيرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا[١٩].

ولقد تحقق ذلك زمن الخلفاء الراشدين، وكان أبو ذر رضى الله عنه ممن فتح مصـــر وسكنها، يقول: فرأيت عبدَ الرحمنِ بنَ شرحبيلَ بنِ حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لَبِنة، فخرجت منها[٢٠].

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/١٨).
(٣) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر.
(٤) رواه مسلم في صحيحه.

يقول النووي: "وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده بحيث يقهرون العجم والجبابرة، ومنها أنهم يفتحـــون مصر، ومنها تنازع الرجلين في موضع اللبنة ، ووقع كل ذلك ولله الحمد"[٢١].

ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم بفتح فارس والروم، روى مسلم في صحيحه عن عَبْد اللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّـــهُ قَالَ إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَـــهُمْ عَلَـــى رِقَابِ بَعْضٍ[٢٢].

كما أخبر صلى الله عليه وسلم بفتح المسلمين للسند والهند، روى الإمام أحمـــد في مسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي خَلِيلِي الصَّادِقُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْثٌ إِلَى السِّنْدِ وَالْهِنْدِ، فهذا الخبر الصادق وقع كما أخبر صـــلى الله عليه وسلم فقد فتح المسلمون الهند أيام معاوية سنة ٤٤هـــ أربع وأربعين ثم تـــوالى الغـــزو والفتح كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يبلغ أصحابه بهذه الغيوب رغم مـــا كـــان عليـــه المسلمون من ضعف، يروى لنا عدى بن حاتم رضى الله عنه إحدى هذه الأخبار، فيقـــول: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَـــكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، [فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فلعلك إنما يمنعك عن الإســـلام أنك ترى من حولي خصاصة، إنك ترى الناس علينا ألبا)][٢٣]، ثم قال: (يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْـــتَ الْحِيرَةَ)، قُلْتُ: (لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا).

(٥) شرح صحيح مسلم (٩٧/١٦).
(١) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق.
(٢) هذه الزيادة من رواية الحاكم في مستدركه على الصحيحين.

قَالَ: (فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لا تَخَافُ أَحَدًا إِلا اللَّهَ)، [يقول عدي، وهو يتشكك من وقوع هذا الخبر] قُلْتُ: فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلادَ.

ثم يقول صلى الله عليه وسلم: وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى، قُلْتُ: (كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ). قَالَ: (كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ).

هذه ثلاث نبوءات يبشر بها رسول الله عليه وسلم رغم ما كان عليه المسلمون من ضعف وفاقة، حتى أن عديًا تشكك في وقوعها، ولكن هل تحققت هذه النبوءات يقول عدي: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لا تَخَافُ إِلا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ[٢٤].

وصدق عدي رضى الله عنه، حيث تحققت النبوءة الثالثة زمن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

فتح القسطنطينية.

أخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف الذى أخرجه الامام احمد فى مسنده ٤/٢٣٥ وكذلك البخارى فى التاريخ والطبرانى فى الكبير"لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش"بعد ثمانى قرون ونصف القرن وبعد احدى عشر محاولة حتى بدا الأمر وكأنه محال ولقد كانت هذه المدينة محاطة بموانع تجعل التفكير فى اقتحامها غرور، ولكن تحقق خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم و تحققت هذه البشارة العظيمة فى تاريخ العالم الأسلامى.وذلك على يد محمد الفاتح بن مراد الثانى فى عام**٨٥٣هـ**.

(١) رواه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، فيما عدا قوله: ((فلعلك إنما يمنعك عن الإسلام أنك ترى من حولي خصاصة، أنك ترى الناس علينا إلباً)).

عودة ارض الجزيرة مروجا وانهارا

ومن الغيوب التي أبلغ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يظهر تحققها إلا في العقود الأخيرة، ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا"[٢٥].يقول الدكتور زغلول النجار: ".. وهذا الحديث الشريف من المعجزات العلمية التي تصف حقيقة كونية لم يدركها العلماء إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين حين ثبت لهم بأدلة قاطعة أن جزيرة العرب كانت في القديم مروجًا وأنهارًا، كما تشير الدراسات المناخية إلى أن تلك الصحراء القاحلة في طريقها الآن للعودة مروجًا وأنهارًا مرة أخرى، وذلك لأن كوكب الأرض يمر – في تاريخه الطويل – بدورات مناخية متقلبة تتم على مراحل زمنية طويلة ومتدرجة – كما قد تكون فجائية ، ومتسارعة. وبدراسات متأنية ثبت لنا أن جزيرة العرب قد مرت في خلال الثلاثين ألف سنة الماضية بسبع فترات مطيرة تخللت ثماني فترات جافة، تمر حاليًا بالفترة الثامنة منه.

وتشير الدراسات المناخية إلى أننا مقدمون على فترة مطيرة جديدة شواهدها بدايات زحف للجليد في نصف الكرة الشمالي باتجاه الجنوب، وانخفاض ملحوظ في درجات حرارة فصل الشتاء.

وفي فترات المطر كسيت الجزيرة العربية بالمروج الخضراء، وتدفقت الأنهار بالمياه الجارية، وتحولت المنخفضات إلى بحيرات زاخرة بالحياة، وعمرت اليابسة بمختلف صور الحياة الأرضية، كما وصفها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نحن بصدده وحتى صحراء الربع الخالي التي تعتبر اليوم واحدة من أكثر أجزاء الأرض قحولة وجفافًا ثبت أن بها أعدادًا من البحيرات الجافة، والمجاري المائية القديمة المدفونة تحت رمالها السافية، وأن تلك

(١) مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

البحريات والمجاري المائية كانت زاخرة بالحياة، ومتدفقة بالمياه إلى زمن قوم عاد الذين أقاموا في جنوب الجزيرة العربية حضارة مادية لم يكن يدانيها في ازدهارها المادي حضارة أخرى في زمانها.

وقد وصف الحضارة المادية لقوم عاد أثناء ازدهارها اثنان من المؤرخين القدامى كان أولهما بطليموس الإسكندري، الذي كان أمينًا لمكتبة الإسكندرية وقام برسم الأنهار المتدفقة في منطقة الربع الخالي الحالية بتفرعاتها، والبحيرات التي كانت تفيض إليها ، وكان ثانيهما هو بليني الكبير ، أحد مؤرخي الحضارة الرومانية والذي وصف حضارة عاد بأنها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخرى.

وتمثل فترة الأمطار الغزيرة الأخيرة في شبه الجزيرة العربية في خلال الثلاثين ألف سنة الماضية نهايات العصر الجليدي الأخير الذي عم الأرض خلال المليوني سنة الأخيرة في دورات متتالية من زحف الجليد وانحساره تركت بصماتها واضحة على أشكال سطح الأرض الحالية بصفة عامة، وفي نصفها الشمالي بصفة خاصة، وقد حصى العلماء من تلك الدورات عشرين دورة استغرقت كل منها حوالي المائة ألف سنة، كان نصفها دورات زحف جليدي تخللتها عشرة دورات من دورات انحسار هذا الزحف الجليدي، ونعيش اليوم في نهاية آخر دورة من دورات هذا الانحسار الجليدي، ويبشر العلماء ببداية دورة من دورات هذا الانحسار الجليدي، ويبشر العلماء ببداية دورة جليدية جديدة قريبًا إن شاء الله، وقد بدأت شواهد هذا بالفعل.وإشارة المصطفى صلى الله عليه وسلم إليها في حديثه الكريم "تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا" مما يشهد له بالنبوة وبالرسالة، وبأنه عليه الصلاة وأزكى التسليم كان دومًا موصولاً بالوحي، ومُعَلَّمًا من قِبَل خالق السماوات والأرض .

ويدخل كذلك في دلائل صدقه صلى الله عليه وسلم إخباره بأشراط الساعة وعلامات القيامة، فكل ما يحدث من أشراط الساعة؛ كظهور الدجال، ويأجوج ومأجوج، وظهور الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، بل والنفخ في الصور، وغير ذلك؛ هو من

معجزاته صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بها قبل أن يكون، فكذّبهم المكذّبون، فإذا ظهر بعد مئات، أو آلاف السنوات، كما أخبروا به كان هذا من آيات صدقه صلى الله عليه وسلم.

ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين

أحدهما : كثرتها، وأنه لم يؤت نبي معجزةً إلا وعند نبينا مثلها، أو ما هو أبلغ منها، وقد نبه الناس على ذلك، وأما كونها كثيرة فهذا القرآن، وكله معجز، وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)، أو آية في قدرها، وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة، وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة.

ثم إعجازه ـــ كما تقدم ـــ بوجهين : طريق بلاغته، و طريق نظمه، فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان ، فتضاعف العدد من هذا الوجه.

ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار بعلوم الغيب، فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب، كل خبر منها بنفسه معجز، فتضاعف العدد كرة أخرى.

ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب التضعيف، هذا في حق القرآن وحده، فلا يكاد يأخذ العد معجزاته، ولا يحوي الحصر براهينه.

ثم الأحاديث الواردة، والأخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله يبلغ نحواً من هذا.

الوجه الثاني : وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم، فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم، وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه، أما معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة القرآن الكريم فهي متجددة ومناسبة لأهل كل زمان ومكان، فالقرآن

الكريم كما ذكرنا لا تنقضى عجائبه، فإن كانت معجزات الرسل قد انقرضت بانقراضهم، وعُدمت بعدم ذواتها، فإن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع، وآياته تتجدد ولا تضمحل، ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث أبي هريرة الذي ذكرناه في أول الفصل: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة**).

ثالثا معجزة الصحابة الكرام.

يقول محمد الغزالى فى كتاب علل وأدوية"فان محمد صلى الله عليه وسلم مات يقينا " **إنك ميت وإنهم ميتون**" غير ان روحه صلى الله عليه وسلم بقيت يتحرك بها أصـــحابه ، لقـــد أشربوا منه حب الله وطلب رضاه والإستعداد للقائه والشوق الي جنته فهـــذه العواطـــف الجياشة أقدرتهم على تبديد اسوار الباطل العاتية وتلاشت امبراطوريات استعصت على الفناء قرونا طويلة. ،و أوجه الإ عجاز فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتضح بأمرين لم يعرف به غيرهم فى تاريخ وقصص النبوات السابقة.١-انهم نقلوا الوحي السماوي كلـــه لم يسقط منه حرف واحد ونقلوا الحياة والسنة النبوية كذلك وربوا من الأتباع مـــن حـــذا حذوهم، فإذا الإسلام يبقى في أصوله النظرية مصونا من كل شائبة وتوفرت للرسالة الخاتمة كل عناصر الخلود ، وظلت وستظل كلمة الله الأخيرة للخلائق أجمعين . ولو لم يكن لهم هذا فقط لكفاهم لكنهم مع ذلك أيضا

٢- جعلوا عالمية هذه الرسالة حقيقة واقعة فإن النبي صلى الله عليه وســـلم لحـــق بـــالرفيق الأعلى والإ سلام لم يتجاوز حدود جزيرة العرب، وقد عملوا بعلمهم ان النبي صـــلى الله عليه وسلم مبعوث للعالم كله وأنهم كذلك " كما قال ربعي بن عامر لرســـتم . (إن الله إبتعثنا لنخرج من شاء من عباده من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الـــدنيا إلى سعتها) وفى رواية (ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا

والآخرة فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه)!!!!" و لم يكن الطريق لجعل عالميـــة هـــذه االرسالة حقيقة واقعة لم يكن طريقا سهلا بل إ عترضتهم جبال عالية وعقبات عاتية متمثلة فى رعاع العرب داخل الجزيرة محاولين إعادة الليل المدبر وانهاض الجاهلية المسحوقة،كما أن مجوس فارس وصليبي الرومان إعترضوا بعنف مسار الدعوة. غير ان معجزته صلى الله عليـــه وسلم والمتمثلة في هذا الجيل الذى كان تجاه هذه العقبات كان صبل المعدن شديد البأس، جمع بين الصرامة والكرامة لم تلن قناته، نازل قوى الباطل حتى كسر شـــوكتها وأســـقط دولتها" ان تربية محمد صلى الله عليه وسلم لهذا الجيل معجزته الكبرى بعد القرآن الكـــريم" وان من ينكر أو يتنكر لهذه المعجزة المتمثلة فى هذا الجيل الفريد كمن ينكر أى من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه جيل لا نظير له فى تاريخ الرسالات ونعرف ذلك بالموازنة العادلـــة والمقارنة البسيطة. فـــ"بطرس" أحد الحوارين الكبار، وقد صحب سيدنا عيسى عليه السلام طويلا ومع ذلك عندما تعرض سيدنا عيسي للأضطهاد، شرع خصومه من اليهود والرومان يقاومون تعاليمه بغضب وصدرت آوامر الظلم بمصادرة النصرانية واعتقال اتباعها وتعرض سيدنا عيسي لحرج شديد فى هذ الأونة ألقي القبض على"بطرس" وسئل أتعرف عيسي بن مريم ؟ قال: لا. وأنكر عدة مرات أنه ليس له به صلة وآثر النجاة.وانظر الى سيدنا" زيد بن الدثنة" وقد أسره المشركون، وساقوه الى ساحة القتل ، وأحاطوا به في لحظاتـــه الأخـــيرة ليشمتوا ويشتفوا ! قال له أبو سفيان والرمح مصوب نحو بطن "زيد" ليغرس فى أحشائه... أنشدك بالله يا زيد أتحب ان محمد الآن لدينا مكانك ، وانت سالم في أهلك؟ قـــال زيـــد: والله ما أحب ان محمدا صلى الله عليه وسلم الآن فى مكانه الذى هو فيه تصـــيبه شـــوكة تؤذيه، وانى جالس في أهلي. قال ابو سفيان ما رأيت من الناس أحد يحب أحد كما يحـــب أصحاب محمد محمدا. واستشهد الصحابي الوفي المحب لله ولرسوله، وهـــو الآن يمـــرح فى بحبوحة الجنة جمعنا الله به والقارئ منة منه سبحانه وكرما. الفرق بين بطـــرس وزيـــد،هو الفرق بين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الناس، انهم طراز آخر من البشـــرية

الزاكية ومن ثم يمكننا القول بأنهم جزء من حياة النبي صلى الله عليه وسلم بل أيضا انهم من جزء من معجزاته صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك غار عليهم صلى الله عليه وسلم فقد روى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم قال: الله الله فى أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي : فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه" إ ان قولنا انهم من معجزاته صلى الله عليــه وسلم لا يجعلنا نزعم انهم معصومون ولا أنهم في الفضل سواء ولا نجزم ونقطع القول بان هذا الجيل لن يتكرر لكنهم صناعة وأختيار سماوي لصحبة النبي الخاتم وحمل رسالته مــن بعده للدنيا [٢٦] ليت المجال يتسع لنستعرض صفحات أخري من صفحات هؤلاء الأفــزاز ليتضح لنا وجه الإعجاز.

جانب من الأدلة العقلية الدالة على صدق رسالته ونبوته صلى الله عليه وسلم[٢٧]

إن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة في قوم أميين، قليل جداً فيهم من يحسنها وما ذلك إلا من أجل أن لا يشك شاك في الوحي الذي أنزل عليه، ويزعم باطلاً بأنه من عنده ومن تأليفه صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** {العنكبوت/٤٨}

وجاء صلى الله عليه وسلم بما أعجز العرب عن الإتيان بمثله وســحرهم ببلاغتــه وفصاحته فكانت معجزته الخالدة القرآن الكريم الذي أُنزِلَ عليه، يقــول صــلى الله عليــه وسلم: " مامن الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنمــا كــان الذي أوتِيتَهُ وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامــة " (صــحيح البخاري وصحيح مسلم)

[٢٦] محمد الغزالى " علل وأدوية"

(١) عبدالرحمن بن عبدالكريم الشيحة " محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم" من إصدارات:المكتب التعاونى للدعوة وتوعية الجاليات بالربوة بالمملكة العربية السعودية

ومع أن قومه كانوا أهل فصاحة ولسان وحذاقة فقد تحداهم القرآن بأن يأتوا بمثله، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله، فقال الله تعالى } **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** {البقرة/٢٣

بل تحدى الخلق جميعاً، فقال الله تعالى : **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** {الإسراء/٨٨

٢-استمراره صلى الله عليه وسلم في دعوته رغم ما واجهه من الصعوبات والمواجهات التي حدثت بينه وبين قومه والتي وصلت إلى حد التآمر عليه لقتله عليه الصلاة والسلام ووضع نهاية لدعوته، ومع ذلك واصل مشواره في الدعوة للدين الجديد الذي أرسل به وصبر على جميع ما كان يلاقي من مشقة وتعب واضطهاد من قومه في سبيل نشر دين الله تعالى، فلو كان أفاكاً مدعياً – وحاشاه صلى الله عليه وسلم – لترك مواصلة الدعوة وخشي على نفسه من الهلكة، وذلك لما يرى من احتشاد قومه لمحاربته وجديتهم في القضاء عليه وعلى دعوته، يقولM..H. Duani . : [٢٨] إن هذا الإيمان وهذا السعي الحثيث، وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد صلى الله عليه وسلم حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته، إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبداً أن يصمد أمام العاصفة التي استمر أوارها عشرين عاماً كاملاً، هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسمو في النفس، كل هذه العوامل تؤدي لامحالة إلى الاستنتاج الذي لامفر منه، وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقاً، هذا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ كان آية في صفاته النادرة، ونموذجاً كاملاً للفضيلة والخير، ورمزاً للصدق والإخلاص، إن حياته وأفكاره وصدقه واستقامته وتقواه وجوده وعقيدته ومنجزاته كل أولئك براهين فريدة على نبوته، فأي إنسان يدرس بدون تحيز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقاً رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو

(١) عمل جزء من حياته قسيساً في كنيسة انكلترا من عام ١٩٣٩م إلى عام ١٩٦٣م ثم أسلم بعد ذلك، نقلاً من كتاب قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل ص ١٠٦-١٠٧

كتاب الله حقاً، وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابد أن يصل إلى هذا الحكـــم أهـــ.

٣-من المعلوم أن كل إنسان – فطرياً- محبب له متع هذه الحياة الدنيا مـــن أمـــوال ومآكل ومشارب ومناكح، قال الله تعالى {{ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ال عمران١٤ .وكل انسان يسعى جاهداً للحصول على هذه المتع بشتى الوسائل والطرق ولكن يختلف الناس في طريقة كسبها، فمن كاسب لها بطريق مشروع ومن كاسب لها بطريق غير مشروع، فـــإذا عرفنا هذه نقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته ساومه قومه وأغروه بجميع المغريات والمتع الدنيوية، ووعدوه بتنفيذ جميع رغباته وتحقيق جميع طلباته، فإن كان يريد السيادة سودوه، وإن كان يريد الزواج زوجوه من أجمل النساء، وإن كان يريد المال أعطوه بشرط أن يترك هذا الدين الجديد والدعوة إليه، فقال لهم بثقة نابعة عن توجيه إلهي " والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه . [٢٩] فلو كان مدعياً أفاكاً – وحاشـــاه صلى الله عليه وسلم – لقبل هذه المساومة واستغل هذه الفرصة لأن ماعرض عليه هو أعلى ما يصبو إليه كل إنسان همه الدنيا،يقول D . M..H. Duani [٣٠]: تحمل صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاماً كاملاً من المتاعب (في مكة) دون انقطاع، وثمان سنوات (في المدينة)[٣١] دون توقف، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكـــان صامداً، رابط الجأش، صلباً في أهدافه ومواقفه، عرضت عليه أمته أن تنصـــبه ملكـــاً

(١) (سيرة ابن هشام ٢ / ١٠١)
(٢) عمل جزء من حياته قسيساً في كنيسة انكلترا من عام ١٩٣٩م إلى عام ١٩٦٣م ثم اسلم بعد ذلك، نقلاً من كتاب قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل ص ١٠٥-١٠٦
(٣) الثابت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أقام في المدينة عشر سنوات .

عليها وأن تضع عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينـــه ونشـــر رسالته، فرفض هذه الإغراءات كلها فاختار بدلاً من ذلك أن يعاني من أجل دعوتـــه لماذا ؟ لماذا لم يكترث أبداً للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخـــاء ؟ لابد أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه .أهـــ

٤-من المعروف والمشاهد أن كل من يتولى الزعامة أو الرياسة يكون جميع ما تحت سلطانه من خيرات ورجال تحت تصرفه ومسخر لخدمته، أما محمد صلى الله عليه وسلم فـــيعلم أن الدنيا ليست دار مستقر وبقاء، فعن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر في جلده فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله لو كنت آذنتنـــا ففرشنا لك عليه شيئا يقيك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ما أنا والدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها" (سنن الترمذي) ويقول عنـــه النعمان بن بشير رضي الله عنه : "لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل – رديء التمر – ما يملأ به بطنه.(صحيح مسلم) وعن أبي هريرة قال: "ما شبع آل محمـــد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام حتى قبض. (صحيح البخاري وصحيح مسلم) مع أن الجزيرة العربية كانت تدين له وهو سبب كل خير أصاب المسلمين إلا أنه كان صلى الله عليه وسلم لايجد في بعض الأوقات من الطعام ما يكفيه، تقول زوجه عائشة رضي الله عنها" أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى طعاما من يهودي إلى أجـــل فرهنـــه درعـــه". (صحيح البخاري)وليس معنى هذا أنه لايستطيع الحصول على مايريد فلقد كانت الثـــروات والخيرات توضع بين يديه في المسجد فلا يقوم من مكانه، ولايقر له قرار حتى يوزعها على الفقراء والمساكين، ولقد كان من أصحابه عليه الصلاة والسلام أصحاب أموال وثـــروات وخيرات، وكانوا يتسابقون لخدمته ويبذلون كل غالٍ ونفيس من أجله، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان يعرف حقيقة الدنيا فقال:"والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحـــدكم إصبعه هذه – وأشار بالسبابة في اليم-البحر-، فلينظر بما ترجع"(صحيح مسلم)

٥- تقول Lady E. cobold[٣٢] في كتابها الحج إلى مكة(لنـــدن ١٩٣٤): مـــع أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان سيد الجزيرة العربية ... فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفياً بأنه رسول الله، وأنه خادم للمسلمين ينظـــف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريماً باراً كأنه الريح السارية لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه وما لديه في أكثر الأحايين قليل لا يكاد يكفيه .أهـــ

٦- أنه صلى الله عليه وسلم كانت تنزل به بعض الحوادث العصيبة التي تحتـــاج إلى إيضاح وتبيين فلايستطيع إزاءها عمل شيء بسبب عدم نزول الوحي عليه فيعيش فترة مـــا قبل نزول الوحي في حال من الهمّ والغمّ ومن ذلك قضية الإفك التي اتهم الرسول فيهـــا في عرضه عليه الصلاة والسلام فمكث شهراً وأعداؤه يتكلمون فيه، وينالون مـــن عرضـــه، ويتغامزون ويتلامزون إلى أن نزل الوحي بتبرئة ساحة زوجه من التهمة التي اتهمت بها، فلو كان مدعياً أفاكاً – وحاشاه صلى الله عليه وسلم- لحل هذه المشكلة في وقتها ولكنه صلى الله عليه وسلم لاينطق عن الهوى .

٧-أنه صلى الله عليه وسلم لم يدع لنفسه منزلة فوق البشر، فكان صلى الله عليه وســـلم لايرضى أن يعامل معاملة فيها ما يدل على التعظيم، يقول أنس رضي الله عنـــه: لم يكـــن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : "وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك. (سنن الترمذي).يقـــول عنـــه W. Iving [٣٣]: بـــرغم انتصارات الرسول صلى الله عليه وسلم العسكرية لم تثر هـــذه الانتصـــارات كبريـــاءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية وحـــتى في أوج مجده حافظ الرسول صلى الله عليه وسلم على بساطته وتواضعه فكان يكـــره إذا دخـــل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به وإن كان قد هدف إلى تكـــوين

(١) قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل
(١) مستشرق أمريكي ، من كتاب قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل ص ٩٥ ـ ٩٦

دولة عظيمة، فإنها دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، و لم يفكر أن يجعل الحكم فيهـــا وراثياً لأسرته.

٨-نزول بعض الآيات في القرآن بعتاب ولوم للنبي محمد صلى الله عليه وســـلم بســـبب تصرف أو موقف من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم مثل: قول الله تعالى : **يَـــا أَيُّهَـــا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَـــاتَ أَزْوَاجِـــكَ وَاللَّـــهُ غَفُـــورٌ رَّحِـــيمٌ** {التحريم/١وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم حرم على نفسه أكل العسل من أجل بعض زوجاته، فجاءه العتاب من ربه بسبب تحريمه على نفسه ما أحل الله له. وقول الله تعـــالى ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ {التوبة/٤٣ فلقد عاتبه ربه في هذه الآية في المسارعة في قبول الأعذار الكاذبة من المنـــافقين الـــذين تخلفوا عن غزوة تبوك فعفا عنهم بمجرد اعتذارهم من غير أن يختبرهم ويمتحنهم فيعرف الصادق من الكاذب.

* وقول الله تعالى : **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيـــدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** {الأنفال/٦٧ وقالت عائشة - رضي الله عنها-: " لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً مما أنزله الله لكتم هذه الآية * وقوله تعالى: **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** {آل عمران/١٢٨ وقوله تعالى :" عَبَسَ وَتَوَلَّى {١} أَن جَاءهُ الأَعْمَى { ٢} وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّـــى {/٣ فلو كان أفاكاً مدعياً - وحاشاه صلى الله عليه وسلم - لما كان لهذه الآيات الـــتي فيهـــا عتاب للرسول وجود في القرآن.قول Lightneفي كتابه دين الإسلام [٣٤]: (مرةً أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم وحياً شديد المؤاخذة لأنه أدار وجهه عن رجـــل فقـــير أعمى ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذلك الوحي، فلو كان كما يقـــول النصارى بحقه لما كان لذلك الوحي من وجود .أهـــ

(١) باحث إنجليزي ، حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت . نقلاً عن كتاب : قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل

٩-ولعل من الدلالات القطعية على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم وصدق ما جاء به سورة المسد من الحكم القطعي فيها بدخول عمه أبي لهب في النار، وقد أنزلت هذه السورة في بدايات دعوته صلى الله عليه وسلم، فلو كان أفاكاً مدعياً -وحاشاه صلى الله عليه وسلم- لم يطلق حكماً قطعياً كهذا لأنه قد يسلم عمه ؟؟؟ يقول الدكتور Gay Mille [٣٥]: هذا الرجل أبو لهب كان يكره الإسلام كرها شديدا لدرجة أنه كان يتبع محمداً صلى الله عليه وسلم أينما ذهب ليقلل من قيمة ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم، إذا رأى الرسول يتكلم إلى أناس غرباء فإنه ينتظر حتى ينتهي الرسول من كلامه ليذهب إليهم ثم يسألهم ماذا قال لكم محمد؟ لو قال لكم أبيض فهو أسود، ولو قال لكم ليل فهو نهار، والمقصد أنه يخالف أي شيء يقوله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويشكك الناس فيه وقبل عشر سنوات من وفاة أبي لهب نزلت سورة في القرآن اسمها سورة المسد، هذه السورة تقرر أن أبا لهب سوف يذهب إلى النار، أي بمعنى آخر أن أبا لهب لن يدخل الإسلام وخلال عشر سنوات كاملة كل ما كان على أبي لهب أن يفعله هو أن يأتي أمام الناس ويقول :" محمد يقول: إني لن أسلم وسوف أدخل النار، ولكني أعلن الآن أني أريد أن أدخل في الإسلام وأصبح مسلما !! ، الآن مارأيكم؟، هل محمد صادق فيما يقول أم لا ؟ هل الوحي الذي يأتيه وحي إلهي؟ لكن أبو لهب لم يفعل ذلك تماماً رغم أن كل أفعاله كانت هي مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يخالفه في هذا الأمر. يعني القصة كأنها تقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأبي لهب أنت تكرهني وتريد أن تنهيني، حسنا لديك الفرصة أن تنقض كلامي! لكنه لم يفعل خلال عشر سنوات كاملة!! لم يسلم ولم يتظاهر حتى بالإسلام!

عشر سنوات كانت لديه الفرصة أن يهدم الإسلام بدقيقة واحدة ! ولكن لأن هذا الكلام

(٢) أكبر داعية للنصرانية في كندا أعلن إسلامه وتحول إلى أكبر داعية للإسلام في كندا ، كان من المبشرين النشطين جداً في الدعوة إلى النصرانية وأيضا هو من الذين لديهم علم غزير بالكتاب المقدس Bible وهذا النقل من كتابه " القرآن المذهل "

ليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه وحي ممن يعلم الغيب، ويعلم أن أبا لهب لن يسلم.

-كيف لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أن أبا لهب سوف يثبت ما في السورة إن لم يكن هذا وحياً من الله؟؟.-كيف يكون واثقا خلال عشر سنوات كاملة أن ما لديه حق، لو لم يكن يعلم أنه وحي من الله؟؟ لكي يضع شخص هذا التحدي الخطير ليس له إلا معنى واحد هذا وحي من الله ..

بسْمِ اللّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ {١} مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ { ٢} سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ { ٣} وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ {٤} فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ {٥}

فلنفترض جدلا ان ابا جهل عنده من الغباء ما يعمى عليه مثل هذا فهل الوليد بن المغيرة أيضا غبيا بل ان مثل هذا تكرر مع من هم أشد عداوة اليهود وقد نزل فيهم "سيقول السفهاء ما ولاهم عن قبلتهم " الم يكن فى امكانهم الا يقولوا ولكنهم قالوا. وايضا قوله تعالى "سنسمه على الخرطوم" اعرنى قلبك وعقلك عزيزى القارىء اى خبير عسكرى الذى يتوقع ان يصيب عدوه- فى حرب بالسيوف — ويحدد مكان الأصابة وفى مكان دقيق- فى رجله فى ذراعه كلا!!- ان الاصابة ستكون فى أنفه سبحان الله الم يكن فى وسعه الا يدخل الحرب أصلا !! أليس هذا دليلا على انه أنزله عليم خبير بما كان وما سيكون . " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم" لماذا لا يقوم اليهود والنصارى الان ويعلنوا عن رضاهم بالاسلام وبنبى الاسلام -وان كان الرضى عملا قلبيا محضا- فلو انهم اعلنوا ذلك فلو كانوا صادقين فبذلك يكونوا مسلمين ولوا اعلنوا ذلك كذبا فلن يفضحوا الا انفسهم ويبينوا كذبهم ان هذه الاية فيها تحدى مبين الى يوم الدين وكذلك ورد في القرآن اسم أحمد في آية من آياته بدلاً من محمد في قول الله تعالى: **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا**

بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ {الصف/٦ فلو كان أفاكاً مدعياً – وحاشاه صلى الله عليه وسلم – لما كان لهذا الاسم ذكر في القرآن .

١٠–أن دينه عليه الصلاة والسلام لازال قائماً إلى يومنا هذا، ومازال الناس يدخلون فيه بأعداد كثيرة ويؤثرونه على غيره من الأديان، رغم ضآلة الدعم الدعوي للإسلام سواءً المادي أو البشري الذي ينفق في مجال الدعوة له، واستمرار وقـــوة الجهـــود المبذولـــة والمناهضة للدعوة الإسلامية والتي لا تألل جهداً للنيل منه وتشويهه وصرف الأنظار عنها، وما ذلك إلا لأن الرب تبارك وتعالى تعهد بحفظ هذا الدين فقال جل من قائل: **نَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** {الحجر/٩} يقول Th . Calyle [٣٦] الكاتب الإنكليزي عن محمد صلى الله عليه وسلم: هل رأيتم قط أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجـــد دينـــاً عجيباً ؟ إنه لايقدر أن يبني بيتاً من الطوب ! فهو إذا لم يكن عليماً بخصـــائص الجـــير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت وإنما هو تل من الأنقـــاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن، وإني لأعلـــم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته .. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقاً..ومحنة أن ينخدع الناس شـــعوباً وأمماً بهذه الأضاليل أهـــ

فحفظ القرآن بعد حفظ الله له في الكتب وصدور الرجال جيلاً بعد جيل لأن حفظـــه وتلاوته وتعلمه وتعليمه من الأمور التي يحرص عليها المسلمون ويتسابقون لها لنيل الخيريـــة التي بينها صلى الله عليه وسلم بقوله:" خيركم من تعلم القرآن وعلمه " (صحيح البخاري) ولقد جرت عدة محاولات للزيادة فيه أو النقص منه أو تغيير بعض الحروف فباءت جميع تلك

(١) قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل ص ١٢٣

المحاولات بالفشل، وذلك لسرعة كشفها وسهولة معرفتها وتمييزها بين آي القرآن الكـــريم. وأما السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني لدين الإسلام فقد حفظت عن طريق رجال ثقـــات عدول فرغوا أنفسهم لتتبع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فأثبتوا الصحيح، وبينـــوا الضعيف، وتكلموا عن الموضوع، ومن رجع إلى كتب الحديث التي تهتم بالأحاديث النبويـــة وتعنى بها عرف حقيقة هذه الجهود المبذولة لحفظ جميع ماصدر عنه صلى الله عليـــه وســـلم ولزال عنه الشك في صحة ما صح عنه صلى الله عليه وسلم .

يقول Michael Hart في كتابه دراسة المائة الأوائل[٣٧] : لقد أسس محمد صلى الله عليه وسلم ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العـــالميين السياســـيين العظام [٣٨]، ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته، فإن تأثيره لايزال قوياً وعارماً .أهـــ

١١-صدق المبادئ التي جاء بها عليه الصلاة والسلام وصحتها وصلاحيتها لكل زمان وفي كل مكان، وما يشاهد من النتائج الطيبة والمباركة في تطبيقها، تشهد بأن ماجاء به وحي من عند الله تبارك وتعالى، أيضاً هل هناك من مانع أن يكون عليه الصلاة والسلام رسولاً مرسلاً من عند الله تبارك وتعالى وقد أرســـل قبلـــه رسل وأنبياء كثر ؟ فإذا كان الجواب بأنه لامانع عقلاً ولاشرعاً فلمـــاذا تنكـــر رسالته ونبوته عليه الصلاة والسلام للناس جميعاً وتثبت رسالات الأنبيـــاء مـــن قبله؟!

١٢-أن التنظيمات والتشريعات التي جاء بها الإسلام على لسان محمـــد صـــلى الله عليه وسلم في مجال المعاملات والحروب والزواج والإقتصاد والسياسة والعبـــادات ... ألخ تعجز البشرية مجتمعة عن الإتيان بمثلها، فهل ياترى يعقل أن يستطيع رجل

(١) أمريكي حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى دكتوراه في الفلك من جامعة برنسون ، عام ١٩٧٢م عمل في مراكز الأبحاث والمراصد ، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية . نقلا عن كتاب : قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل

(٢) ونحن نقول أنه ليس هناك من هو في مصافه صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم الجميع .

أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة أن يأتي بمثل هذا النظام الشامل الذي نظم أمـــور الدنيا جميعها ؟ ألا يدل هذا على صدق نبوته ورسالته وأنه لاينطق عن الهـــوى ؟ .أنه صلى الله عليه وسلم لم يبدأ دعوته ويجهر بها إلا بعد أن بلغ سن الأربعين وولى سن الشباب والعنفوان والقوة وجاء سن الكبر سن الدعة وحب الراحة والهـــدوء، يقول (Thomas . Carlyle) [٣٩] في كتابه الأبطال : ... ومما يبطل دعـــوى القائلين إن محمداً لم يكن صادقاً في رسالته أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة (مع خديجة رضي الله عنها) لم يحاول خلالها إحداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة ... ولم يكن إلا بعـــد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فار بصدره ذلك البركان الذي كـــان هاجعـــاً وثار يريد أمراً جليلاً وشأناً عظيماً أهـــ. ويقول (Landau .) [٤٠] في كتابـــه الإسلام والعرب: كانت مهمة محمد صلى الله عليه وسلم هائلة، كانـــت مهمـــة ليست في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية – وهو الوصف الذي رمى به بعـــض الكتاب الغربيين المبكرين الرسول العربي صلى الله عليه وسلم – أن يرجو النجـــاح في تحقيقها .بمجهوده الشخصي، إن الإخلاص الذي تكشف عنه محمد صـــلى الله عليه وسلم في أداء رسالته وما كان لأتباعه من إيمان كامل في ما أنزل عليـــه مـــن وحي واختبار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد صلى الله عليه وسلم بأي ضرب من الخداع المتعمد ولم يعرف التاريخ قـــط أي تلفيـــق (ديني) متعمد استطاع أن يعمر طويلاً، والإسلام لم يعمر حتى الآن ما ينـــوف – يزيد – على ألف وثلاثمائة سنة وحسب، بل إنه لا يزال يكسب في كل عام أتباعاً جدداً، وصفحات التاريخ لاتقدم إلينا مثلاً واحداً على محتال كان لرسالته الفضـــل

(١) قالوا عن الإسلام للدكتور / عماد الدين خليل ص ١٢٤
(٢) ناقد انجليزي استاذ الدراسات الإسلامية وشمالي أفريقيا في المجمع الأمريكي للدراسات الآسيوية في سان فرنسيسكو (١٩٥٣) / ماذا قالوا عن الأسلام د/ عماد الدين خليل

في خلق إمبراطورية من إمبراطوريات العالم وحضارة من أكثر الحضارات نـــبلاً .
أهـــ

١٣-**وإن القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كاذبًا في نبوته لهو طعـــن في الرب تبارك وتعالى**، ولقد استدل الإمام ابن القيم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصر الله وتأييده له، يقول ابن القيم: وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشـــير إليه اليهود بالعلم والرياسة، فقلت له في أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمدا صلى الله عليـــه وسلم قد شتمتم الله أعظم شتيمة، فعجب من ذلك وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟ فقلـــت له: اسمع الآن تقريره؛ إذا قلتم : إن محمدا ملك ظالم، وليس برسول من عند الله، وقد أقـــام ثلاثا وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا، وأُوحي إلي كذا؛ ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير ديـــن الأنبيـــاء، ومعاداة أممهم، ونسخ شرائعهم؛ فلا يخلو إما أن تقولوا: إن الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه، أو تقولوا: إنه خفي عنه ولم يعلم به.

فإن قلتم: لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل، وكان من عَلَم ذلك أعلم منه.

وإن قلتم: بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه، فلا يخلو إما أن يكون قادرا على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أو لا، فإن لم يكن قادرا فقد نســـبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادرا وهو مع ذلك يعزه وينصره، ويؤيده ويعليـــه ويعلى كلمته، ويجيب دعاءه، ويمكنه من أعدائه، ويظهر على يديه من أنـــواع المعجـــزات والكرامات ما يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء، فضلا عـــن رب الأرض والسماء، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه، وهـــذه عندكم شهادة زور وكذب.

فلما سمع ذلك قال معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق مـــن اتبعه أفلح وسعد. قلت : فما لك لا تدخل في دينه ؟، قال : إنما بعث إلى الأميين الـــذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه.

قلت له : غُلبت كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رســـول الله إلى جميع الخلق، وإن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به، فأمسك و لم يحر جواباً"[٤١].

إن هذه المناظرة التي أجراها الإمام ابن القيم لهي دليل واضح على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الله عزوجل لم يكن لينصره ويؤيده هذا التأييد إن لم يكن خـــاتم النبيين وسيد المرسلين، ونذكر هنا بعض صور نصر الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليـــه وسلم.

١٤- زيادة أتباعه وانتشار دينه صلى الله عليه وسلم:

من أكبر صور نصرة الله عزوجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أتباعه في زيـــادة مطردة مستمرة ودينه في انتشار وصعود دائم، قد مضى عليه أكثر من ١٤ قرنًـــا وهـــو في انتشار وتزايد حتى بلغ عدد أتباعه أكثر من ١,٣ مليار مسلم ويوشك أن يصبح الإســـلام في الأعوام القادمة هو الدين الأول في الأرض، فقد أظهرت إحصائية غربية عن معدل انتشـــار الأديان الثلاثة (اليهودية والنصرانية والإسلام) في العالم خلال الخمسين سنة الماضية النتـــائج التالية:اليهودية: - ٤%.-النصرانية : ٥٧%.-الإسلام: ٢٣٥%[٤٢].

إن هذه النتائج لهي من علامات الصدق والحق فإن الكـــذب والباطـــل لا بـــد أن ينكشف في آخر الأمر فيرجع عنه أصحابه ويمتنع عنه من لم يدخل فيـــه. لقـــد دخـــل في الإسلام فئام من الناس في الماضي والحاضر، من بينهم ملوك وعلماء لا يشك أحد في عقولهم ورجاحته، وسوف نورد هنا بعض الأمثلة على ذلك من القديم والحديث:

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم.
(٢) The Straight Path / Sept-Oct. 1991

١٥موكب العائدين الى الله تعالى

إسلام عبد الله بن سلام:

ومن هذه الوقائع إسلام عالم اليهود وابن عالمهم عبد الله بن سلام رضي الله عنـــه الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة.

كان عبد الله بن سلام من يهود المدينة الذين يعرفون صفة النبي المنتظر وينتظـــرون خروجه، ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية كان عبد الله بن سلام كان فوق نخلة له، فسمع رجة فقال: ما هذا؟، قالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وســـلم قد قدم، فألقى بنفسه من أعلى النخلة ثم خرج ينظر إلى رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم ويبحث عن علامات النبوة.

يقول عبد الله بن سلام: فلما تبينت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب[٤٣]، فكان أول شيء سمعته يقوله: (أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحـــام، وصـــلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)[٤٤].ثم رجع فقالت له أمه: لله أنت، لو كان موســـى بـــن عمران عليه السلام ما كان بذلك تلقي نفسك من أعلى النخلة، فقال: والله لأنا أشد فرحا بقدوم رسول الله من موسى إذ بعث[٤٥].

وفي رواية ابن إسحاق: أنه قال لعمته خالدة: أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بعث بما بعث به، فقالت: أي ابن أخي ! أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نَفَس الساعة؟ فقلت لها : نعم[٤٦].ثم توجه ابن سلام بعد ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأله عن أمور يعلم أنه لا يعرفها إلا نبي، روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) في هذا دليل صريح على أن إمارات الصدق ودلائل النبوة كانت تلوح من وجه رسول الله | ، فمن رأه ولم يؤمن به فقد خاب خيبة كبيرة.
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٦٦٨).
(٣) قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن حمزة بن يوسف لم يدرك جده عبدالله بن سلام ،مجمع الزوائد ٢٤٣/٨.
(٤) ابن هشام في السيرة النبوية (١٢٥/٢).

وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاث لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا نَبِيٌّ قَالَ مَا أَوَّلُ أَشْرَاط السَّاعَة وَمَا أَوَّلُ طَعَام يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّة وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيه وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَاله.فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ.قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّه ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُود مِنْ الْمَلائِكَة.فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاط السَّاعَة فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِق إِلَى الْمَغْرِب، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَام يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّة فَزِيَادَةُ كَبِد حُوت، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَد فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا.قَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّه، ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتْ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّه الْبَيْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَيُّ رَجُل فِيكُمْ عَبْدُ اللَّه بْنُ سَلام.

قَالُوا: أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْبَرُنَا وَابْنُ أَخْبَرِنَا.فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّه.قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلكَ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: مِثْلَ ذَلكَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّه، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا ما كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّه[٤٧].وفي رواية: فَخَرَجَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْيَهُود اتَّقُوا اللَّهَ فَوَاللَّه الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّه وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ.

إسلام سلمان الفارسي

ومن القصص العجيبة في هذا الشأن، قصة إسلام الصحابي الجليل سلمان الفارسي.الباحث عن الحقيقة وقد هداه الله اليها :

قال عبد الله بن عباس: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَة مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّه إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ أَيْ مُلازِمَ النَّارِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٩٩)، (٤٢١٠)، ٣٦٢١).

وَأَجْهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذي يُوقِدُهَا لا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً، قَالَ وَكَانَتْ لأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا.

فَقَالَ لِي يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ وَكُنْتُ لا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ. قَالَ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلاتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ وَقُلْتُ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا فَقُلْتُ لَهُمْ أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ قَالُوا بِالشَّامِ قَالَ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلَتْهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ.

قَالَ فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ أَيْ بُنَيَّ أَيْنَ كُنْتَ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ.

قَالَ قُلْتُ يَا أَبَتِ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ فَوَاللَّهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ.قَالَ: أَيْ بُنَيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ.قَالَ: قُلْتُ كَلا وَاللَّهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا قَالَ فَخَافَنِي فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ.قَالَ وَبَعَثْتُ إِلَيَّ النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ.قَالَ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى قَالَ فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ.قَالَ فَقُلْتُ لَهُمْ إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ.

قَالَ فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ قَالُوا الأُسْقُفُّ فِي الْكَنِيسَةِ.قَالَ فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ قَالَ فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ.قَالَ فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ثُمَّ مَاتَ

فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ.فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا.قَالُوا وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ.قَالَ قُلْتُ أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ قَالُوا فَدُلَّنَا عَلَيْهِ قَالَ فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ قَالَ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا قَالَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا وَاللَّهِ لا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ.قَالَ يَقُولُ سَلْمَانُ فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَلا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ وَلا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلُهُ وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ.فَقُلْتُ لَهُ يَا فُلانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلَكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي.قَالَ أَيْ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلانٌ فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَالْحَقْ بِهِ.قَالَ فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ يَا فُلانُ إِنَّ فُلانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ.قَالَ فَقَالَ لِي أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ.قُلْتُ لَهُ يَا فُلانُ إِنَّ فُلانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي.

قَالَ أَيْ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلا بِنَصِيبِينَ وَهُوَ فُلانٌ فَالْحَقْ بِهِ.

وَقَالَ فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي.قَالَ فَأَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَلَمَّا حَضَرَ.قُلْتُ لَهُ يَا فُلانُ إِنَّ فُلانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلانٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي.قَالَ أَيْ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ قَالَ فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا.قَالَ فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي.فَقَالَ أَقِمْ عِنْدِي

فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ قَالَ وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ قَالَ ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ فَلَمَّا حَضَرَ.

قُلْتُ لَهُ يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي.قَالَ أَيْ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ. قَالَ ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثَ ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا فَقُلْتُ لَهُمْ تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ قَالُوا نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا فَكُنْتُ عِنْدَهُ وَرَأَيْتُ النَّخْلَ وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ.فَقَالَ فُلَانٌ قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ.قَالَ فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي قَالَ وَنَزَلْتُ عَنْ النَّخْلَةِ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ مَاذَا تَقُولُ مَاذَا تَقُولُ قَالَ فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً ثُمَّ قَالَ مَا لَكَ وَلِهَذَا أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ قَالَ قُلْتُ لا شَيْءَ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عَمَّا. قَالَ وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِقُبَاءَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ وَهَذَا شَيْءٌ

كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالَ فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ كُلُوا وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ.

قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ وَاحِدَةٌ ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ.فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا.

قَالَ فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَاتَانِ اثْنَتَانِ.ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ قَالَ وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَدَرْتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي.قَالَ فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي.

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَوَّلْ فَتَحَوَّلْتُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ.قَالَ فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرٌ وَأُحُدٌ.

قَالَ ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً.فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ أَعِينُوا أَخَاكُمْ فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ الرَّجُلُ بِثَلاثِينَ وَدِيَّةً وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ يَعْنِي الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ.فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ فَأَدَّيْتُ

النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي فَقَالَ مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ قَالَ فَدُعِيتُ لَهُ فَقَالَ خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ فَقُلْتُ وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ قَالَ خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ قَالَ فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعُتِقْتُ فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ[٤٨].

مخيريق خير يهود:

وهذا يهودي آخر كادت أن تضله نفسه عن طريق الحق إلا إنه أفاق وذكر قومه من أهل الكتاب بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الواردة في التوراة، إنه مخيريق خير يهود كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم.ذكر ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق قال: كان من حديث مخيريق، وكان حبرا عالما، وكان رجلا غنيا كثير الأموال من النخل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد في علمه وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد، وكان يوم موقعة أحد يوم السبت من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة، فقال : يا معشر يهود ! والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا : إن اليوم يوم السبت. قال : لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما شاء.فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(مخيريق خير يهود)[٤٩].((نعم الرجل مخيريق عرف الحق بعقله ولما صفا قلبه من التقليد والهوى والركون للدنيا، واستنار بشمس الحق

(١) مسند الإمام أحمد (٤٤١/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٦/٩): رواه أحمد كله والطبراني في الكبير بنحوه بأسانيد وإسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبراني رجالها رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع . ورجال الرواية الثانية انفرد بها أحمد ورجالها رجال الصحيح غير عمرو بن أبي قرة الكندي وهو ثقة ورواه البزار، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة رقم (٨٩٤).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١٢٦/٢).

ضحى من أجل هذا الحق بالدنيا فنال شرف الدنيا والآخرة. ان لحظة معانقة القلب للحق والأنتصار على النفس والهوى لهى أفضل من أزمنة مديدة وأعمار طويلة من الرتع فى مستنقع الباطل.

– إسلام الترجمان

من أعجب الأخبار في هذا الباب قصة الإمام أبي محمد عبد الله الترجمان الميـــورقي المتوفى سنة ٨٣٢هـــ، كان يدعى "انسلم تورميدا" وكان من أكبر قساوسة النصارى في وقته، بل كان مهيئا لأن يصبح البابا الأكبر، ثم أسلم عندما وقع على آية في الإنجيل تبشر بقـــدوم النبي صلى الله عليه وسلم.

وبعد إسلامه ألف الترجمان كتابه الشهير "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"، وقسمه قسمين؛ القسم الأول: في ذكر قصة إسلامه، والثانية في الـــردود المفصـــلة علـــى النصارى، ونختصر هنا قصة انتقاله إلى الإسلام التي أفاض في تفصيلها:

قال: اعلموا رحمكم الله أن أصلي من مدينة ميورقة[٥٠]، وكان والدي محسوبا مـــن حاضرة ميورقة، ولم يكن له ولد غيري، ولما بلغت ست سنين من عمري أسلمني إلى معلم من القسيسين، قرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثره في مدة سنتين، ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعمل المنطق في ست سنوات، ثم ارتحلت من بلدي إلى مدينـــة لاردة مـــن أرض القسطلان[٥١]، وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك القطر، ويجتمع فيها طلبة العلم مـــن النصارى، وينتهون إلى ألف وخمسمائة ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقـــرؤون عليـــه، فقرأت فيها علم الطبيعيات والنجامة مدة ست سنين، ثم تصدرت فيها أقرأ الإنجيل ولغتـــه

(١) ميورقة: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، جنوب شرقي أسبانيا اليوم، فتحها المسلمون سنة ٢٩٠هـ، وتغلب عليها العدو البرشلوني وخربوها في عام ٥٠٨هـ.
(٢) تدعى اليوم "كاستيلون" و"قسطلة" مدينة بالأندلس.

ملازما ذلك مدة أربع سنين، ثم ارتحلت إلى مدينة بلونية من أرض الأنبردية، وهي مدينـــة كبيرة جدا، وهي مدينة علم ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفي رجـــل يطلبـــون العلوم، ولا يلبسون إلا الملف[٥٢] (الذي هو صباغ الله)[٥٣]، فسكنت في كنيسة لقسيس كبير السن عندهم كبير القدر اسمه: (نقلاو مرتيل)، وكانت منزلته فيهم في العلم والدين والزهد رفيعة جدا، انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فكانت الأسئلة في دينهم تَـــرد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم، ويصحب الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية في بابه، ويرغبون في التبرك به، وفي قبوله لهداياهم، ويتشرفون بذلك. فقرأت علـــى هـــذا القسيس علم أصول النصرانية وأحكامه، ولم أزل أتقرب إليه بخدمته والقيام بكثـــير مـــن وظائفه حتى صيرني من أخص خواصه، وانتهيت في خدمتي له وتقربي إليه إلى أن دفـــع إليَّ مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله ومشربه، وصير جميع ذلك على يدي، ولم يستثن من ذلـــك سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه، والظاهر أنه بيت خزانة أمواله التي كانت تهدى إليه، والله أعلم. فلازمته على ما ذكرت من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين، ثم أصابه مرض يوما من الدهر، فتخلف عن حضور مجلس إقرائه، وانتظـــره أهـــل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلوم، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله عز وجل – على لسان نبيه عيسى عليه السلام في الإنجيل – :(إنه يأتي من بعده نبي اسمه (البارقليط) ، فبحثوا في تعيين هذا النبي من هو من الأنبياء، وقال كل واحد منهم بحسب علمه، وعظـــم مقالهم وكثر جدالهم، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة، فأتيت مسكن القسيس، فقال: مـــا الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم؟ فأخبرته بـــاختلاف القـــوم في اســـم (البارقليط) وسردت له أجوبتهم، فقال لي: وبماذا أجبت أنت؟ فقلت: بجواب القاضي فلان في تفسيره الإنجيل.

(٣) زي يلتحف به.
(٤) لعله زي مصبوغ بصباغ له قداسة عندهم.

فقال لي: ما قصرت وقربت، وفلان أخطأ، وكاد فلان أن يقارب، ولكـــن الحـــق خلاف هذا كله؛ لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلـــم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل، فبادرت قدميه أقبلهما وقلت له: يا ســـيدي قـــد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيد، ولي في خدمتك عشر سنين، حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم أن تمنوا علي بمعرفة هذا الاسم.

فبكى الشيخ وقال لي: يا ولدي، والله أنت لتعز علي كثيرا من أجـــل خـــدمتك لي وانقطاعك إليَّ، في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكني أخاف عليك أن يظهـــر ذلك عليك، فتقتلك عامة النصارى في الحين.

فقلت له: يا سيدي، والله العظيم، وحق الإنجيل ومن جاء به، لا أتكلم بشيء ممـــا تسره إلي إلا عن أمرك. فقال لي: إذن فاعلم يا ولدي أن البارقليط هو اسم من أسماء نـــبي المسلمين محمد، وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام[1]، وأخبر أنه أنه نزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه هو دين الحق، وملته هي الملة البيضـــاء المـــذكورة في الإنجيل.

فقلت: وما تقول في دين هؤلاء النصارى؟، فقال لي: يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول، لكانوا على دين الله؛ لأن عيسى وجميع الأنبياء ديـــنهم ديـــن الله، ولكن بدلوا وكفروا.فقلت: يا سيدي وكيف الخلاص من هذا الأمر ؟ فقال: يـــا ولـــدي بالدخول في دين الإسلام.فقلت:وهل ينجو الداخل فيه ؟ قال: نعم ينجو في الدنيا والآخرة، فقلت: يا سيدي إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم؛ فإذا علمتَ فضل دين الإسلام فما يمنعك منه ؟ فقال: يا ولدي إن الله لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك به إلا بعد كـــبر سني، ووهن جسمي، ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك، لتركت كل شيء ودخلـــت في دين الحق، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى، مـــن رفعـــة

(١) انظر في مناقشة بشارة النبي دانيال كتاب إظهار الحق للإمام رحمة الله الهندي (٢٦٧/٢).

الجاه والعز، والترف، وكثرة عرض الدنيا، ولو أني ظهر علي شيء مـــن الميـــل إلى ديـــن الإسلام، لقتلتني العامة في أسرع وقت، وهب أني نجوت منهم وخلصـــت إلى المســـلمين، فأقول لهم: إني جئتكم مسلما، فيقولون لي : قد نفعت نفسك بنفسك بالدخول في ديـــن الحق، فلا تمن علينا بدخولك في دين خلصت فيه نفسك من عذاب الله، فأبقى فيهم شيخا كبيرا فقيرا ابن تسعين، لا أفقه لسانهم، ولا يعرفون حقي[١].

فقلت: يا سيدي أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل دينهم؟ فقال: إن كنت عاقلا، طالبا للنجاة، فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة، ولكن يا ولدي هذا أمـــر لم يحضره أحد معنا الآن، فاكتمه بغاية جهدك، وإن ظهر عليك شيء منه قتلتك العامة لحينك، ولا أقدر على نفعك، ولا ينفعك أن تنقله عني، فإني أجحده وقولي مصدق عليك، وقولك غير مصدق علي، وأنا برئ من ذلك إن فهت[٢] بشيء، فعاهدته بما يرضيه.

ثم أخذت في أسباب الرحلة وودعته، فدعا لي عند الوداع بخير، فانصرفت إلى بلدي ميورقة، ثم سافرت إلى جزيرة صقلية، وأقمت فيها خمسة أشهر وأنا انتظر مركبـــا يتوجـــه لأرض المسلمين، فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس، فسافرت فيه من صـــقلية وأقلعنـــا عنها قرب مغيب الشفق، فوردنا مرسى تونس قبل الزوال، فلما نزلت بديوان تونس، وسمع بي الذين بها من أحبار النصارى أتوا بمركب وحملوني معهم إلى ديارهم، وصحبتهم أيضـــاً بعضُ التجار الساكنين أيضاً بتونس، فأقمت عندهم في ضيافتهم على أرغد عـــيش أربعـــة أشهر، وبعد ذلك سألتهم هل بدار السلطان أحد يحفظ لسان النصارى، وكان الســـلطان آنذاك مولانا أبا العباس أحمد – رحمه الله- فذكر لي النصارى أن بدار السلطان المـــذكور رجلاً فاضلاً من أكبر خدامه اسمه يوسف الطبيب وكان طبيبه، ومن خواصـــه، ففرحـــت

(٢) هذا سوء ظن وخيال فاسد بالمسلمين أقعد الكثيرين عن اللحوق بركب النجاة، فمن قرأ تاريخ المسلمين ونظر في حاضرهم وماضيهم لعلم كيف تعامل المسلمون مع أهل الذمة من غير المسلمين وأكرموهم، فما الشأن بمن أقبل مسلمًا، وقد عُرف عن المسلمين حبهم وترحيبهم لكل من أقبل على الإسلام مؤمنًا، وهَب أن هذا الوهم صحيح وهذا الظن متحقق فماله لا يصبر على الدنيا الفانية من أجل الأخرة الباقية.
(١) نطقت.

بذلك فرحاً شديداً، وسألت عن مسكن هذا الرجل الطبيب، فدللت عليه واجتمعت بـــه، وذكرت له شرح حالي، وسبب قدومي للدخول في الإسلام، فسُر الرجل بـــذلك ســـروراً عظيماً بأن يكون تمام هذا الخير على يديه، ثم ركب فرسه وحملني معه لدار السلطان، ودخل عليه فأخبره بحديثي، فاستأذنه لي فأذن لي، فمثلت بين يديه، فأول ما سألني السلطان عـــن عمري، فقلت له:خمسة وثلاثون عاماً، ثم سألني عما قرأت من العلوم فأخبرته، فقـــال لي: قدمت قدوم خير، فأسلم على بركة الله. فقلت للترجمان – وهو الطبيب المذكور- : قـــل لمولانا السلطان إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويكثر أهله القول فيه والطعن فيه، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبـــارهم، وتســـألوهم عـــني وتسمعوا ما يقولون في جنابي، وحينئذ أسلم إن شاء الله تعالى، فقال لي بواسطة الترجمـــان: أنت طلبت ما طلب "عبد الله بن سلام" من النبي صلى الله عليه وسلم حـــين أســـلم[١]. ثم أرسل إلى أحبار النصارى وبعض تجارهم وأدخلني في بيت قريب من مجلسه، فلمـــا دخـــل النصارى عليه قال لهم: ما تقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب؟ قالوا له: يا مولانا هذا عالم كبير في ديننا، وقالت شيوخنا: إنهم ما رأوا أعلى من درجته في العلم والدين في ديننا، فقال لهم: وما تقولون فيه إذا أسلم ؟، قالوا: نعوذ بالله من ذلك هـــو مـــا يفعل ذلك أبداً.

فلما سمع ما عند النصارى بعث إليّ، فحضرت بين يديه (وشهدت)شهادتي الحـــق بمحضر النصارى، فصلّبوا على وجوههم، وقالوا: ما حمله على هذا إلا حب التزويج، فـــإن القسيس عندنا لا يتزوج، وخرجوا مكروبين محزونين، فرتب لي السلطان – رحمه الله – ربع دينار كل يوم في دار المختص، وزوجني ابنة الحاج محمد الصفار، فلما عزمت على البناء بها، أعطاني مائة دينار ذهباً وكسوة جيدة كاملة، فبنيت بها، وولد لي منها ولد سميته محمد على وجه التبرك باسم نبينا صلى الله عليه وسلم[٢].

(٢) أوردنا قصة "عبد الله بن سلام" رضى الله عنه فيما سبق من اعتراف أهل الكتاب بنبوته.
(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب للإمام الميورقي طبعة دار البشائر الإسلامية.

وكيل دير المحرق وشهادة الحق

ومن القصص المعاصرة في اعتراف أهل الكتاب بنبوة رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم، ما ذكره الدكتور أحمد حجازي السقا في كتابه "البشارة بنبي الإســـلام"، حيـــث يروي: أنه التقى بـــ (قمص) نصراني في أحد القطارات، علم أنه نصراني لأنه كان يقرأ في الكتاب المقدس، فدار بينهما حوار حول الأحداث التي يشير إليها الإصحاح الثامن من سفر دانيال النبي – عليه السلام-.

وبعد نزولهم من القطار سأله حجازي: أمحمد نبي المسلمين لا يشير إليه الكتاب المقدس ؟.

فأجابه القمص: يشير إليه في آيات كثيرة !! ثم سرد له كثيرا من تلك الآيات !!

ثم عرف أن اسمه (جرجس سلمون فيلمون)، وكان وكيـــل الـــدير المحـــرق في القوصية بأسيوط، وهذا الموقف كان من أسباب كتابة حجازي لكتاب البشارة[١] .

رئيس لجان التنصير يشهد بالحق

ومن القصص المعاصرة إسلام القس إسحق هلال مسيحة، والذي كـــان يعمـــل في مجال التنصير، بل كان يشغل منصب الرئيس الفخري لجمعيات خلاص النفـــوس المصـــرية بأفريقيا وغرب آسيا، يحكى "إسحاق" قصته فيقول: ولدت في محافظة المنيا مـــن والـــدين نصرانيين أرثوذكس، وحين بدأت أدرس حياة الأنبياء بدأ الصـــراع الفكـــري في داخلـــي وكانت أسئلتي تثير المشاكل في أوساط الطلبة مما جعل البابا شنودة الذي تولّى بعـــد وفـــاة البابا كيرلس يصدر قراراً بتعييني قسيساً قبل موعد التنصيب بعـــامين كـــاملين لإغرائـــي وإسكاتي فقد كانوا يشعرون بمناصرتي للإسلام مع أنه كان مقرراً ألا يتم التنصيب إلا بعد مرور ٩ سنوات من بداية الدراسة اللاهوتية.ثم عيّنت رئيساً لكنيسة المثال المسيحي بسوهاج ورئيساً فخرياً لجمعيّات خلاص النفوس المصريّة (وهي جمعيّة تنصيريّة قويّة جدّاً ولها جذور في كثير من البلدان العربية وبالأخص دول لخليج).وكان البابا يغدق عليّ الأموال حتّـــى لا

(٢) البشارة بنبي الإسلام ٤٥/١، بتصرف.

أعود لمناقشة مثل تلك الأفكار لكنّي مع هذا كنت حريصاً على معرفة حقيقة الإسلام و لم يخبو النور الإسلامي الذي أنار قلبي فرحاً بمنصبي الجديد بل زاد، وبدأت علاقتي مع بعـــض المسلمين سراً وبدأت أدرس وأقرأ عن الإسلام .وطُلب منّي إعداد رسالة الماجستير حـــول مقارنة الأديان وأشرف على الرسالة أسقف البحث العلمي في مصر سنة ١٩٧٥، واستغرقت في إعدادها أربع سنوات وكان المشرف يعترض على ما جاء في الرسالة حول صدق نبـــوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأميته وتبشير المسيح بمجيئه.

وأخيراً تمّت مناقشة الرّسالة في الكنيسة الإنكليكيّة بالقاهرة واستغرقت المناقشة تسع ساعات وتركزت حول قضيّة النّبوّة والنّبي محمد صلى الله عليه وسلم علماً بـــأن الآيـــات صريحة في الإشارة إلى نبوّته وختم النّبوّة به، وفي النهاية صدر قرار البابا بسحب الرسالة منّي وعدم الاعتراف بها، ووقتها أخذت أفكر في أمر الإسلام تفكيراً عميقاً حتّى تكون هدايتي عن يقين تام ولكن لم أكن أستطيع الحصول على الكتب الإسلامية فقد شدّد البابا الحراسة عليّ وعلى مكتبتي الخاصّة.

في اليوم السادس من الشهر الثامن من عام ١٩٧٨م كنت ذاهباً لإحياء مولد العـــذراء بالإسكندريّة أخذت قطار الساعة الثالثة وعشر دقائق الذي يتحرك من محطة أسيوط متجهاً إلى القاهرة وبعد وصول القطار في حوالي الساعة التاسعة والنصف تقريباً ركبت الحافلة من محطة العتبة رقم ٦٤ المتجهة إلى العباسيّة. وأثناء ركوبي في الحافلة بملابسي الكهنوتية وصليب يزن ربع كيلو من الذهب الخالص وعصاي الكرير صعد صبيّ في الحادية عشر من عمره يبيع كتيبات صغيرة فوزعها على كلّ الركّاب ماعدا أنا، وهنا صار في نفسي هاجس لم كـــل الركاب إلا أنا، فانتظرته حتّى انتهى من التوزيع والجمع فباع ما باع وجمع الباقي. قلت له: "يا بنيّ لماذا أعطيت الجميع بالحافلة إلا أنا"، فقال: "لا يا أبونا أنت قسيس"، وهنا شـــعرت وكأنّني لست أهلاً لحمل هذه الكتيّبات مع صغر حجمها (**لا يمسّه إلاّ المطهرون**). ألححت عليه ليبيعني منهم فقال: "لا دي (هذه) كتب إسلاميّة" ونزل، وبنزول هذا الصّبي من الحافلة

شعرت وكأنّني جوعان وفي هذه الكتب شبعي وكأنّني عطشان وفيها شربي، نزلت خلفه فجرى خائفاً منّي فنسيت من أنا وجريت وراءه حتّى حصلت على كتابين.

عندما وصلت إلى الكنيسة الكبرى بالعبّاسيّة (الكاتدرائيّة المرقسيّة) ودخلت إلى غرفة النّوم المخصّصة بالمدعوّين رسميّاً كنت مرهقاً من السفر، ولكن عندما أخرجت أحد الكتابين وهو (جزء عم) وفتحته وقع بصري على سورة الإخلاص فأيقظت عقلي وهزت كياني، بدأت أرددها حتى حفظتها وكنت أجد في قراءتها راحة نفسية واطمئناناً قلبياً وسعادة روحية، وبينا أنا كذلك إذ دخل عليّ أحد القساوسة وناداني: "أبونا إسحاق"، فخرجت وأنا أصيح في وجهه (قل هو الله أحد) دون شعور منّي. بعد ذلك ذهبت إلى الإسكندريّة لإحياء أسبوع مولد العذراء، وفي يوم الأحد أثناء صلاة القداس المعتاد وفي فترة الراحة ذهبت إلى كرسي الاعتراف لكي أسمع اعترافات الشعب الجاهل الذي يؤمن بأن القسيس بيده غفران الخطايا. جاءتني امرأة تعض أصابع الندم، قالت: "إني انحرفت ثلاث مرات وأنا أمام قداستك الآن أعترف لك رجاء أن تغفر لي وأعاهدك ألا أعود لذلك أبدا"، ومن العادة المتبعة أن يقوم الكاهن برفع الصليب في وجه المعترف ويغفر له خطاياه.

وما كدت أرفع الصليب لأغفر لها حتى وقع ذهني على العبارة القرآنية الجميلة (**قل هو الله أحد**) فعجز لساني عن النطق وبكيت بكاءً حارّاً وقلت: "هذه جاءت لتنال غفران خطاياها منّي فمن يغفر لي خطاياي يوم الحساب والعقاب. هنا أدركت أن هناك كبير أكبر من كل كبير، إله واحدٌ لا معبود سواه. ذهبت على الفور للقاء الأسقف وقلت له: "أنا أغفر الخطايا لعامة الناس فمن يغفر لي خطاياي"، فأجاب دون اكتراث: "البابا"، فسألته: "ومن يغفر للبابا"، فانتفض جسمه ووقف صارخاً وقال: "أنت قسيس مجنون واللي أمر بتنصيبك مجنون حتّى وإن كان البابا لأنّنا قلنا له لا تنصّبه لئلاّ يفسد الشعب بإسلاميّاته وفكره المنحل"؛ على إثر ذلك صدر قرار البابا بحبسي في دير (ماري مينا) بوادي النطرون. أخذوني معصوب العينين وهناك استقبلني الرهبان استقبالاً عجيباً كادوا لي فيه صنوف

العذاب علماً بأنّني حتّى تلك اللحظة لم أسلم، كل منهم يحمل عصا يضربني بها وهو يقول: "هذا ما يصنع ببائع دينه وكنيسته". استعملوا معي كل أساليب التعذيب الذي لا تزال آثاره موجودةً على جسدي وهي خير شاهدٍ على صحّة كلامي حتّى أنّه وصلت بهم أخلاقهم اللاإنسانيّة أنهم كانوا يدخلون عصا المقشّة في دبري يوميّاً سبع مرّات في مواقيت صلاة الرهبان لمدّة سبعة وتسعين يوماً، وأمروني بأن أرعى الخنازير. وبعد ثلاثة أشهر أخذوني إلى كبير الرهبان لتأديبي دينياً وتقديم النصيحة لي فقال: "يا بنيّ . . إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، اصبر واحتسب، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب"، قلت في نفسي ليس هذا الكلام من الكتاب المقدس ولا من أقوال القديسين، وما زلت في ذهولي بسبب هذا الكلام حتى رأيته يزيدني ذهولاً على ذهول بقوله: "يا بنيّ نصيحتي لك السر والكتمان إلى أن يعلن الحق مهما طال الزمان" تُرى ماذا يعني بهذا الكلام وهو كبير الرهبان. ولم يطل بي الوقت حتى فهمت تفسير هذا الكلام المحيّر، فقد دخلت عليه ذات صباح لأوقظه فتأخر في فتح الباب، فدفعته ودخلت وكانت المفاجأة الكبرى التي كانت نوراً لهدايتي لهذا الدين الحق دين الوحدانيّة عندما شاهدت رجلاً كبيراً في السنّ ذا لحية بيضاء وكان في عامه الخامس والستّين وإذا به قائماً يصلي صلاة المسلمين (صلاة الفجر).

تسمرتُ في مكاني أمام هذا المشهد الذي أراه ولكنّي انتبهت بسرعة عندما خشيت أن يراه أحد من الرهبان فأغلقت الباب، جاءني بعد ذلك وهو يقول: "يا بنيّ استر عليّ ربّنا يستر عليك"، أنا منذ ٢٣ سنة على هذا الحال: غذائي القرآن وأنيس وحدتي توحيد الرحمن ومؤنس وحشتي عبادة الواحد القهّار الحقّ أحقّ أن يتّبع يا بنيّ.

بعد أيّام صدر أمر البابا برجوعي لكنيستي بعد نقلي من سوهاج إلى أسيوط لكن الأشياء التي حدثت مع سورة الإخلاص وكرسي الاعتراف والراهب المتمسّك بإسلامه تركت في نفسي أثراً كبيراً لكن ماذا أفعل وأنا محاصر من الأهل والأقارب والزوجة وممنوع من الخروج من الكنيسة بأمر شنودة. بعد مرور عام جاءني خطاب والمودع بالملف الخاص

بإشهار إسلامي بمديرية أمن الشرقيّة، يأمرني فيه بالذهاب كرئيس للّجنة المغادرة إلى السودان في رحلة تنصيريّة فذهبنا إلى السودان في الأوّل من سبتمبر ١٩٧٩م وجلسنا به ثلاثة شـــهور وحسب التعليمات البابويّة بأن كلّ من تقوم اللجنة بتنصيره يسلّم مبلـــغ ٣٥ ألـــف جنيـــه مصريّ بخلاف المساعدات العينيّة فكانت حصيلة الذين غرّرت بهم اللجنة تحـــت ضـــغط الحاجة والحرمان خمسة وثلاثين سودانيّاً من منطقة واو في جنوب السودان.

وبعد أن سلّمتُهم أموال المنحة البابويّة اتّصلت بالبابا من مطرانيّة أم درمان فقـــال: "خذوهم ليروا المقدسات المسيحيّة بمصر (الأديرة)" وتم خروجهم من السودان على أساس عمّال بعقود للعمل بالأديرة لرعي الإبل والغنم والخنازير وتم عمل عقود صـــوريّة حتّـــى تتمكّن لجنة التنصير من إخراجهم إلى مصر. بعد نهاية الرحلة وأثنـــاء رجوعنـــا بالبـــاخرة (مارينا) في النّيل قمت أتفقّد المتنصرين الجدد وعندما فتحت باب الكابينة ١٤ بالمفتاح الخاص بالطاقم العامل على الباخرة فوجئت بأن المتنصر الجديد عبد المسيح (وكان اسمه محمّد آدم) يصلّي صلاة المسلمين.

تحدّثت إليه فوجدته متمسّكاً بعقيدته الإسلاميّة فلم يغريه المال و لم يؤثّر فيه بريـــق الدنيا الزائل، خرجت وبعد حوالي الساعة أرسلت له أحد المنصّرين فحضر لي بالجناح رقم ٣ وبعد أن خرج المنصّر قلت له: "يا عبد المسيح لماذا تصلّي صلاة المسلمين بعد تنصّـــرك"، فقال: "بعت لكم جسدي بأموالكم، أمّا قلبي وروحي وعقلي فملك الله الواحد القهّـــار لا أبيعهم بكنوز الدنيا وأنا أشهد أمامك بأن لا إله إلا الله وأنّ محمّد رسول الله".

بعد هذه الأحداث التي أنارت لي طريق الإيمان وهدتني لأعتنق الـــدين الإســـلامي وجدت صعوبات كثيرة في إشهار إسلامي نظراً لأنّني قس كبير ورئيس لجنـــة التنصـــير في أفريقيا وقد حاولوا منع ذلك بكل الطرق لأنه فضيحة كبيرة لهم، ذهبت لأكثر من مديريّـــة أمن لأشهر إسلامي وخوفاً على الوحدة الوطنيّة أحضرتْ لي مديريّة الشرقيّة فريقـــاً مـــن القساوسة والمطارنة للجلوس معي وهو المتّبع بمصر لكل من يريد اعتناق الإسلام.

هدّدتني اللجنة المكلّفة من ٤ قساوسة و ٣ مطارنة بأنها ستأخذ كلّ أموالي وممتلكاتي المنقولة والمحمولة والموجودة في البنك الأهلي المصري – فرع سوهاج وأسيوط والتي كانت تقدّر بحوالي ٤ مليون جنيه مصريّ وثلاثة محلات ذهب وورشة لتصنيع الذهب بحارة اليهود وعمارة مكوّنة من أحد عشر طابق رقم ٤٩٩ شارع بور سعيد بالقاهرة فتنازلت لهم عنهـــا كلّها فلا شئ يعدل لحظة الندم التي شعرت بها وأنا على كرسي الاعتراف.

بعدها كادت لي الكنيسة العداء وأهدرت دمي فتعرضت لثلاث محاولات اغتيال من أخي وأولاد عمّي، فقاما بإطلاق النّار عليّ في القاهرة وأصابوني في كليتي اليسرى وتم استئصالها في ١٩٨٧/١/٧م[١].[٢]

البروفسور خالد ميلاسنتوس

(آرثر ميلاسنتوس) دكتوراه في اللاهوت، وكان الرجل الثالث في مجمع كنائس قارة آسية، في أثناء عمله بالتنصير عام ١٩٨٣ قال لنفسه: أي ضير في قراءة القرآن من أجل الرد على المسلمين؟ فتوجه إلى أحد المسلمين سائلاً إياه أن يعيره كتابه المقدس، فوافق المسلم مشترطاً عليه أن يتوضأ قبل كل قراءة، ثم شرع آرثر يقرأ القرآن خفية، ولنستمع إليه يحدثنا عن تجربته الأولى مع القرآن: "عندما قرأت القرآن أول مرة، شعرت بصراع عنيف في أعماقي، فثمة صوت يناديني ويحثني على اعتناق هذا الدين، الذي يجعل علاقة الإنسان بربه علاقة مباشرة، لا تحتاج إلى وساطات القسس، ولا تباع فيها صكوك الغفران !! وفي يوم توضأت، ثم أمسكت بالقرآن فقرأت: **{ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }** فأحسستُ بقشعريرة، ثم قرأت: { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**} فحلت السكينة في الروح الحيرى، وشعرت أني قد خُلقت من جديد".في تلك الليلة لم يصبر آرثر حتى تطلع الشمس، بل اتجه حالاً إلى منزل صديقه المسلم

(١) نشرت هذه القصة في عدد من مواقع الإنترنت منها موقع "طريق الإسلام"، وقصص الذين أسلموا من أهل الكتاب في العصور المتأخرة كثيرة وبها من العبر الكثير ولله الحمد والمنة.
(٢) للمزيد راجع كتاب عادوا الى الفطرة لمؤلفه

ليسأله عن كيفية الدخول في الإسلام ، وبين حيرة الصديق ودهشته نطق آرثر بالشهادتين"[٣].

الدكتور موريس بوكاي.

طبيب فرنسي، رئيس قسم الجراحة في جامعة باريس ، اعتنق الإسلام عام١٩٨٢م ، ويُعتبر كتابه (التوراة والقرآن والعلم) من أهم الكتب التي درست الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة ، وله كتاب (القرآن الكريم والعلم العصري) منحته الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٨٨م جائزة في التاريخ، يقول :"إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه نصوص القرآن لأول مرة هو ثراء الموضوعات العلمية المعالجة، وعلى حين نجد في التوراة الحالية أخطاء علمية ضخمة، لا نكتشف في القرآن أي خطأ، ولو كان قائل القرآن إنساناً فكيف يستطيع في القرن السابع أن يكتب حقائق لا تنتمي إلى عصره، ليس هناك تفسير وضعيّ لمصدر القرآن"[٤].

"لم أجد التوافق بين الدين والعلم إلا يوم شرعت في دراسة القرآن الكريم فالعلم والدين في الإسلام شقيقان توأمان لأن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يدعوان كل مسلم إلى طلب العلم، طبعاً إنما نجمت إنجازات الحضارة الإسلامية العظيمة عن امتثال الأوامر المفروضة على المسلمين منذ فجر الإسلام"[٥].

الحاج إبراهيم أحمد " العقل الحر والصدق مع النفس

(القــس إبراهيم فيلــوبــوس) ، ماجستير في اللاهوت من جامعـــة برنســتون الأمريكية ، من كتبه (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) و(المسيح إنسان لا إله) و(الإسلام في الكتب السماوية) و(اعرف عدوك اسرائيل) و(الاستشراق والتبشير

(١) (لمَ أسلم هؤلاء الأجانب) محمد عثمان (١ / ١٤٧) .
(٢) (دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة) د. موريس بوكاي ص(١٤٥) .
(٣) (القرآن الكريم والعلم المعاصر) د. موريس بوكاي ص(١٢٣) .

وصلتهما بالإمبريالية العالمية) و(المبشرون والمستشرقون في العالم العربي الإسلامي) وقد كان راعياً للكنيسة الإنجيلية ، وأستاذاً للاهوت ، أسلم على يديه عدد كبير من الناس .

يحدثنا الحاج إبراهيم عن رحلته إلى الإسلام ، فيقول :

"في مؤتمر تبشيري دعيت للكلام ، فأطلت الكلام في ترديد كل المطاعن المحفوظة ضد الإسلام ، وبعد أن انتهيت من حديثي بدأت أسأل نفسي : لماذا أقول هذا وأنا أعلم أنني كاذب ؟! واستأذنت قبل انتهاء المؤتمر ، خرجت وحدي متجهاً إلى بيتي ، كنت مهزوزاً من أعماقي ، متأزماً للغاية ، وفي البيت قضيت الليل كله وحدي في المكتبة أقرأ القرآن ، ووقفت طويـــــلاً عنـــد الآية الكريمة : (**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)[٦] .. وفي تلك الليلة اتخذت قرار حياتي فأسلمت، ثم انضم إلي جميع أولادي ، وكان أكثرهم حماساً ابني الأكبر (أسامة) وهو دكتور في الفلسفة ويعمل أستاذاً لعلم النفس في جامعة السوربون"[٧].

البروفسور عبد الأحد داود

(بنجامين كلداني) أستاذ في علم اللاهوت ، وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين الموحدة ، يتكلم عدة لغات .

اعتزل الدنيا في مترله شهراً كاملاً ، يعيد قراءة الكتب المقدسة بلغاتها القديمة وبنصوصها الأصلية مرة بعد مرة ، ويدرسها دراسة متعمقة مقارنة ضمّن بعضها في كتابه الفذ (محمد في الكتاب المقدس) وأخيراً اعتنق الإسلام في مدينة استانبول ومن مؤلفاته (الإنجيل والصليب) . يقول عبد الأحد داود :

(٦) قرآن كريم (٢١/٥٩) .
(٧) (القبس) الكويتية) العدد ١٥٤٠ .

"في اللحظة التي آمنت فيها بوحدانية الله ،وبنبيه الكريم صلوات الله عليه ، بدأت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن"[٨].

((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) هذه العقيدة سوف تظل عقيدة كل مؤمن حقيقي بالله حتى يوم الدين ... وأنا مقتنع بأن السبيل الوحيد لفهم معنى الكتاب المقدس وروحه ، هو دراسته من وجهة النظر الإسلامية" [٩].

ليلى لاكري الجنسية : فلبينية والديانة السابقة : نصرانية : كاثلوكية والمستوى التعليمي :دراسة ثلاث سنوات لعلم اللاهوت والمهنة السابقة : منصرة متدربة..
تقول : ترعرعت في الكنيسة وسط راهباتها ورهبانها . وأخذت على عاتقي نشر رسالتها في العالم . لذا كان لابد لي من دراسة علم اللاهوت . وبالفعل درست اللاهوت لمدة ٣ سنوات . وكان على أن أذهب إلى ايطاليا للتدريب هناك . ولكن حدث أنني كلما تعمقت في دراسة اللاهوت ، ازددت شكا في حقيقته . وذلك أنه ذكر في إحدى إصحاحات الكتاب المقدس أن الرب واحد ، ولكن ما نتعلمه أمر آخر تماما . فالنصرانية أساسها الإيمان بعقيدة التثليث . وهناك آية صريحة في الكتاب المقدس تخالف ذلك !! وهناك أضرمت نار الحيرة في قلبي . أيعقل أن أشك في الدين الذي نشأت عليه و أحببته ؟ ولكن هناك اختلاف ، والاختلاف واضح وبيّن . ولذا قررت أخيرا أن أتوجه بذلك السؤال الذي أرقني ، إلى القسيس الذي كنت أتعلم منه سبل التنصير . ولكن بدلا من أن يطفىء نار الحيرة والشك في قلبي ، بدلا من أن يعطيني الإجابة الشافية ، التي تشرح صدري وتريح فؤادي . وإذا به يجيبني بكل برود :" يجب عليكي أن تؤمني ويجب عليكي أن لا تفكري . " هكذا وبكل بساطة أؤمن بلا تفكير ؟أيعقل أن يكون هناك دين يلغي العقل والتفكير تماما ؟ أي دين هذا ؟ وكيف العمل ؟ فأنا على وشك السفر

(٨) (عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام) محمد طماشي (٩٤) .
(٩) (محمد في الكتاب المقدس) عبد الأحد داود ص (١٦٢) .

إلى ايطاليا ؟ وازداد إطلاعي أكثر فأكثر على الكتاب المقدس ، لعلي أكتشف شيئا . ولكن بلا جدوى فكلما تعمقت في دراسة الكتاب المقدس ، ازددت حيرة ، حتى أن الشك سيطر عليّ تمام.وهنا قدمت عذرا من أجل السحب من دراسة اللاهوت . وقررت أن أسافر وأبعد تماما ، لعلي أجد الإجابة الشافية . ولكن أين وكيف ؟ فسمعت عن اللواتي يسافرن إلى بعض الدول من أجل الحصول على الرزق . وبالتالي لا يتحملن أي أعباء مادية . فوافقت على ذلك ، لعلي أجد الإجابة الشافية هناك . ولكني سأعمل خادمة . فليكن في سبيل معرفة الحقيقة . وأراد الله تعالى لي القدوم إلى الأردن . وهناك بقي الحال على ماهو عليه .لم أجد غير العمل في إحدى المنازل ، ولا شيء غير ذلك . ولكني لم أيأس فتوجهت إلى أحد الكنائس الموجودة هناك ودعوت الله في الكنيسة ، دعوت الله وأنا لم أعرف اسمه جلّ جلاله وتقدست أسماؤه تبارك وتعالى . فقلت : يا رب أنت تعلم لما أتيت إلى هذه البلد ، أنت تعلم نار الشك والحيرة التي تمزقني كل يوم ، بل كل لحظة . ماذا أفعل ؟ ولمن التجيء إلا لك يا إلهي ؟ اللهم إن كنت تعلم أن ديني وعقيدتي النصرانية هي الحق ، فاشرح صدري لها ، وإن كنت تعلم أن هناك دين آخر هو الحق فيسره لي ، واهدني إليه . وتقول الأخت : واستجاب الله لدعائي وأنا في الكنيسة فخرجت من هناك ، وعدت إلى المترل الذي كنت أعمل فيه . ولم تمضي سوى أيام معدودة . وإذا بي أجد كتيبا صغيرا في أحد جوانب المترل ، يشرح عقيدة التوحيد. نعم هذا ما كنت أبحث عنه . إنها الإجابة الشافية ، إنّ الله واحد ، إنّ الله واحد لا شريك له .لقد استجاب الله تعالى دعائي ، وحقق لي مرادي . وما إن انتهيت من قراءة ذلك الكتيب حتى بدأت استمع إلى إذاعة القرآن الكريم . ووالله وعلى الرغم من أني لا أجيد اللغة العربية ، ولكن أحسست براحة وانشراح في الصدر ،، لم اعهدهما من قبل . ولذا قررت أن أتعلم المزيد عن الإسلام . والحمد لله تعالى أشهرت إسلامي في ذلك المترل . ولذا بعد انتهاء مدة خدمتي في ذلك المترل المبارك كانت

السعودية هي المحطة الثانية لكي تكتحل عيناي برؤية المسجد الحرام والحرم النبوي الشريف والحمد لله فقد أكرمني الله بكفيلة رائعة أيضا وقامت بإحضاري إلى مكتب دعوة الجاليات (قسم السلامة) فتعلمت تلاوة القرآن واللغة العربية والكثير من الدروس الفقهية . وقابلت العديد من الداعيات المخلصات اللواتي يحملن الجنسية الفليبينية. والان بعد اسلامي، ودراستي في هذا المكتب ، قررت ان اكون داعية لهذا الدين الحق ، وأنشر رسالة الإسلام في الفليبين . وقد كنت يوما ما سأصبح منصرّة والعياذ بالله ، ولكن الله تعالى أكرمني بالإسلام . نعم ، فأنا فخورة بديني الجديد وإن كنت خادمة فأنا مسلمة عرفت الحقيقة عن طريق هذه المهنة . وإنا على يقين وثقة بأن الله تعالى سيعوضني بدلا منه جنات النعيم – إن شاء الله تعالى

هذه امثلة من كثير لا يتسع المجال لذكرها نكتفي بها لنثبت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء العقلاء والمفكرين والعلماء الذين يقرون كل يوم بصحة هذا الـــدين وفضل ذلك النبي لا يستطيع أحد أن يطعن في عقولهم ورجاحتها.

الفصل الثالث

علاقته صلى الله عليه وسلم بالرسالات السابقة

ان من يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم هو من آمن برسل الله جميعا ومن لم يؤ من به فما آمن بالله ولا أحد من رسله ولو ادعى انه من اتباع أى من رسل الله تعالى وذلك لأن كل الرسل وان كان هو خاتمهم صلى الله عليه وسلم الا انهم جميعا مؤمنين به صلى الله عليه وسلم. فى الصفحات التالية يتضح ذلك فى بين علاقته صلى الله عليه وسلم بالرسالات السابقة.

علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالات السابقة يمكن حصرها في النقاط التالية

١. كل الرسل من ادم حتى صلى الله عليه وسلم رسالتهم واحدة وشرائعهم مختلفة.
٢. الرسل السابقة مبشرة به صلى الله عليه وسلم مؤمنين به وشاهدين على صدقه صلى الله عليه وسلم.واخذ عليهم العهد والميثاق بالأيمان به ونصرته ورسالته صلى الله عليه وسلم.
٣. رسالته صلى الله عليه وسلم مكملة ومتممة للرسالات السابقة وخاتمه للرسالات.
٤. شهادة النبى صلى الله عليه وسلم وأمته للأنبياء السابقين بالصدق وبالتبليغ.
٥. وعلاقته صلى الله عليه وسلم بالرسل السابقين هى علاقة أخوة وحب فى الله .

وعلاقة معرفة الفضل لأهله .وفيما يلى نتناول هذه النقاط بشئ من التفصيل.

١-كل الرسل من ادم حتى صلى الله عليه وسلم رسالتهم واحدة وشرائعهم مختلفة.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ {الأنبياء/٢٥}

ففي الأولين والآخرين دين الله واحد ، لا يختلف إلا في صوره ومظاهره ، وأما روحه و حقيقته فلا يتغير ، وهو إيمان بالله الواحد الأحد والإخلاص في عبادته وأن يتعاون البشر في معاشهم علي البر والتقوي ، وألا يتعاونوا علي الإثم والعدوان هو دين الله الذي أرسل به رسله في كل أمة ، ولكل قوم علي مدي الدهور والأزمان (**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ**

{فاطر/٢٤}) ..وقد علم أن أول رسول أرسل للناس بعد آدم هو نوح عليه السلام ولذلك جاءت الآية القرآنية (**شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسي وعيسي أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) ١٣ الشوري .وفي حديث نبوي : (أنا أولي الناس بعيسي بن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء أخوة لعلات ، وأمهاتهم شتي ودينهم واحد -- وفي رواية (أولاد علات) وفي حديث آخر (إنا معشر الأنبياء ديننا واحد) . وقد فسروا العلات بالضرائر وأصله : أن من تزوج امرأة ثم تزوج عليها أخري كأنه عل منها – والعلل الشرب بعد الشرب – وبنو العلات هم أولاد الرجل من نسوة شتي . وقال ابن القيم : وفيه وجه آحر أحسن ، هو أن النبي صلي الله عليه وآله وسلم شبه دين الأنبياء الذي اتفقوا عليه – من التوحيد ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه – بالأب الواحد ، لاشتراك جميعهم فيه وهو الدين الذي شرعه لأنبيائه كلهم ، فقال تعالي : **شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا** ... الآية وقال البخاري في تفسير ما جاء من (أن دين الله واحد) :إن دين الله الإسلام الذي أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله ، ومن أولهم نوح إلي خاتمهم محمد صلي الله عليه وآله وسلم فهو بمنزلة الأب الواحد أما شرائع الأعمال والمأموريات ، فقد نختلف ، فهي بمنزلة الأمهات الشتي – وكون الأم بمنزلة الشريعة – والأب بمنزلة الدين – وأصالة هذا وتذكيره ، وفرعيه الأم وتأنيثها – واتحاد الأب ، وتعدد الأم ما يدل علي أنه معني الحديث) [١٠] وقال ابن كثير في تفسيره : (**شرع لكم من الدين** – الآية ص ١٠٩ ج ٤ :

الدين الذي جاء به كل الرسل ، هو عبادة الله وحده ، لا شريك له – كما قال تعالي : (وما أرسلنا من قبلك من رسل إلا نوحي إليه ، أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) أي القدر المشترك بينهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن اختلفت شرائعهم ، ومناهجهم ، قال تعالي : (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أي أوصي الله تعالي جميع الأنبياء عليهم

(١) بن القيم بدافع الفوائد ص ٢٠١ و ٢٠٢ ج٣

الصلاة والسلام بالائتلاف والاتفاق ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف) وقال الاستاذ الإمام محمد عبده في رسالة التوحيد ص ١٦٣ : صرح الإسلام تصريحا لا يحتمل الريبة بأن دين الله في جميع الأزمان وعلي ألسن جميع الأنبياء واحد ، قال تعالي : (**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلي نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسي وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا**) ١٦٣ النساء ومعني (**أوحينا إليك كما أوحينا إلي نوح** .. أي مثاله في جنسه وموضوعه ، والغرض منه أنهم يصدرون عن نبع واحد ، وخص بالذكر منهم أشهر أنبياء بني اسرائيل المعروفين عند أهل الكتاب . ويقول الشيخ محمد الغزالى " ان محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى أخوان وان كان الأسلام حاسم فى رفضه لعقيدة التثليث الفداء واساس الأسلام " **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"** سورة الأخلاص وكل انسان مسئول براسه عن نفسه وعيسى عليه السلا لم يقل غير هذا وموسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم أخوان بيد أن دين محمد صلى الله عليه وسلم يرفض صلف اليهود وتصورهم للأولوهية وزعمهم ان لهم بالله علاقة خاصة تسول لهم الجور على سائر الخلق وان موسى لم يقل بشيء من هذا. غير صحيح ان محمد صلى الله عليه وسلم بعيدا عن موسى او عيسى عليهما السلام انما هو بعيد عن مبتدعات أقحمت عليهما وغشت تراثهما وخدعت الجماهير باسم الله عن دين الله-انتهى"[١١]

يقول الفيلسوف الإنجليزي جورج برناردشو : "لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً ، فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية ، وأوربا بـــدأت في العصر الراهن تفهم عقيدة التوحيد ، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك ، فتعترف بقدرة هـــذه العقيدة على حل مشكلاتها بطريقة تجلب السلام والسعادة ! فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي"

(١) الشيخ محمد الغزالى فى كتاب علل وأدوية

٢-الرسل السابقة مبشرة به صلى الله عليه وسلم مؤمنين به وشاهدين على صدقه صلى الله عليه وسلم.واخذ عليهم العهد والميثاق بالأيمان به ونصرته ورسالته صلى الله عليه وسلم.

لقد أخذ الله تعالى على النبيين والمرسلين الميثاق بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وتبشير أقوامهم به، يقول الله عزوجل في كتابه الكريم: (**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ**) [**آل عمران:٨١**].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله يخبر الله تعالى انه أخذ ميثاق كل نبى من لدن ادم عيه السلام الى عيسى عيه السلام لمهما اتى احدخم من كتاب وحكمة ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من النبوة والعلم من اتباع من بعث بعده ونصرته .ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "قال علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بَعَث محمدًا وهو حَيّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمَرَه أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهم أحياء ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه. وفي بعض الأحاديث:"لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّينِ لَمَا وَسِعَهُما إلا اتِّباعِي".

اعتراف أهل الكتاب بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يقول تعالى في كتابه الكريم محتجًا على المكذبين برسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**) [**الشعراء:١٩٧**].

أولا: قبل مولده صلى الله عليه وسلم:

لقد كان أهل الكتاب يعرفون صفة النبي صلى الله عليه وسلم، بل ويعلمون مخرجه وسيرته قبل أن يولد، وعاش بعضهم وهو ينتظر ظهور رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم، ولقد حملت كتب التاريخ قصصًا كثيرة في هذا الشأن، نذكر منها ما يلي:

١- روى أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة بسنده عن أبي سوية بن خليفة قـــال: سألت محمد بن عدي بن ربيعة بن سواءة بن جشم بن سعد فقلت: كيف سمـــاك أبـــوك محمدا؟[١٢] فضحك، ثم قال: أخبرني أبي عدي بن ربيعة، قال: خرجت أنا وسفيان بن مجاشع، ويزيد بن عمر بن ربيعة، وأسامة بن مالك نريد ابن جفنة[١٣]، فلما قربنـــا منـــه نزلنـــا إلى شجرات وغدير، فقلنا: لو اغتسلنا وزهينا ثيابنا ههنا من قشف السفر، فجعلنا نتحـــدث، فأشرف علينا ديراني[١٤] من قائم[١٥] له، فقال: إني أسمع لغة قوم ليست بلغة أهل هذه الـــبلاد، قلنا: نحن قوم من مضر، قال: من أي المضريين؟ قلنا: من خندف، قال: (إنه سيبعث وشيكا نبي منكم، فخذوا نصيبكم منه تسعدوا، قلنا: ما اسمه؟ قال: محمد، فأتينا ابن جفنة، فقضينا حاجتنا، ثم انصرفنا، فولد لكل رجل منا ابن فسماه محمدا، يدور على ذلك الاسم"[١٦].

٢- ومن ذلك أيضًا إخبار اليهود أهل المدينة بقرب خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى ابن إسحاق في السيرة بسنده عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجالٍ مـــن قومه، قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمةِ الله تعالى وهُداه لنا، لما كنا نســـمَعُ مـــن رجالِ يهود وكنا أهلَ شركٍ أصحابَ أوثانٍ، وكانوا أهل كتاب، عندَهم علمٌ لـــيس لنـــا، وكانت لا تزالُ بيننا وبينهم شرورٌ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرَهون، قالوا لنا : إنـــه قـــد تقاربَ زمانُ نبيٍّ يُبعَثُ الآن، نقتلُكم معه قتلَ عادٍ وإِرَمٍ فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما

(١) لم يكن اسم محمد منتشرًا في الجاهلية بل لا يعلم أحد تسمي به سوى هؤلاء الأربعة، وهذا ما يندرج في دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كان أهل الكتاب يعرفونه باسمه ولم يكن اسمه صلى الله عليه وسلم منتشرًا.
(٢) ملك الغساسنة في هذا العهد، ويبدو أن القوم كانوا في رحلة تجارة.
(٣) ديراني: الراهب المقيم بالدير.
(٤) قائم أي صومعة.
(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٧٢٣)، والبيهقي في دلائل النبوة وأبو نعيم في الدلائل.

بعثَ الله رسولَه صلى الله عليه وسلم أجبناه فآمنّا به، وكفروا به. ففينا نزلَ هؤلاء الآيات من البقرة: (**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**) [البقرة: ٨٩][١٧] .٣- ومن القصص العجيبة في هذا الشأن، قصة ابن الهيبان؛ فقد ذكر ابن إسحاق عن عاصم بن عمرَ بن قتادة عن شيخٍ من بني قريظةَ قال لي: هل تدري عمَّ كان إسلامُ ثعلبةَ بنِ سعية، وأُسيدِ بنِ سعية، وأسدِ بنِ عُبيد ؟ - نفرٌ من بني هدل ، إخوة بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم في الإسلام - قال : قلت : لا والله.

قال: فإن رجلاً من يهود من أهلِ الشامِ يقال له : ابن الهيبان قدم علينا قُبَيل الإسلامِ بسنين فحلَّ بين أظهرِنا، لا والله، ما رأينا رجلاً قطُّ لا يصلي الخمسَ أفضلَ منه، فأقامَ عندنا، فكنا إذا قحطَ عنا المطرُ، قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستَسْقِ لنا، فيقول: لا والله، حتى تقدِّموا بين يديْ مخرَجِكم صدقةً، فيقولون له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمرٍ أو مُدَّينِ من شعير فنُخرجها، ثم يخرج بنا إلى ظاهرِ حرَّتنا، فيستسقي اللهَ لنا، فوالله ما يبرَحُ مجلسه حتى يمرَّ السحابُ ونُسْقى قد فعل ذلكَ غيرَ مرَّةٍ ولا مرتينِ ولا ثلاث.قال: ثم حضَرَتْه الوفاةُ عندنا، فلما عرفَ أنه ميتٌ، قال: يا معشرَ يهودَ، ما تَرَوْنَه أخرجني من أرضِ الخمرِ والخميرِ إلى أرضِ البؤسِ والجوعِ؟ قال : قلنا: إنك أعلمُ، قال: فإني إنما قدمْتُ هذه البلدةَ، خروجَ نبيٍّ قد أظلَّ[١٩] زمانُه، وهذه البلدةُ مهاجرُه[٢٠]، فكنت أرجو أن يُبعَثَ، فأتَّبعُه، وقد أظلَّكم زمانُه، فلا تُسبَقَنَّ إليه يا معشرَ يهود، فإنه يُبعَثُ بسفكِ الدماءِ، وسَبْيِ الذراري والنساءِ ممن خالفَه، فلا يمنَعُكم ذلك منه، فلما بُعثَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وحاصرَ بني قريظة، قال هؤلاءِ الفتيةُ - وكانوا شباباً أحداثاً[٢١] - : يا بني قُريظَةَ، والله إنه

(٦) رواه البيهقي في الدلائل (٧٥/٢)، وذكره ابن هشام في السيرة النبوية (١٨٢/١).
(١) انتظر.
(٢) اقترب.
(٣) التي يهاجر إليها.
(٤) صغار في العمر.

للنبيُّ الذي كان عَهِدَ إليكم فيه ابنُ الهيبان، قالوا : ليس به، قالوا : بلى والله إنه لهو بصفَته، فنزلوا وأسلَموا، وأحرَزُوا دماءَهم وأموالَهم وأهْليهم[٢٢].

ويقول تبارك وتعالي: (**الَّذينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) [البقرة:١٤٦].قال القرطبي: ويروى أن عمر قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمداً صلى الله عليه وسلم كما تعرف ولدك ابنك، قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وإني لا أدري ما كان من أمره. قلت: وقد يكون المراد { **يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ** } من بين أبناء الناس لا يشك أحد ولا يتمارى في معرفة ابنه إذا رآه من بين أبناء الناس كلهم.ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والإتقان العلمي { **لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ** } أي: ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم { **وَهُمْ يَعْلَمُونَ** }ويقول تبارك وتعالي: (**الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ**) [**الأعراف**:١٥٧].

قال الإمام الطبري في تفسيره: "حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال الله: "الذي يجدونه مكتوبًا عندهم"، يقول: يجدون نعتَه وأمرَه ونبوّته مكتوبًا عندهم"[٢٣].وروى الإمام أحمد بسنده عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام لَمُنْجَدِلٌ[٢٤] فِي طِينَتِه وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ[٢٥].

(٥) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (١٨٣/١)، ورواه البيهقي في السنن وفي دلائل النبوة.
(١) تفسير الطبري الأثر رقم ١٥٢٢٨.
(٢) أي مُلْقَى على الجَدَالة وهي الأرض.
(٣) مسند الإمام أحمد رقم (١٧١٩١) وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه: "حديث صحيح لغيره دون قوله : " وكذلك أمهات النبيين ترين"، وقد جاء زيادة في رواية أخرى "ورؤيا أمي التي رأت انه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام".

أما قولُه صلى الله عليه وسلم: "دعوةُ أبي إبراهيم"، فقد عنى به قولَه تعالى – حاكياً عن إبراهيمَ وإسماعيلَ وهما يبنيان الكعبة –: (**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) [البقرة: ١٢٩].

وقوله :"وبشارة عيسى" ، وفي بعض الروايات : "وبشرى أخي عيسى"، فقد عنى به قولَ الله تعالى : (**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**) [الصف : ٦].

ولقد حوت الكتب السابقة من النصوص التي تبشر برسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته وصفة أتباعه، غير أن هذه النصوص أصابها التحريف والبتر مثلما أصاب بقية الكتب، إلا إن أهل الكتاب كان لهم عناية خاصة بتحريف النصوص المبشرة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثير ما لجأ أهل الكتاب إلى إخفاء هذه النصوص أو تفسيرها بشكل محرف حتى لا تتفق مع صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما رواه ابن سعد في طبقاته عن "سعيد بن المسيب قال: قال العباس لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟ فقال كعب: إن أبي كتب لي كتابا من التوراة ودفعه إلي وقال: اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه وأخذ علي بحق الوالد على ولده أن لا أفض الخاتم، فلما كان الآن ورأيت الإسلام يظهر و لم أر بأسا قالت لي نفسي: لعل أباك غيب عنك علما كتمك فلو قرأته، ففضضت الخاتم فقرأته فوجدت فيه صفة محمد وأمته فجئت الآن مسلما"[٢٦].

ولقد اهتم المسلمون الأوائل رضي الله عنهم بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، روى البخاري في صحيحه بسنده عن عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ قَالَ أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا

(١) طبقات ابن سعد ٤٤٥/٧ طبعة دار صادر بتحقيق إحسان عباس.

أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)، وَحِرْزًا[٢٧] لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ[٢٨] لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ[٢٩] اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا[٣٠].

وذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم "هداية الحياري" عن أبي العالية قال: لما فتح المسلمون تستر، وجدوا دانيال – عليه السلام – ميتًا، ووجدوا عنده مصحفا، قال أبو العالية : أنا قرأت ذلك المصحف وفيه: صفتكم، وأخباركم، وسيرتكم، ولحون كلامكم[٣١].

أما من الأخبار العجيبة التي تؤكد معرفة أهل الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبنائهم وجحدهم لنبوته صلى الله عليه وسلم رغم الدلائل الباهرة والأمارات الظاهرة، فهو قصة سيدا بني النضير "حيي بن أخطب"، وأخوه "أبو ياسر"، تروى لنا هذا الخبر أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها بعد إسلامها؛ جاء في كتب السير عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين[٣٢]، فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى[٣٣]، فهششت[٣٤] إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم.

(٢) حرزا أي حصنا ، والأميين هم العرب.
(٣) أي على الله لقناعته باليسير ، والصبر على ما كان يكره .
(١) يميته.
(٢) صحيح البخاري كتاب البيوع باب كراهية السخب في السوق.
(٣) هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ص١٠٩
(٤) الغلس ظلام آخر الليل، والمقصود أنهما بدأ في التوجه إلى رسول الله | مبكرًا جدًا قبل أن يشرق الفجر.
(٥) نوع من المشى فيه ضعف وفتور.
(٦) أي بششت لهما فرحًا بهما.

قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو ؟، قال: نعـــم، والله.

قال: أتعرفه، وتثبّته؟. قال : نعم.

قال:فما في نفسك منه ؟ قال :عداوته والله!![٣٥].

(٧) ابن هشام في السيرة النبوية (١٢٦/٢)، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٧٨٦).

البشارات بالنبي الكريم في التوراة:

البشارة الأولى:

جاء في سفر التثنية ١٨ (١٧-٢٢): (قال لي الربُّ: قد أحسَنوا فيما تكلَّموا، أقيمُ لهـــم نبياً من وسَطِ إخوَتِهم مثلَك، وأجعلُ كلامي في فمِه، فيكلِّمُهم بكلِّ ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمعُ لكلامي الذي يتكلمُ به باسمي، أنا أطالبُه.

وأما النبيُّ الذي يطغى فيتكلَّم باسمي كلاماً لم أوصِه أن يتكلَّمَ به، أو الذي يـــتكلمُ باسمِ آلهةٍ أخرى، فيموت ذلك النبيُّ، وإن قلتَ في قلبكَ: كيفَ نعرفُ الكـــلامَ الـــذي لم يتكلمْ به الربُّ؟ فما تكلمَ به النبيُّ باسمِ الربِّ، ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلامُ الـــذي لم يتكلمْ به الرب، بل بطغيانٍ تكلَّم به النبي، فلا تخفْ منه).

البشارة الثانية: نبوءة موسي عليه السلام:

جاء في سفر التثنية (٣٣: ١-٢): "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجـــل الله بـــني إسرائيل قبل موته فقال : جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فـــاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم".وتشبه نبوءة موسي عليه السلام قول الله عزوجل في القرآن العظيم: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ لَقَـــدْ خَلَقْنَـــا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [التين:٤].

البشارة الثالثة: نبوءة داود عليه السلام ورأس الزاوية:

ومن النصوص الواضحة على تبشير الأنبياء السابقين برسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم نصان ورد أحدهما على لسان داود عليه السلام في المزامير، بينما جاء الآخـــر علـــى لسان عيسي عليه السلام في الإنجيل، والنصان يدوران حول أمر واحد.

جاء في (المزمور ١١٨ : ٢٢- ٢٣): **"الحجر الذي رفضه البنـــاؤون قـــد صـــار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا".**

ويخبرهم المسيح عليه السلام أيضا عن ذلك الحجر الذي سيصـــير رأس الزاويـــة (الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية).

البشارات برسول الله صلى الله عليه وسلم في الإنجيل:

الفارقليط أو المعزي:

أما المسلمون فيعتقدون أن ما جاء في يوحنا عن المعزي، إنما هو بشارة المسيح بنبينا صلى الله عليه وسلم وذلك يظهر من أمور:

١- منها لفظة « المعزي » لفظة حديثة استبدلتها التراجم الجديدة للعهد الجديـــد، فيما كانت التراجم العربية القديمة ١٨٢٠م، ١٨٣١م، ١٨٤٤م تضع الكلمة اليونانية «البارقليط» كما هي، وهو ما تصنعه كثير من التراجم العالمية.

٢- وفي تفسير كلمة «بارقليط» اليوناني نقول: إن هذا اللفظ اليوناني الأصـــل، لا يخلو من أحد حالين، الأول أنه «باراكلي توس» . فيكون بمعنى: المعزي والمعين والوكيل.

والثاني أنه « بيروكلوتوس » ، فيكون قريباً من معنى: محمد وأحمد.

ويقول أسقف بني سويف الأنبا أثناسيوس في تفسيره لإنجيـــل يوحنـــا « إن لفـــظ بارقليط إذا حرف نطقه قليلاً يصير (بيركليت)، ومعناه: الحمد أو الشكر، وهو قريب مـــن لفظ أحمد ».

ويسأل عبد الوهاب النجار الدكتور كارلو نيلنو – الحاصل على الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة- عن معنى كلمة « بيركلوتس » فيقول: « الذي له حمد كثير ».

ومما يؤكد خطأ الترجمة أن اللفظة اليونانية «بيركلوتس » اسم لا صفة، فقد كـــان من عادة اليونان زيادة السين في آخر الأسماء، وهو ما لا يصنعونه في الصفات.

٣-رسالته صلى الله عليه وسلم مكملة ومتممة للرسالات السابقة وخاتمه للرسالات.

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّـــهُ عَنْـــهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: قَالَ إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًـــا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ[٣٦].

فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو رأس الزاوية الذي أعجب النبيين والناس أجمعين صلى الله عليه وسلم.

٤-شهادة النبى صلى الله عليه وسلم وأمته للأنبياء السابقين بالصدق وبالتبليغ.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا(من الآية ١٤٣ **من سورة البقرة** ومن سورة الحج قوله تعالى "**وَجَاهِدُوا فِي اللَّه حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** {الحج/٧٨

٥-وعلاقته صلى الله عليه وسلم بالرسل السابقين هى علاقة أخوة وحب فى الله . وعلاقة معرفة الفضل لأهله .

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب باب خاتم النبيين، وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين.

فعن فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ يروى أَبَو هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ " أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ الأَنْبِيَاءُ أَوْلاَدُ عَلاَّتٍ وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ " . - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى الأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلاَّتٍ وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ " . وعنه أيضا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ " . قَالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ " الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ " . وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ " . ،

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ " . وَفِي حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى حَدَّثَنِي أَبِي . و فِي ذِكْرِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم " لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى " . أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالُوا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، - حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ سَمِعْتُ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ " قَالَ - يَعْنِي اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ لِي - وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى لِعَبْدِي - أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلاَمُ " . قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ . - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ، بَشَّارٍ - وَاللَّفْظُ لاِبْنِ الْمُثَنَّى - قَالاَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ، بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ، يَقُولُ حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ، نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم - يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ - عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ " مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى " . وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ و مِنْ فَضَائِلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ قَالَ " أَتْقَاهُمْ " . قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ . قَالَ " فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ

نَبِيِّ اللَّه ابْنِ خَلِيلِ اللَّه " . قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ . قَالَ " فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا "

الفصل الرابع

الشبهات المثارة فى الاعلام الغربي حول شخصيته صلى الله عليه وسلم والرد عليها

في دراسة علمية أعدها كل من " سوزان دوقلس و روس دون" بعنوان " تفسير الاسلام فى المدارس الأمريكية" أشارت الدراسة الى ان الطالب كان يتخرج من الدراسة الجامعية ولا يعرف عن الاسلام شيئا الا أنه بعد تغيير الدستور المريكى سنة ١٩٨٨ الذى سمح بتدريس الأديان كافة فى المناهج التعليمية لكن الذى ورد عن الأسلام فى هذه المناهج يثير عجبا حيث قيل"ان الأسلام نسخة معدلة من اليهودية والنصرانية" وقطعت الصلة بين المسلمين وسيدنا ابراهيم عيه السلام ثم ذكرت هذه الدراسة ان الأسلام لم ينتشر الا بالسيف وان يضطهد غير المسلمين وصادر حقوق المرأة ولم تذكر تلك المناهج شيئا عن الحضارة الاسلامية وفى دراسة أخرى اعدها **مايكل سليمان** استاذ العلوم السياسية بجامعة كنساس نقل فى هذه الدراسة تعريف بعض آراء أساتذة وطلاب ثانوى للأسلام" انه الدين الذى يسبب تخلفا فى نمو نهضة أتباعه.[٣٧] يمكن تلخيص هذه الشبهات أو ان أكثرها اثارة هو ما يلى:-

١. شبهة الإسلام هو سبب تأخر المسلمين و تخلفهم الحضاري !

٢. شبهة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

٣. شبهة الأسلام انتشر بالسيف

٤. شبهة الأسلام صادر حقوق ومكانة المرأة

(١) د محمد يسري التطاول الغربى على الثوابت الأسلامية دار الصفوة

(١) ألإسلام هو سبب تأخر المسلمين و تخلفهم الحضاري !

"لا يوجد في تعاليم الإسلام كلمة واحدة تعوق تقدم المسلم ، أو تمنع زيادة حظه من الثروة أو القوة أو المعرفة ، وليس في تعاليم الإسلام ما لا يمكن تحقيقه عملياً ، وهي معجزة عظيمة يتميز بها عن سواه ، فالإسلام دين الذهن المستنير ، وسيكون الإسلام معتقد الأحرار. العلامة الدكتور عبد الكريم جرمانوس "[٣٨]

لسنا هنا في معرض الدفاع عن المسلمين و تبرير تأخرهم بقدر ما نريد تبرئة الإسلام كعقيدة دينية من أن يكون له أية يدٍ أو حتى مجرد إسهام في هذا التأخر ، فلا المنطق و لا التاريخ يمكن أن يدعما أكذوبة ان الإسلام الذي بعث العرب و حولهم من قبائل مشتتة و متناحرة لا تملك من مظاهر الحضارة و التفوق سوى المعلقات و سوق عكاظ و رحلة الشتاء و الصيف الى حضارة عظيمة و مؤثرة لم يسع العقلاء و المنصفين إلا أن يشيدوا بدورها في تقدم الإنسانية ، أن هذا هو نفس الإسلام الذي يُتهم اليوم بأنه هو سبب الإنحطاط الذي يشهده العالم الاسلامي !!!!!

و إنه لمن أعاجيب هذا الزمن أن نحتاج فيه لإثبات أن اعتناق عقيدة كالإسلام (تحث على العمل و إتقانه و تحرض على البناء و إعمار الأرض و تنهى عن الركون الى الدعة و الكسل) ليس سببا للتخلف ولا وصفة للتأخر، فالواضح أن سبب تخلف المسلمين هو تركهم لتعاليم الإسلام الصحيح و هجرهم للقرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة اذ ان التاريخ يؤكد ان المسلمين ايان كانوا أقرب الى حقيقة الاسلام خاطب أمير هم (هارون الرشيد) السحاب قائلا أمطرى حيث شئت فسوف يأتيني خراجك والأمثلة لا يتسع المجال لسردها . ان التفوق الجماعي في الدنيا فهو "سباق مفتوح" و له قواعد و سنن خاصة لا تميز بين المؤمن و الكافر. هذا مقتضى العدل و الحكمة الإلهية ، هو مقتضى العدل لأن الدنيا دار امتحان و اختبار و لذلك فمن العدل أن لا تكون أدواتها حكرا على جماعة دون

(١) د عبد المعطي الدالاتي ربحت محمد ولم أخسر المسيح

أخرى أو على عرق دون الآخر ، .يجدر هنا أن نفرق بين نوعين من التمكين . التمكين العسكري ،و التمكين الحضاري . التمكين العسكري لا يشترط فيه التفوق الحضاري . فالمغول تمكنوا من سحق الدولة الإسلامية في أوج حضارتها إبان حكم آل العباس عندما دب فيها الضعف و كانت لهم صولات و جولات رغم كونهم مجموعة قبائل بدائية عقيدتها القتل و التدمير و لا تملك من أسهم العلم و الحضارة سوى فنون القتال. . فحديثنا هنا عن "التمكين الحضاري" و القدرة على السيطرة على عناصر الأرض بالعلم و بإعمال العقل و ليس عن التمكين العسكري الذي قد لا يعتمد على عوامل العلم و الحضارة و التقنية ، و في التاريخ القديم و الحديث أدلة لا تحصى على ذلك .

الاكثر من ذلك هو أن الإسلام أوضح لأتباعه أن للتفوق الدنيوي المادي سنن و قوانين تختلف عن التفوق الأخروي (والمعتمد حصريا على قضيتي الإيمان و الكفر) ، و أن هذه السنن الكونية لا تميز بين مؤمن و كافر ، أمر المسلمين بالأخذ بأسباب التفوق الدنيوي و السعي لإعمار الأرض على أن يكون الإيمان بالله – لا حب التفوق و التفاخر به – هو وقود ذلك التحرك في فضاء الدنيا ، فيتحول ذلك السعي الدنيوي الى "عبادة" و رصيد أخروي يرفع المؤمن العامل عند الله فوق المؤمن القاعد عن العمل المكتفي بالشعائر و العبادات .و الأدلة القرآنية و السنية في الحث على العمل و البناء و الإنتاج أشهر من نار على علم ، و هي معروفة للجميع ، و لا يوجد بين النصوص الدينية الإسلامية نص واحد يقف عقبة في طريق التقدم الصناعي أو الزراعي أو الطبي أو غيرهم ، و لم تثبت بعد أية علاقة منطقية بين الصلوات الخمس و اعتماد المسلمين على منتجات الآخرين ، أو بين الحج و بين عدم وجود مراكز بحث علمي معتبرة في العالم الاسلامي ، أو بين الصوم و بين عدم وجود شركة إسلامية واحدة بين الخمسمائة شركة العالمية المتعددة الجنسيات ، أو بين حجاب المرأة المسلمة و بين ضعف دور المرأة في تقدم المجتمعات الاسلامية !! و حتى تثبت أي من تلك العلاقات فسوف أختم هنا بطرح مقارنة بسيطة (في جانب بسيط) بين

الإسلام ، و اليهودية .ففي شهر سبتمبر من العام الماضي و مع بداية السنة اليهودية الجديدة برزت أزمة في دولة الكيان الصهيوني بين الحاخامات و بين المزارعين على خلفية "قانون توراتي" يأمر اليهودي بالامتناع عن زراعة أرضه كل "سبعة أعوام يهودية" و لمدة عام كامل او ما يسمى بـــ (الشميتا) او "سنة السبت" و هو متضمن في الآيات ١-٥ من سفر اللاويين :

(١وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي جَبَلِ سِينَاءَ قَائلاً: ٢«كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: مَتَى أَتَيْتُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيكُمْ تَسْبِتُ الأَرْضُ سَبْتًا لِلرَّبِّ. ٣ستَّ سِنِينَ تَزْرَعُ حَقْلَكَ، وَستَّ سِنِينَ تَقْضِبُ كَرْمَكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتَهُمَا. ٤وَأَمَّا السَّنَةُ السَّابِعَةُ فَفِيهَا يَكُونُ لِلأَرْضِ سَبْتُ عُطْلَةٍ، سَبْتًا لِلرَّبِّ. لاَ تَزْرَعْ حَقْلَكَ وَلاَ تَقْضِبْ كَرْمَكَ. ٥زَرِّيعَ حَصِيدِكَ لاَ تَحْصُدْ، وَعِنَبَ كَرْمِكَ الْمُحْوِلِ لاَ تَقْطِفْ. سَنَةَ عُطْلَةٍ تَكُونُ لِلأَرْضِ).و قد كان المزارعون في الماضي يضطرون الى الإلتفاف حول قانون الـــ "شميتا" ببيع أراضيهم " بيعا صوريا" لغير اليهود لمدة سنة . لكن هذه المرة قرر بعض رجال الدين اليهود من المحافظين إغلاق تلك الثغرة و إجبار المزارعين اليهود على احترام قانون الـــ"شميتا" و ذلك في دولة تعتمد على انتاجها الزراعي بشكل حاد ! المزارعون الذي سيخالفون تلك القاعدة لن يتمكنوا من بيع منتوجاتهم الزراعية لليهود داخل الدولة العبرية، لأنه في تلك الحالة سوف يتم اعتبار تلك المنتوجات "غير محللة يهوديا " أو أنها ليست "كوشر" حسب العقيدة اليهودية ! و لهذا فقد لجأ مجموعة من المزارعين إلى المحكمة للفصل بينهم و بين رجال الدين !

أتخيل لو كانت المشكلة أعلاه قد حدثت في دولة إسلامية ، و كيف كانت الدنيا ستقوم على الإسلام و على تعاليمه " المتشددة " و قوانينه "المتعارضة مع المصلحة العامة" و مع "التطور و التقدم" ، و كنا سنقرأ عشرات المقالات الشامتة بالإسلام و المسلمين و التي يقول لسان حالها : " هذا تأكيد لكل ما نتهم به الإسلام " !!

و الآن لننتقل إلى جهة أخرى ، إلى القرآن الكريم و سورة الجمعة على وجه التحديد و إلى قوله تعالى : (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**).الجمعة :(٩ و ١٠).و هنا سؤال ،لو وضعنا النص التوراتي السابق (نص الشميتا) الى جانب آيات سورة الجمعة أعلاه ثم طلبنا من شخص محايد (لا هو مسلم و لا هو يهودي) أن يختار لنا النص الذي يمكن أن يقف عقبة في طريق التقدم و الازدهار و يتناقض مع روح العمل و الاجتهاد في تعمير الأرض ، فأي النصين كان سيختار ؟

فالحق يقال ان المسلمين هم سبب تـــاخر الأسلام وعدم انتشاره كما يجب وذلك لأن مسلمين اليوم لا يمثلوا الا صوره باهته منه انما حقيقته كانت فى الأجيال التى ارتضته نبراسا لكل حياتها فتقدمت به وقدمته للدنيا كلها.

ولمن يروجون هذه الشبهة أيظنون ان الحضارة ليس للمسلمين أى اسهام فيها ، أينكرون ان من أبناء الاسلام من يترأسون أكبر جامعاتهم الآن؟ أم أن أمريكا وحدها صنعت الحضارة ؟ أم آوربا وحدها ؟ اليس للهند أو الصين أو العرب أو المسلمين أى اسهام فيها؟ كم عالما فى تاريخ الاسلام و المسلمين تم أحراقهم أحياء حتى لا تصاب الأرض بدمائهم التى سوف توزن بدماء الشهداء يوم القيامة؟. ويقول العلامة بريفولت : "ما من ناحية من نواحي الازدهار الأوربي إلا يمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه لنا من كشوف مدهشة ونظريات مبتكرة ، بل إنه مدين بوجوده ذاته ... ولم يكن بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوربة المسيحية ، وهو لم يَملّ قط من التصريح بأن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد لمعرفة الحق[٣٩]

(١) (بناء الإنسانية) رويلت بريفولت نقلاً عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي ، مجلد٤ ص(٧١٠)

شبهة تعدد أزواج الرسول

والغريب هو أن أكثر الخائضين في هذه القضية من أهل الكتاب يعرفون أن عدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قليل جدا إذا قورن بأعداد بعض من سبقه من أنبياء الله تعالى من بني إسرائيل حيث بلغ عدد زوجات بعضهم المائة أو يقارب، وذلك مدون في كتبهم إلى الآن. ثم إن التعدد في الزواج مسألة شرعية يبتلي الله به من آمن به من عباده بما يبيح له أو يحظر من عدد النساء ليعلم من يطيعه وينقاد لأوامره فيثيبه على ذلك، ومن يعصيه ويتمرد عليه فيستحق عقابه وغضبه والعياذ بالله، قال تعالى: {**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**} (الملك:٢)، ومهما وصل إليه المرء من عدد الزوجات وفي حدود ما أذن الله به، فهو خير مما يقع فيه كثير من الرؤساء والقادة من غير المسلمين من السفاح والشذوذ الجنسي، فكثيرا ما نسمع عن أولاد لهم من غير بيوت الزوجية بل من السكرتيرات والعشيقات وغيرهن، في قصص غرامية فاضحة تنشر في الصحف وكتب الروايات والجاسوسية...

٣. حكمة تعدد زوجاته الطاهرات

قد آن الأوان لإبراز القيم الحضارية النبيلة، والمقاصد الشرعية الجليلة، في تعدد زوجاته الطاهرات رضي الله عنهن، ثم نحاكم همة (الشهوانية) التي رمي صلى الله عليه وسلم بها إلى تلك القيم والمقاصد التي كان يهدف إلى تحقيقها في زيجاته، كي نرى مدى التباعد بين سلوك (الشهواني) الذي يلهث وراء النساء يتخير منهن ملكات الجمال من الأبكار وصغيرات السن، كلما كبرت منهن واحدة استبدل بها غيرها، وصاحب مشروع حضاري فيه سعادة البشرية في الدنيا والآخرة، أنيط به أمانة تبليغ رسالة الله وتزكية نفوس الخلق، وتعليمهم كل شيء في حياتهم، كما قال تعالى مبينا وظيفته الشريفة صلى الله عليه وسلم: {**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (الجمعة:٢)، فانتخب من نساء زمانه أوعية للعلم ونواقل للآداب، ومعينات على الطاعة، وسفيرات للنساء عند بيت النبوة الكريمة، ولكل حادثة من حوادث زواج رسول الله بهن حديث ينم عن حكمة ومقصد.

وقد قسم العلامة محمد بن علي الصابوني الحكم والمقاصد التي من أجلها تزوج رسول الله بهذا العدد من النساء إلى أربعة أقسام وهي:

الحكم التشريعية، والحكم التعليمية، والحكم الاجتماعية، والحكم السياسة، وسوف نتابعه في هذا التقسيم الذي لم نر من سبقه إليه، لكن سنزيد في الأمثلة والشواهد والتعليقات بحسب ما يتطلبه المقام من المقال.

أولا : الحكمة التشريعية

بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس ليدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده، وأن يقوم الناس بالقسط في أخلاقهم ومعاملاتهم، وكان رسول الله يبلغ ما أنزل إليه من ربه بقوله وفعله وتقريره، وقد كان من عادة العرب في الجاهلية (التبني)، وقد تابعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لم ينزل من الله في ذلك شيء بعد، حيث تبنى زيد بن حارثة رضى الله عنه الذي اختار صحبته وترك أباه وقومه في قصة طويلة... حتى أصبح يدعى زيد بن محمد.

ولما في هذه العادة الجاهلية من المفاسد الدينية والدنيوية نهى الله عنها وأبطلها بتدبير منه سبحانه وتعالى، إذ قدر أن تكون خلافات بين زيد وزوجته زينب بنت جحش كانا يراجعان فيها رسول الله، وستنتهي إلى فراق بينهما، وكان الله قد أطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على شيء من ذلك وأعلمه بأنه سيتزوجها بأمره، ويذكر الله تعالى الفصل الأخير من هذه القصة وينص على الحكمة والعلة من تزويج رسوله زينب رضي الله عنها

فيقول: {**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً**} (الأحزاب:٣٧).

إذن فزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بمحض إرادته بل كان أمرا من الله تعالى لا يملك أمامه أي خيار.

ثانيا: الحكمة التعليمية

الحكمة الثانية من حكم تعدد زوجات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هي الحكمة التعليمية، حيث كان صلى الله عليه وسلم يبلغ دين الله إلى جميع الناس رجالا ونساء صغارا وكبارا، ويعلمهم ما أوجب الله عليهم من أحكام العبادات وسائر المعاملات، ونظرا لما فطر عليه النساء المؤمنات من الحياء، ولما اتصف به رسول الله من سمو الأخلاق وعفة اللسان، ناسب أن يتوفر عنده من نسائه أوعية للعلم، وحملة للآداب ينقلن عنه الأحكام الخاصة بالنساء، وما يتعلق بأحكام العشرة بين الزوجين ونحوها فعن عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض، فأمرها أن تغتسل قال: ((خذي فرصة من مسك فتطهري بها)) قالت كيف أتطهر؟ قال: (تطهري بها) قالت كيف؟ قال: ((سبحان الله تطهري)) فاجتبذتها إلي فقلت تتبعي بها أثر الدم. رواه البخاري واللفظ له.

ومثل هذه الوقائع كانت تتكرر في بيت رسول الله الذي كانت النساء يقصدنه لطلب العلم وسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤال زوجاته في أمور دينهن ودنياهن.

وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أيضا تنقل العلم والسنة عن رسول الله وتبلغ ذلك للنساء والرجال بواسطة زوجاتهم، فعن معاذة عن عائشة قالت: مرن أزواجكن أن يستطيبوا

بالماء فإني أستحييهم، وإن رسول الله كان يفعل ذلك، رواه الترمذي في كتاب الطهارة، وقال حديث حسن صحيح. ومن يستطيع أن يطلع على هذه السنن والهدى غير أهل بيته من زوجاته الطاهرات رضيّ الله عنهن؟. وللمناسبة فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تعد من المكثرين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت متميزة بوفرة العقل وحدة الذاكرة رضي الله عنها، فعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما. رواه الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح غريب".

ثالثا: الحكمة السياسية

ومن الحِكَم أيضا في تعدد أزواج النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بتدبير شئون الناس بما يصلحها، سواء ما تعلق بما يربطه بأتباعه والمؤمنين من أمته، أو ما تعلق بغيرهم، فقد كان رسول الله يراعي في جميع تصرفاته السياسية ما يحقق المصلحة ويكثرها، وما يدفع المفسدة ويقللها، وقد أدرك صلى الله عليه وسلم أن المجتمع العربي في ذلك الزمن مجتمع قبلي، يوالي فيه الفرد ويعادي من توالي أو تعادي القبيلة، وينصر فيه الإنسان أخاه ظالما أو مظلوما، ويتابع المرء قومه إن على الحق أو على الباطل، فعمد صلى الله عليه وسلم إلى ما في القبلية العربية من فوائد فرام تحصيلها، فأمر بنصرة الأخ ظالما أو مظلوما على الوجه الذي يقره الشرع بأن ينصر الظالم و يأخذ على يديه وينتزع منه حقوق الناس التي سلبها إياهم، وينصر المظلوم بالسعي للمطالبة بحقوقه، كما أرشدهم إلى اتباع الحق ولو خالفك فيه من خالفك من قومك وأهل قرابتك.

ومن هذا الباب كان زواج رسول الله بأم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان رضيَ الله عنهما لما تنصر ومات زوجها عبيد الله بن جحش في الحبشة، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ليخطبها له، ففرحت بذلك رضي الله عنها، وفرح أبوها أبو سفيان وقال كالمفتخر بمصاهرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم (هو الذي لا يقدح أنفه)، ولا يخفى على قارئ السيرة النبوية ما كان لأبي سفيان من درجة ومنزلة في قومه، وما كان للمصاهرة عند العرب وغيرهم من آثار اجتماعية، فهي إحدى وشائج القرابة بين الناس، ومن أسباب التراحم و التوادد بينهم، لاسيما إذا أدى الطرفان ما عليهما من حقوق وواجبات.

وقل مثل ذلك في زواجه بجويرية، فقد كانت من الأسيرات في غزوة بني المصطلق في شهر شعبان من السنة السادسة الهجرية، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم إكرام هذا الصنف من النساء، فسوى بينهن وبين الحرائر، وضرب للناس أروع الأمثلة على سماحة الإسلام، فأزال من الأذهان ما كان قد علق بها من احتقار للإماء، واتخاذهن فقط للبيع أو للخدمة، وحرمانهن من نعمة العتق إلا بالمكاتبة وشراء أنفسهن من مالهن، فتعلم المسلمون من هذه الزيجة كيفية صيانة سيدات الأسر الكريمة بين قومها، ورحمة عزيز قوم ذل وغني افتقر، وقد زخر التاريخ الإسلامي بعد هذا بالسبايا اللائي تزوجهن أسيادهن من الخلفاء والأمراء والسادة والكبراء، وأنجبن الخلفاء والأمراء والقادة والعظماء وتأمل ذلك في تاريخ خلفاء بني العباس.

وهناك حكمة سياسية أخرى مهمة تظهر في زواج رسول الله بأم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب وهي الرد على تهمة عنصرية النبي والإسلام ضد اليهود أو غيرهم، وكان ذلك (أي زواجه بأم المؤمنين صفية) إثر هزيمتهم في خيبر عام ٦ هـــ وقيل ٥ هـــ، فقد دل هذا الزواج على أن العنصرية لم تكن واردة في قاموس رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسي والاجتماعي، وإلا فكيف يتزوج من ابنة زعيم من زعماء اليهود مات هو وزوجها وأخوها في صراعهم ضده صلى الله عليه وسلم.

رابعا: الحكمة الاجتماعية

كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وزيرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوكلهما بتنفيذ كثير من المهام، ويستشيرهما في عويص المسائل والقضايا، وقد يحتاج للدخول عليهما في أوقات لا يدخل فيها أحد على أحد إلا من كان من بطانته وخاصته، وقد كانا بحق كذلك، وليس من شك في تأثير آصرة المصاهرة على مرونة العلاقة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه، انظر إلى حادثة الهجرة وكيف رتب لها في بيت أبي بكر رضى الله عنه بكل سرية وأمان، حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من مكة، وما زالت قضية الهجرة بيد أفراد أسرة أبي بكر تنفيذا ومتابعة، ما بين إيصال الطعام وأخبار قريش التي تتولاها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، وتعمية لمن يطارد الرسول وأبا بكر يقوم به راعي غنم أبي بكر مولاه عامر بن فهيرة، واقرأ إن شئت من سيرة الفاروق ما يدلك على عنايته الفائقة رضي الله عنه بأهل بيت رسول الله ومتابعته الدقيق لما يحدث فيه، وقد سبق أن ذكرنا لك من استغرابه لمراجعة نساء رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحذيره إياهن من غضب الله ورسوله، وكان أيضا هو الذي رأى أن يحجب رسول الله نساءه فتزل القرآن فوافقه على ذلك.

كل ذلك وغيره من الآثار يعد من نتائج وعلل زواجه صلى الله عليه وسلم بابنتي وزيريه أبي بكر وعمر عائشة وحفصة رضي الله عنهم جميعا.

وكذلك زواجه صلى الله عليه وسلم بأم سلمة رضي الله عنها وهي أرملة عبد الله بن عبد الأسد من السابقين الأولين، واستشهد في غزوة أحد وخلف أيتامها الأربعة، ولم ير عليه السلام عزاء ولا كافلا لها ولأولادها غير أن يتزوج بها، ولما خطبها لنفسه اعتذرت إليه، وقالت إني مسنة، وإني أم أيتام، وإني شديدة الغيرة، فأجابها عليه السلام وأرسل لها يقول: ((أما الأيتام فأضمهم إلي، وأسال الله أن يذهب عن قلبك الغيرة))، ولم يعبأ بالسن،

فتزوجها بعد موافقتها، وقام على تربية أيتامها، ووسعهم قلبه الكبير، حتى أصبحوا لا يشعرون بفقد الأب، إذ عوضهم أبا أرحم من أبيهم صلوات الله وسلامه عليه [٤٠].

شبهة انتشار الأسلام بالسيف

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه : "لا إكراه في الدين ، هذا ما أمر به القرآن الكريم ، فلم يفرض العرب على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام ، فبدون أي إجبار على انتحال الدين الجديد اختفى معتنقو المسيحية اختفاء الجليد، إذ تشرق الشمس عليه بدفئها ! وكما تميل الزهرة إلى النور ابتغاء المزيد من الحياة ، هكذا انعطف الناس حتى من بقي على دينه ، إلى السادة الفاتحين"[٤١] ويقول العلامة **الكونت هنري دي كاستري** : "درست تاريخ النصارى في بلاد الإسلام ، فخرجت بحقيقة مشرقة هي أن معاملة المسلمين للنصارى تدل على لطف في المعاشرة ، وهذا إحساس لم يُؤثر عن غير المسلمين .. فلا نعرف في الإسلام مجامع دينية ، ولا أحباراً يحترفون السير وراء الجيوش الغازية لإكراه الشعوب على الإيمان"[٤٢]. ويبين **الشاعر غوته** ملامح هذا التسامح في كتابه (أخلاق المسلمين) فيقول: "للحق أقول : إن تسامح المسلم ليس من ضعف ، ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه ، وتمسكه بعقيدته" ويؤكد **هانوتو** إعجابه بروعة التسامح الإسلامي فيقول : "إننا مدينون للمسلمين بالعدل والسلم والتساهل الديني ، ومن الواجب أن ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا في فهمه، وعلينا أن نتخذ (لا إكراه في الدين) شعاراً "[٤٣]. ويقول **المستشرق لين بول** : "في الوقت الذي كان التعصب الديني قد بلغ مداه جاء الإسلام

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية
(٢) (شمس الله تسطع على الغرب) زيغريد هونكه (٣٦٤-٣٦٦) .
(١) عن (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) محمد الغزالي (١٩٤ – ١٩٦) .
(٢) عن (الإسلام والمسيحية مع العلم والمدنية) الإمام محمد عبده (١٦٢) وهو كتاب قيم

ليهتف (لكم دينكم ولي دين) ، وكانت هذه المفاجأة للمجتمع البشري الذي لم يكن يعرف حرية التدين ، وربما لم يعرفها حتى الآن"[٤٤] .

٤-٣- ٢ويقول الكاتب بشير أحمد شاد بعد إسلامه وتركه للنصرانية:

السؤال الذي كان يقلقني هو أننا نحن النصارى نزعم أن الإسلام انتشر بحد السيف؟، فقلت في نفسي: فلماذا تقبل الناس الإسلام ولا يزالون يعتنقونه في كل ركن من العالم؟! لماذا يهتدي الناس في كل بلد إلى هذا الدين دون إكراه أو جبر من أي نوع؟! لم يحدث قط في حياتي أن لقيت أو سمعت عن رجل واحد من غير المسلمين أكره على الدخول في الإسلام قسراً!.. وهذا ينطبق على الناس في الهند وباكستان وفي بقية أجزاء العالم، ففي الهند مثلاً ظل الحكام المسلمون سادة القارة وحكامها لعدة قرون ورغم ذلك بقي الهندوس يشكلون دائماً أغلبية السكان، لقد سمح لهم - كما سمح لكافة الطوائف الأخرى- بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية في ظل الحكم الإسلام!.. كما لم يحدث قط أن نزل جندي مسلم واحد على أرض إندونيسيا أو ماليزيا!. ومع ذلك فالغالبية العظمى من الشعب الإندونيسي هم من المسلمين، وأكثر من نصف سكان ماليزيا مسلمون، فكيف يزعمون أن الإسلام انتشر بالسيف؟! لقد وجدت ، على العكس من ذلك أن الإسلام هو دين الرحمة والحب والتعاطف الإنساني، وهذه كلها اتهامات جائرة ومفتريات لا أساس لها من الصحة، وهذه نقطة أخرى من أجلها اعتنقت الإسلام .

جولة ممتعة نستعرض فيها طائفة من شهادات مفكري الغرب، ومقتطفات من مذكرات الرحالة الغربيين، وهم يصفون المسلمين وأخلاقهم وطريقة تعاملهم، علها تكون من أكبر الدلائل على أن الإسلام دين فطرة!.. لا لبس فيه ولا تعقيد، وأنه متى سمح للبشر الاحتكاك به والإطلاع عليه دون تشويه أو تغيير انجذبت له النفوس، وتاقت لاعتناقه الأرواح دون إكراه أو إجبار.

(٣) عن (الإسلام) د. أحمد شلبي (٢٩٦)

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة – وفي رواية (على هذه الملة)– فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل ترون فيها من جدعاء)، فنحن نعتقد ونوقن أن أولاد اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الوثنيين والمشركين، يولدون على ملة الإسلام ولذا لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: (أو يسلمانه) لكون الإسلام دين الفطرة! وشبه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بالبهيمة التي لا تولد مقطوعة الأذن، أو عليها علامات مميزة، إنما تولد جمعاء!.. فالذي يشترط ويقطع الأذن ويجعل عليها علامة معينة، هو صاحب البهيمة تأثراً بتربية معينة أو عقيدة باطلة. فالأصل أن الإنسان يولد مسلماً فيصرفه أبواه أو من حوله من التوحيد إلى الشرك، ومتى سنحت الفرصة لهؤلاء المنتكسين في الاحتكاك بالمسلمين والإطلاع على دينهم وعقائدهم وشرائعهم فإن الفطرة تعمل عملها العجيب في سرعة انقيادهم ودخولهم الإسلام.. يتحدث **الكاتب النصراني هوبير ديشان** الذي كان حاكماً للمستعمرات الفرنسية بإفريقيا سنوات طويلة حتى عام ١٩٠٠م، وشهد بنفسه تقدم الإسلام وانتشاره، فيقول: إن انتشار دعوة الإسلام بإفريقيا لم تقم على القوة والقسر، وإنما قامت على الإقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولاً ولا طولاً، إلا إيمانهم العميق بدينهم، وكثيراً ما انتشر الإسلام بالتسرب السلمي البطيء من قوم إلى قوم.. وقد يسر انتشار الإسلام أنه دين فطرة طبيعته، سهل التناول لا لبس ولا تعقيد في مبادئه، سهل التكييف والتطبيق في مختلف الظروف، ثم إن وسائل الانتساب إليه أيسر وأسهل.. وقد حبب الإسلام إلى الإفريقيين شعائره ومظاهرة الجميلة البعيدة عن التكلف، والكتابة العربية والوقار الديني، وشعائر الصلاة، مما يضفي على المسلم مكانة مرموقة، وجاذبية ساحرة ويجعله موصوفا بالصدق والأمانة..كتب **جابرييل هانوتو وزير خارجية فرنسا** الأسبق مقالاً سنة ١٩٠٠م تعرف فيه لانتشار الإسلام في ربوع المعمورة، فقال"ليس هذا بالأمر الغريب، فإنه لا يوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام حدوده، منتشراً في الآفاق فهو الدين الوحيد

الذي دخل فيه الناس زرفات ووحدانا، وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق الإسلام دين سواه (وهي الإشارة منه وبدون قصد إلى الفطرة الكامنة في قلوب البشر)

. **قال المؤرخ دورزي عن إقبال الشعوب على اعتناق الإسلام:** إن هذه الظاهرة تبدو لأول وهلة لغزاً غريباً، ولاسيما متى علمنا أن الدين الجديد لم يفرض فرضا على أحد.. ويقول الدكتور **مراد هوفمان** وهو دكتور ألماني في القانون بعد إسلامه في كتابه (يوميات مسلم ألماني): إن الانتشار العفوي للإسلام هو سمة من سماته على مر التاريخ، وذلك لأنه دين الفطرة المنزل على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم. مما ساعد على نشر الإسلام واستجابة أصحاب الديانات الآخرى له ودخولهم فيه، التفوق الفكري والخلقي الذي كان يتحلى به المسلمون، وهذه ما لاحظه الرحالة الأوربي **روبيل** خلال رحلته في بلاد الحبشة فيقول":عندما يراد شغل منصب من المناصب التي تتطلب أن يكون الشخص أميناً كل الأمانة، موثوقا به تماما الثقة، كان الاختيار يقع دائماً على شخص مسلم! ونقل المؤلف **جوزيف تومسون** عن ملاحظات أحد الرحالة الغربيين لإفريقيا فقال: بينما كانت الباخرة تسير بي صعداً في مياه النهر (يعني النيجر)، لم أجد إلا قليلاً من التغيير في الأميال المائتين الأولى ، لأن الوثينة وأكلة لحوم البشر وتجارة الخمور قد ظهرت كلها في وحدة مؤتلفة! ولكني لما تركت ورائي المنطقة الساحلية المنخفضة، وألفيتيني على مقربة من الحدود الجنوبية لما يسمونه (السودان الأوسط) (يعني نيجيريا)، لاحظت تحسناً مطرداً في المظهر الأخلاقي عند الأهلين، واختفت الوحشية، وتبعتها الوثنية، وزالت تجارة الخمور، على حين صارت ملابس الناس أكبر وأكثر احتشاماً، وأصبحت النظافة عندهم عادة، وقد دل مظهرهم الخارجي على وقار زائد وأدب جم، كما دل كل شيء على أن هناك نواة لمذهب أكثر رقياً، كان يؤثر تأثيراً عميقاً في طبيعة الزنجي ويجعل منه إنساناً جديداً!.. ولعلك تدهش حين تعلم أن هذا المذهب هو الإسلام!!.. بالطبع هذا الكاتب يدهش لكونه يكره الإسلام

أو لا يعرف شيئا عنه!.. أما الذين يعرفونه ويعرفون حقيقته فهم لا يندهشون!.. لأنهم يعرفون تطور هؤلاء والتزامهم بالوقار والسماحة والتعامل الراقي شيئاً طبيعياً يقره الإسلام ويأمر به . **كتب المستشرق الأمريكي (لوثروب ستودارد)** في كتابه حاضر العالم الإسلامي، فقال: لم يمض سوى اليسير من الزمن حتى كان السواد الأعظم من الأمم المغلوبة قد دخل في دين النبي العربي أفواجاً، إيثاراً له.. على ذينك الدينيين الذين صار غاية في الانحطاط والتدني.. ولم يكن العرب قط أمة تحب إراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا على الضد من ذلك، أمة موهوبة جليلة الأخلاق والسجايا.. وعند اعتبار شأن انتشار الإسلام هذا الانتشار يجب أن تعلم العلم اليقين أن كل مسلم هو بغريزته وفطرته داعياً إلى دينه، ناشراً له بين الشعوب غير المسلمة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وعلى ذلك فإن نشر الرسالة المحمدية لم يقم به الدعاة وحدهم.. بل شاركهم فيه جماعات عديدة من السياح والتجار والحجاج على اختلاف الأجناس.. وهذه الأعمال التي قام بها المسلمون في غربي أفريقية وأوسطها خلال القرن التاسع عشر إلى اليوم لعجيب من العجائب الكبرى، وقد اعترف عدد كبير من الغربيين بهذا الأمر فقد قال أحد الانكليز في هذه الصدد منذ عشرين سنة: إن الإسلام ليفوز في أواسط أفريقية فوزاً عظيماً حيث الوثنية تختفي من أمامه اختفاء الظلام من حلول الصباح، وحيث الدعوة النصرانية باتت كأنها خرافة من الخرافات.

قال منصر بروتستنتي فرنسي: ما برح الإسلام يتقدم منذ نشوئه حتى اليوم فلم يعثر في سبيله إلا القليل، ومازال يسير في جهات الأرض حتى بلغ قلب إفريقية مذللاً أشق المصاعب ومجتازاً أشد الصعاب، غير واهن العزم، فالإسلام حقاً لا يرهب في سبيله شيئاً، إذ بينما كان النصارى يحلمون بفتح أفريقية في نومهم، فتح المسلمون جميع بقاع القارة في يقظتهم...**ويقول غوته** : درست تاريخ الأديان على مدى خمسين عاماً، وأن العقيدة التي يُربى عليها المسلمون لتدعو لأعظم دهشة!! إذ تقوم على أساس الإيمان بأنه لن يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له، وإنه ما من شيء ينقص هذه العقيدة، ولن يكون بإمكان أي

امرئ أن يتجاوزها.. إن الإسلام هو الدين الذي سنقر به جميعاً إن عاجلاً أو آجلاً.. وأنا لا أكره يقال عني أني مسلم. **كتب المستشرق لورافيشيا فاغليري** فقال: لقد تجلى أمام عيون العالم المندهش دين جديد، بسيط ،سهل، يخاطب القلب والعقل جميعاً، وأقيم شكل جديد من أشكال الحكومة كان أسمى في خصائصه ومبادئه الأخلاقية من تلك المعروفة في ذلك العصر، وبدأ الذهب الذي كان مخبوءاً في صناديق السراة ينتقل إلى أيدي .الفقراء، مستهلاً نظاماً في التداول السليم كَرةّ أخرى، وفي ظل من حكومة تسيّرها مُثل عليا أمينة، وجد الرجال المثقفون البارعون الأذكياء تشجيعاً من النظام الجديد، فاستطاعوا أن يبلغوا أسمى المناصب العامة، ومن الممكن القول في اطمئنان: إن البلاد المفتوحة عرفت عهداً من الرخاء والازدهار، وشهدت غنى لم تشهد آسيا منذ قرون طويلة!.. وإلى هذا فقد نعمت حياة الشعوب المغلوبة وحقوق المدنية وأموالها بدرجة من الحماية تقارب تلك التي نعم بها المسلمون أنفسهم.. **كتب الرحالة الإنكليزي الشهير جوزيف تومبسن** في جريدة التايمز في ١٤ نوفمبر ١٨٨٧م: لنقترب الآن إلى غربي أفريقيا والسودان الأوسط –حيث أتاحت لي الفرص زيارة هذه الجهات – فأقول: إننا إذا قلبنا الطرف وأجلنا النظر نجد الإسلام كجسم قوي تدب فيه روح الحياة والنشاط وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام كما كان في أيامه الأولى، فترى الناس تدخل فيه أفواجاً أفوجاً وتقبل عليه إقبالاً عجيباً يشبه أيام السالفة.. وأن دعاة الدين النصراني يحاولون قلب الحقائق وإلقاء تبعة آثام النخاسة على عاتق الإسلام.. وتراهم لقصورهم عن إدراك مزايا هذا الدين المبين يصفون انتشاره بداهية دهماء على الإفريقيين ويقولون – كما لقن إليهم في حداثتهم– بأن دين محمد صلى الله عليه وسلم لم تقم له قائمة إلا بقوة النار والسيف.. هذه هي التخيلات المطبوعة في أذهانهم يشيعونها عن انتشار الإسلام، وهي على ما أظن تصورات توارثوها جيلاً عن جيل الإسلام دين العفة والرحمة والعدل. **أشار (ولفرهامبتون)** في بحث له عن انتشار الإسلام نشره عام ١٨٨٧م، فقال: عندما تدين بالإسلام أي أمة من الأمم الإفريقية تختفي من بينها في الحال، عبادة

الأوثان، وتحرم أكل لحم الإنسان ووأد البنات، وتضرب عن الكهانة وتأخذ أهلها في أسباب الإصلاح وحب الطهارة، ويصبح عندهم قرى الضيف من الواجبات الدينية، وشرب الخمور من الأمور الممنوعة، ولعب الميسر محرمة، والرقص قبيح، ومخالطة النساء اختلاطاً دون تمييز منعدمة، يرون عفة المرأة من الفضائل، أما الغلو في الحرية والتهتك وراء الشهوات البالية فلا تجيزه الشريعة الإسلامية.. **وكتب المفكر سير توماس آرنولد** في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) في أواخر ١٨٩٠م فقال: يرجع انتشار هذا الدين في تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى: اجتماعية وسياسية ودينية، على أن هناك عاملاً أقوى العوامل الفعالة التي أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هي الأعمال المطردة التي قام بها دعاة الإسلام، وفقوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، مثلاً أعلى وقدوة صالحة. **يقول المستشرق البريطاني (اندرسن)**: لقد تكررت ملاحظة الآثار العميقة التي أحدثها مجيء الإسلام في حياة الزنوج في أفريقيا وفي ثقافتهم. وهكذا يذهب إلى حد القول: أنه (يعني الإسلام) لم يؤد إلى تغييرات عميقة في التركيب الجنسي لهذه الشعوب فحسب، وإنما أتى معه بحضارة جديدة، أعطت الأجناس الزنجية المولدة الطابع الثقافي المميز الذي يحملونه اليوم ومازال مسيطراً على حياتهم السياسية ومؤسساتهم الاجتماعية.. إن الإسلام جاء بالحضارة إلى القبائل البربرية (الهمجية) وحول جماعات منفصلة من الوثنيين إلى أمم راقية، وجعل الاتصال مع العالم الخارجي ممكناً، لقد وسع النظر، ورفع مستوى المعيشة بإنشائه جواً اجتماعياً راقياً، وأسبغ على أتباعه الوقار، واحترام النفس، واحترام الناس، وأدخل فن القراءة والكتابة، وبفضله تم تحريم تعاطي المسكرات والثأر والعادات البربرية الأخرى وجعل من الزنجي الاسود مواطناً عالمياً .**بارتولد مستشرق روسي** وهو أول من درس تاريخ آسيا الوسطى في جامعة بطرسبوغ ١٩٠١م . وعني بالشرق الإسلامي وحقق المصادر العربية المتعلقة به وتخرج عليه عدد من المستشرقين. يقول عن انتشار الدين الإسلامي وسط آسيا: انتشر الدين الإسلامي في القرن الرابع للهجرة

في قبائل الترك الرحل وفي بعض مدن التركستان الصينية بواسطة التجارة وبدون استخدام أي سلاح فكان الأتراك الذين استولوا على البلاد الإسلامية في القرن الرابع الهجري مسلمين .. ويتكلم **المستشرق (بيجي رودريك)** عن حسن تعامل المسلمين وأنه كان من أكبر أسباب انتشاره: ما كان الإسلام يدخل بلداً من البلدان المفتوحة حتى يقبل أهلها جميعاً على اعتناقه ويعاملون معاملة الفاتحين سواءً بسواء، ومن احتفظ منهم بدينه لقي أكرم معاملة، فمصر وشمال أفريقيا والصومال وبلاد أخرى كثيرة هي أمثلة على البلاد التي فتحها المسلمون العرب فأسلم أهلها وحملوا الإسلام إلى غيرهم وعاشوا أعزة مكرمين في ظل دولة إسلامية مئات من السنين. فلا مجال إذن للمقارنة بين الفتوحات الإسلامية وبين الاستعمار البغيض الذي يسلب الشعوب كل شيء. وتقول **(زيغريد هونكه)** في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب): لعل من أهم عوامل انتصارات العرب ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تُكذّبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة، والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عدداً ضئيلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل العرب. وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها بالقوة . **يقول المستشرق مونتكومري وات:** كانت هناك مناطق مثل شرق إفريقيا وجنوب شرق آسيا انتشر الإسلام فيها نتيجة نشاط التجار، إذ لم يكن للمسلمين في تلك المناطق الوثنية أية سرية في ممارسة الصلاة خمس مرات يومياً، ثم إن إخلاص هؤلاء المسلمين والتزامهم المتزن بالإسلام الحنيف قد أذهل الوثنيين الذين كانت لهم علاقات تجارية مع المسلمين مما أدى إلى اعتناق الإسلام والاختلاط عن طريق الزواج إلى تكوين مجتمعات إسلامية صغيرة وسط

المناطق الوثنية ونمت تلك المجتمعات بصورة تدريجية.. **يذكر جوستاف لوبون**"[٤٥] سيرى القارىء- حين يبحث فى فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملا فى انتشار القران الكريم،وان العرب تركو المغلوبين أحرارا فى أديانهم" ويقول أيضا"لم ينتشر القران الكريم بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب"

شبهة :الاسلام صادرحقوق ومكانة المرأة

بلغت المرأة في الإسلام منزلة عالية، لم تبلغها أمة ماضية، و لم تدركها أمة تالية، إذ إن تكريم الإسلام للإنسان تشترك فيه المرأة والرجل على حد سواء، فهم أمام أحكام الله في هذه الدنيا سواء، كما أنهم أمام ثوابه وجزائه سواء في الدار الآخرة، قال تعالى: {**ولقد كرمنا بني آدم**} (٤٦)، وقال عز من قائل: {**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون**} (٤٧)، وقال جل ثناؤه: {**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**} (٤٨)، وقال سبحانه: {**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**} (٤٩)، وقال تعالى: {**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً**} (٥٠)، وقال تعالى: {**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى**}(٥١)، وقال جل ثناؤه: {**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما**

(١) ١حضارة العرب -جوستاف لوبون ترجمة محمد عادل ص ١٤٥-١٤٨
(٤٦) سورة الإسراء، الآية ٧٠.
(٤٧) سورة النساء، الآية ٧.
(٤٨) سورة البقرة، الآية ٢٢٨.
(٤٩) سورة التوبة، الآية ٧١.
(٥٠) سورة الإسراء، الآيتان ٢٤،٢٣.
(٥١) سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

كانوا يعملون} (٥٢). وقال عز من قائل: **{ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً}**(٥٣).

وهذا التكريم الذي حظيت به المرأة في الإسلام لا يوجد له مثيل في أية ديانة أو ملة أو قانون فقد أقرت الحضارة الرومانية أن تكون المرأة رقيقاً تابعاً للرجل، ولا حقوق لها على الإطلاق، واجتمع في روما مجمع كبير وبحث في شؤون المرأة، فقرر أنها كائن لا نفْس له، وأنها لهذا- لن ترث الحياة الأخروية، وأنها رجس.

وكانت المرأة في أثينا تُعَدُّ من سقط المتاع، فكانت تباع وتشترى، وكانت تعد رجساً من عمل الشيطان. وقررت شرائع الهند القديمة: أن الوباء والموت والجحيم وسم الأفاعي والنار خير من المرأة، وكان حقها في الحياة ينتهي بانتهاء أجل زوجها -الذي هو سيدها- فإذا رأت جثمانه يحرق ألقت بنفسها في نيرانه، وإلا حاقت عليها اللعنة. أما المرأة في اليهودية فقد جاء الحكم عليها في العهد القديم ما يلي: (درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون؛ فوجدت أمرّ من الموت: المرأة التي هي شباك، وقلبها شراك، ويداها قيود)(٥٤).

تلك هي المرأة في العصور القديمة، أما حالها في العصور الوسطى والحديثة فتوضحها الوقائع التالية: شرح **الكاتب الدانمركي Wieth Kordsten** اتجاه الكنيسة الكاثوليكية نحو المرأة بقوله: (خلال العصور الوسطى كانت العناية بالمرأة الأوربية محدودة جداً تبعاً لاتجاه المذهب الكاثوليكي الذي كان يعد المرأة مخلوقاً في المرتبة الثانية) وفي فرنسا عقد اجتماع عام ٥٨٦م يبحث شأن المرأة وما إذا كانت تعد إنساناً أو لا تعد إنساناً؟ وبعد النقاش: قرر المجتمعون أن المرأة إنسان، ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل. وقد نصت المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون الفرنسي على ما يلي: (المرأة المتزوجة - حتى لو كان زواجها قائماً

(٥٢) سورة النحل، الآية ٩٧.
(٥٣) سورة النساء، الآية ١٢٤.
(٥٤) سفر الجامعة ، الإصحاح ٧: ٢٥-٢٦ ومن المعلوم أن العهد القديم يقدسه ويؤمن به اليهود والنصارى.

على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها- لا يجوز لها أن تهب، ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية).وفي إنجلترا حرّم هنري الثامن على المرأة الإنجليزية قراءة الكتاب المقدس وظلت النساء حتى عام ١٨٥٠م غير معدودات من المواطنين، وظللن حتى عام ١٨٨٢م ليس لهن حقوق شخصية (٥٥).

أما المرأة المعاصرة في أوربا وأمريكا وغيرها من البلاد الصناعية فهي مخلوق مبتذل مستهلك في الأغراض التجارية، إذ هي جزء من الحملات الإعلانية الدعائية، بل وصل بها الحال إلى أن تجرد من ملابسها لتعرض عليها السلع في واجهات الحملات التجارية وأبيح جسدها وعرضها بموجب أنظمة قررها الرجال لتكون مجرد متعة لهم في كل مكان.

وهي محل العناية مادامت قادرة على العطاء والبذل من يدها أو فكرها أو جسدها، فإذا كبرت وفقدت مقومات العطاء تخلى عنها المجتمع بأفراده ومؤسساته، وعاشت وحيدة في بيتها أو في المصحات النفسية.

الكاتبـــــة مريـــــم جميلـــــة[٥٦]

. تقول :"لقد وضع الإسلام حلولاً لكل مشكلاتي وتساؤلاتي الحائرة حول الموت والحياة وأعتقد أن الإسلام هو السبيل الوحيد للصدق ، وهو أنجع علاج للنفس الإنسانية"."منذ بدأت أقرأ القرآن عرفت أن الدين ليس ضرورياً للحياة فحسب ، بل هو الحياة بعينها ، وكنت كلما تعمقت في دراسته ازددت يقيناً أن الإسلام وحده هو الذي جعل من العرب أمة عظيمة متحضرة قد سادت العالم"(٥٧) .

(٥٥) سلسلة مقارنة الأديان، تأليف د. أحمد شلبي جـ٣ ص٢١٣،٢١٠.
(٢) (مارغريت ماركوس) أمريكية من أصل يهودي ، وضعت كتباً منها (الإسلام في مواجهة الغرب) ، و(رحلتي من الكفر إلى الإيمان) و(الإسلام والتجدد) و(الإسلام في النظرية والتطبيق)
(٥٧) (المراسلة بين المودودي ومريم جميلة) .

"كيف يمكن الدخول إلى القرآن الكريم إلا من خلال السنة النبوية ؟! فمن يكفر بالسنة لا بد أنه سيكفر بالقرآن" . "على النساء المسلمات أن يعرفن نعمة الله عليهن بهذا الدين الذي جاءت أحكامه صائنة لحرماتهن ، راعية لكرامتهن ، محافظة على عفافهن وحياتهن من الانتهاك ومن ضياع الأسرة"(٥٨).

الألمانية ماكلوسكي تقول

"في ظل الإسلام استعادت المرأة حريتها ، فالمرأة في الإسلام تتمتع بحرية الفكر والتعبير ... والمرأة المسلمة معززة مكرمة في كافة نواحي الحياة ، ولكنها اليوم مخدوعة مع الأسف ببريق الحضارة الغربية الزائف ومع ذلك سوف تكتشف يوماً ما كم هي مُضللّة في هذا"(٥٩) .

روز ماري هاو

"قد كرّم الإسلام المرأة ، وأعطاها حقوقها كإنسانة وكامرأة .. أما المرأة الغربية فلا تستطيع أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة"(٦٠).

سالي جان مارس

"لقد لاحظت أن المشكلات العائلية التي يعاني الغرب لا وجود لها بين الأسر المسلمة ، التي تنعم بالسلام والهناء ، وكذلك الحب ، فالمسلمون واثقون أن أبناءهم غير دخلاء عليهم ، وهذا مفقود في الغرب"(٦١).

---

(٥٨) عن (مقدمات العلوم والمناهج) للعلامة أنور الجندي (٦ / ١٩٩) .
(٥٩) نقلاً عن (المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي) د. عماد الدين خليل (٥٢) .
(٦٠) نفسه ص(٤٧) .
(٦١) نفسه ص(٧٤) .

الفنان الفرنسي ناصر الدين دينيه

. يقول :"لقد أكد الإســـــلام من الساعة الأولى لظهوره أنه دينٌ صالحٌ لكل زمان ومكان ، إذ هو دين الفطرة ، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر ، وهو لهذا صالح لكل درجة من درجة الحضارة...(٦٢) لقد كان النبي يُعنى بنفسه عناية تامة ، وقد عُرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة ، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال" .

"إن تعدد الزوجات عند المسلمين أقل انتشاراً منه عند الغربيين الذين يجدون لذة الثمرة المحرمة عند خروجهم عن مبدأ الزوجة الواحدة ، وهل حقاً إن المسيحية قد منعت تعدد الزوجات ؟! وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه ؟! إن تعدد الزوجات قانون طبيعي ، وسيبقى ما بقي العالم ، إن نظرية الزوجة الواحدة أظهرت ثلاث نتائج خطيرة : العوانس ، والبغايا، والأبناء غير الشرعيين".(٦٣)

---

(٦٢) (محمد رسول الله) ناصر الدين دينيه ص (٣٤٥) .

(٦٣) عن (المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي) د. عماد الدين خليل (٦٦-٩٧) .

الفصل الخامس

رؤية اسلامية لتصحيح الصورة الغربية للأسلام وثوابته ورموزه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلامِ[٦٤] أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ[٦٥]

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {الحجرات/١٣}

محمد مارماديوك باكتال[٦٦] .

يقول باكتال : "يمكن للمسلمين أن ينشروا حضارتهم في العالم بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً ، بشرط أن يرجعوا إلى أخلاقهم السابقة لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم" .

خالد شلدريك

"تساءلت في نفسي : إذا كان الإسلام لا أهمية له ، فلماذا يبذل الغربيون كل هـــذه الجهود لمقاومته ؟ وليس عندي ريب في أن الإسلام سيسود العالم أجمع بشرط أن يكـــون المسلمون مثالاً حسناً يعلن عن الإسلام ، ويعرّف الأمم به عملياً" (٦٧).

(١) قال ابن حجر في فتح الباري: أي : بالكلمة الداعية إلى الإسلام ، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.
(٢) جمع أريسي، وهو منسوب إلى أريس، قال ابن سيده : الأريس الأكار، أي : الفلاح.
(٣) إنجليزي ، أصدر كتاب (الثقافة الإسلامية) كما قام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية ، مستعيناً بالدكتور محمد أحمد الغمراوي ، وتعتبر هذه الترجمة من أوثق الترجمات ، وهي أول ترجمة يقوم بها إنجليزي مسلم
(٦٧) عن (آفاق جديدة للدعوة) أنور الجندي (١٥٤) .

لا شك ان هذا الأمر يهم كل من رضى بالله تعال ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وفى هذا البحث نستعرض بعض الرؤىءونستخلص منها رؤيتنا.

٥-١رؤية الشيخ عطية صقر فى كتاب الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه[٦٨]:

تحت عنوان واجبنا نحو الدين العالمى يقول رحمه الله"المشاهد ان فى الغرب الان حركتان قويتان تتصلان بالشرق والأسلام الحركة الاولى تهتم ببدراسة الشرق بغرض استغلاله واستعماره والسيطرة عليه والحركة الثانية هى حركة البحث عن دين عالمى تطمئن النفس اليه ويحل المشاكل الداخلية المعقدة ، والتى لا يستطيع العلم حلها، لأن العلم على تقدمه السريع لم ينجح الا فى المسائل المادية فقط، اما المسائل الخلقية والفضائل النفسية فلم يستطع العلم ان يمسها بالتهذيب، فان النفوس ما تزال ترتع فى حمأة الحيوانية وتدفع أصحابها الى ارتكاب كل ضروب الوحشية، فهى فى حاجة ماسة الى رادع قوى من أدب عال فوق الوجود المادى الذى أغرقوا فيه ." ثم يمضى بنا فيقول فاذا كان الغرب يهتم بالبحث عن دين عالمى يتفق مع مقررات العلم كانت الفرصة سانحة لنبين ذلك للعالم، وليروا فى الاسلام بغيتهم التى ينشدونها من زمن طويل. لهذا كله يجب علينا ان ننشط فى تبليغ الدعوة العالمية، حتى لا تطغى عليها الأديان ، ونصاب نحن من شررها" (والأمة لم تهتم بما حذر منه ووقع المحذور فقد لحق الشرر الأمة فى الاساءة الى نبيها واحتلال أرضها)

ثم يشرح الواجب نحو عالمية الدين فيقول" لا بد من دراسه شاملة للبلاد التى توجه اليها الدعوة و معرفة عاداتها و اصولها و فلسفاتها و ظروفها الاجتماعيه و الاقتصاديه و لله در القائل:

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلفا عن غرة زلقا

ان الغرب حين اراد ان يستغل ثروات الشرق و بسط نفوذه عليه انشأ الدراسات الواسعة و الهيئات العلمية الضخمة المتنوعة التى تضم كبار المتخصصين فى جمع الفروع مع اغداق المال

(١) الكتاب صدر فى المحرم١٣٩٠ الموافق مارس١٩٧٠ من اصدارات مجمع البحوث الاسلامية ((وما بين الأقواس من تصرف الباحث))

على هذه الجهود واستمروا يجمعون المعلومات تحت اسماء مختلفة حتى استطاعوا ان يعرفوا عن البلاد ما لا يعرفه عنها اهلها ولما استيقظ اهلها وجدوا انفسهم تلاميذ لهؤلاء الاجانب .
فالدعوه الاسلامية لعالمية هذا الدين لا بد لها من دراسات واعية للأرض التى تلقى فيها البذور و معرفة اجوائها حتى تنبت البذره و نجنى من ورائها هداية البلاد و قلوب العباد الى الله تعالى و انعم بها و أكرم من ثمرة .

-إن من الحكمة عند اقتلاع عقيدة باطلة او حتى عادة سيئة او نقد لوضع معين من الحكمة الا يكون التوجيه مباشرة بل لا بد من طريق لا يثير فتنة او معارضة لأن الموروثات و خاصة العقائد و ان كانت باطلة ليس من السهل تحويل الناس عنها فلعل من المفيد ما يلى:-

١-توجيه الانظار الى نواحى الفساد فى ذلك الاعتقاد و بطريقة السؤال ثم ترك الفرصة للعقل يفكر و يقدر((فلئن يدرك الحق من تدعوه و يعرفه فى نفسه دون ان يظهر لك خير من ان يعلن لك انه ادركه بلسانه فقط))

٢-ذكر ما فى الاسلام من محاسن و مزايا واثر فى حياة الناس دون عرض تقيضها عنده حتى هو يدركها بنفسه و يقول المثل الغربي (بدل من ان تعلن الظلام اوقد شمعة) ذلك لأن لعن الظلام جهد ضائع لا يذهب الظلام به ، لكن الذى يذهبه عمل ايجابى بسيط و هوا اضاءة شمعة فذكر المحاسن لمبداء يعطى فرصة للمدعو ان يفكر فى مبدئه و قيمته بالنظر لمايراه و يسمعه و هناك يكون تحوله للمبدأ الجديد عن اقتناع دون إثاره شعور او مضاعفات غير حميدة*

*هذا لا يعنى ان طريق الدعوة الى الله تعالى معبداً بالورود و ليس به اشواك كلا لكن القصد تفادى العقبات قدر الاستطاعة – و النص "لا تتمنوا لقاء العدو

التجارب السابقة و القائمة

لا بد من الاستفادة من تجارب الغير و دراسة دعوته مهما كانت عقيدته ان الحكمة ضالة المؤمن و الدعوة الى عالمية الاسلام هى كالحرب فلا بد من التفنن فى الاسلحة ووسائل الجهاد و دراسة الميدان و التخطيط قبل خوض المعركة و((من اهم التجارب السابقة قصص الانبياء فهم المثال فى الدعوة الى الله كذلك دراسة السيرة النبوية و حياة الصحابة الكرام و الفتوحات الاسلامية كذلك لا بد من دراسة التجارب القائمة مثل كليات الدعوة و جماعات الدعوة و المؤسسات الدعوية الرسمية و غير الرسمية و معرفة مدى التقدم فيها و عقد المقارنات بينها و التأكد من مطابقة منهجها للشرع)). ثم يبين ما يجب على الداعى نحو نفسه ونحو من من يدعوه الى دين الله . فيذكر "فلا بد للداعى ان يتسلح بعقيده صحيحة و ايمان قوى و علاقة بالله تعالى و حال من الذكر الكثير و قيام الليل و كذلك على الداعى الى الله تعالى ان يتحلى بخلق حسن و هيئة حسنة ((و الحسن ما يحسنه الشرع)) و ليعلم انه ليس ابلغ اثراً فى النفوس من جلال تكسبه التقوى و ملازمة حدود الله تعالى و من جمال يلقيه العلم النافع على صاحبه و من هيبة يوجدها الاعراض عن الدنيا و عدم الحرص عليها ولا بد للداعى من معرفة لسان القوم الذى يدعهم ((و الاهم مما تقدم كله ان يكون الداعى على يقين من ان الهادى على الحقيقة هو الله سبحانه و تعالى . و هو من بيده نواصى كل الخلق يقول فى كتابه لرسوله صلى الله عليه و سلم (**انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدى من يشاء**) الاية و يقول ايضا(**و انـــك لتهـــدى الـــى صـــراط مستقيـــم**) الاية ان الهداية التى اثبتها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم هى هداية الدلالة او هداية الطريق الموصول اليه سبحانه و تعالى اما الهداية التى اثبتها الله تعالى لنفسه ، فهى هداية الإعانة و التوفيق على الطريق و النبي صلى الله علسه و سلم يقول لسيدنا على رضي الله عنه يوم خيبر(فوالله لئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم).))

((كذلك هناك واجبات على الداعى نحومن يدعوه الى الله تعالى منها:-
علمه ان حقيقة الهداية على الله سبحانه و تعالى - و على الداعى ان يخاطب عقل و قلب و وجدان المدعو ، اذا انه من خلال استعراض الكثير ممن لم تنشرح صدورهم للاسلام انهم كأنوا على قناعة عقلية تامة بأنه الحق ولكن هذه القناعة لم تصل الى القلب لمافيه من امراض الكبر و الحسد او الحقد او الحرص على الجاه و المنصب و السلطان . ان التجارب اكدت ان القناعة العقلية و ان كانت حتمية و ضرورية – لكنها وحدها بدون القلب السليم لا تؤدى الى هداية كاملة ، و على الداعى كما يدعو الناس ليهتدو الى ربهم لا بد ان يدعوا الله تعالى كثير بالليل خصوصاً ا ان يهدى عباده اليه سبحانه و تعالى و ان حاجة الدعوة الى الدعاء كحاجة البذر المنثور فى الارض الى الماء بل اشد فكما انه لا يتم الانبات مع صلاح التربة الا فى وجود الماء كذلك حقيقة أثر الدعوة لا تتأكد الا بالدعاء و هكذا كان حال الهادى البشير صلى الله عليه و سلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه صلى الله عليه و سلم و بين الله تعالى ذلك (**يا ايها المزمل قم الليل الا قليل**) الاية و بالنهار (**يا ايها المدثر قم فأنذر**)و بالقيامين اقام الله تعالى لنبيه الدين و أتم النعمة)) .[٦٩]

٥-٢-حول هذه الأمر ايضا يذكر عبد المعطى الدالاتى صاحب كتاب ربحت محمد ولم أخسر المسيح فيقول"

إن القفزة الحضارية الهائلة التي سجّلتها أمتنا الإسلامية ، يمكنها أن تعود ، وأن تتكرر من جديد ، بشرط واحد هو أن نريد بإذن الله ، فالإمكان الحضاري الذي تهبنا إياه القيم المعصومة في الكتاب والسنة والسيرة ، ليس ببعيد على من يريده ويسعى إليه ، وقد بدأت تتفتح أزهار الانتصار العاطفي للإسلام في ضمير الأمة ، و لم يبقَ إلا أن تتعمق جذور الوعي كي تثمر هذه الأزهار . ويقع عبء التوعية أولاً على كاهل النخبة المخلصة المتخصصة

(١) عطيه صقر، الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه بتصرف يسير

المؤتَمنة على إيصال صوت نبيها إلى العالم ... وهؤلاء هم (أولو الألباب) الذين مزجوا الحق بالصواب ، والذين باعوا أعمارهم وجهودهم وطاقاتِهم لله تعالى ، فربحوا مرتين إذ البضاعة منه والثمن ! "**إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأنّ لهم الجنة**" (سورة التوبة – ١١١) . وإن الحضارة في صعود ، إذ كانت النخبة المبدعة المؤمنة هي التي تقود ، ومن بعد النخبة يأتي دور الأمة ، ليقوم كل مسلم بدوره في عملية النهوض الحضاري وإن أول عمل حضاري في تاريخ الإسلام وهو بناء المسجد ، قد شاركت فيه عزائم كل المسلمين ، بقيادة نبيهم الأمين ، وكذلك الأمر في حفر الخندق إذ كان الصحابة كلهم على أمرٍ جامع ، وإن الحضارة لن تنجم[٧٠] إلا عن تجمع آلاف الجهود الصغيرة النافعة ، والنهر المتدفق هو قطرات ماء تآخت ثم وجدت طريقها . إن على كل مسلم أن يقوم بدوره في عملية البناء الحضاري للأمة ، وإن كل مسلم مدعوّ إلى نزهة القمم ، فعليه أن يُنَزِّه نفسه عن وهدة السفوح . فأمام المسلم اليوم خياران : إما أن يسعى إلى تغيير نفسه ليتغيّر العالم ، وإما أن يُغيّر اسمه . ربنا هب عوامنا العلم ، وعلماءنا العمل ... وعاملينا الإخلاص ، وهب مخلصينا السداد والتميز في النجاح " من كتاب " ربحت محمدا و لم أخسر المسيح"

٥-٣ رؤية العلامة أبو الحسن الندوى

يوضح العلامة ابو الحسن الندوى محاور هامة لقيام العالم الاسلامى برسالته وتوضيح وتصحيح صورته من هذه المحاور هى الاستعداد الروحي والاستعداد الصناعي والحربي و التنظيم العلمي الجديد واخيرا تبوء الزعامة في العلم والتحقيق : فيقول عن هذه الرسالة

رسالة العالم الإسلامي :

لا ينهض العالم الإسلامي إلا برسالته التي وكلها إليه مؤسسه صلى الله عليـــه وســـلم والإيمان بها والاستماتة في سبيلها ، وهي رسالة قوية واضحة مشرقة ، لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ولا أفضل ولا أيمن للبشرية منها . وهي الرسالة نفسها التي حملها المســـلمون في

(١) تنتج

فتوحهم الأولى ، والتي لخصها أحد رسلهم في مجلس يزدجرد ملك إيـــران بقولـــه : ((الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى ســـعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)) رسالة لا تحتاج إلى تغيير كلمة وزيادة حرف ، فهي منطبقة تمام الانطباق على القرن العشرين انطباقها على القرن السادس المســـيحي ، كـــأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خرج المسلمون من جزيرتهم لإنقاذ العالم من بـــراثن الوثنيـــة والجاهلية .

الاستعداد الروحي :

ولكن العالم الإسلامي لا يؤدي رسالته بالمظاهر المدنية التي جادت بها أوربا على العالم ، وبحذق لغاتها وتقليد أساليب الحياة التي ليست من نهضة الأمم في شيء ، إنما يؤدي رسالته بالروح والقوة المعنوية التي تزداد آوربا كل يوم إفلاساً فيها ، وينتصر بالإيمان والاســـتهانة بالحياة والعزوف عن الشهوات ، والشوق إلى الشهادة والحنين إلى الجنة ، والزهد في حطام الدنيا وتحمل الأذى في ذات الله صابراً محتسباً قال الله تعالى : {**وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَـــوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ** } **الاية**

الاستعداد الصناعي والحربي :

ولكن مهمة العالم الإسلامي لا تنتهي هنا ، فإذا أراد أن يضطلع برسالة الإسلام ويملك قيادة العالم فعليه بالمقدرة الفائقة ، والاستعداد التام في العلوم والصناعة والتجارة وفن الحرب ، وأن يستغني عن الغرب في كل مرفق من مرافق الحياة ، وفي كل حاجة من الحاجـــات ، يقوت ويكسو نفسه ، ويصنع سلاحه ، وينظم شؤون حياته ، ويستخرج كنـــوز أرضـــه وينتفع بها ، ويدير حكوماته برجاله وماله ، ويمخر بحار المحيط بـــه بســـفنه وأســـاطيله ، ويحارب العدو ببوارجه ودباباته وأسلحة بلاده ، وتزيد صادراته على وارداته ، ولا يحتـــاج إلى الاستدانة من الغرب ، ولا يضطر إلى أن يلجأ إلى راية من راياته وينضم إلى معسكر من معسكراته .

أما ما دام العالم الإسلامي خاضعاً للغرب في العلم والسياسة والصـــناعة والتجـــارة ، يمتص الغرب دمه ، ويحفر أرضه فيستخرج منها ماء الحياة ، وتغزو بضائعه أسواق العـــالم الإسلامي وبيوته وجيوبه كل يوم فتستخرج منها كل شيء ، وما دام العـــالم الإســـلامي يستدين من الغرب الأموال ، ويستعير منه الرجال ، ليديروا حكومته ، ويشغلوا الوظـــائف الخطيرة ويدربوا جيوشه ويستورد منه البضائع ويجلب منه الصنائع ، وينظر إليـــه كأســـتاذ ومرب ، وسيد ، لا يبرم أمراً إلا بإذنه ولا يصدر إلا عن رأيه ، فلا يستطيع أبداً أن يواجه الغرب فضلاً عن أن يناهضه ويغالبه .

تبوء الزعامة في العلم والتحقيق :

وقد تنازل العالم الإسلامي – بما فيه العالم العربي – منذ زمن طويل عـــن مكانتـــه في القيادة العلمية والتوجيه ، والاستقلال الفكري ، وأصبح عيالاً على الغرب مـــتطفلاً علـــى مائدته حتى في اللغة العربية وآداب اللغة وعلومها ، وحتى في علوم الدين كالتفسير والحديث والفقه . وأصبح المستشرقون هم المرشدين الموجّهين في البحـــث والتحقيـــق ، والدراســـة والتأليف ، وهم المنتهى والمرجع والحجة في الأحكام والآراء الإسلامية والنظريات العلميـــة والتاريخية ، وهم الأسوة في النقض والإبرام . وعدد كبير منهم قسوس وإرساليون ويهـــود ومسيحيون متعصبون ، يضمرون للإسلام وصاحب رسالته – صلى الله عليـــه وســـلم – العداء والبغضاء ، وللحضارة الإسلامية السخرية والاســـتهزاء ، ويخونـــون في النصـــوص والنقول ، ويحرّفون الكلم عن مواضعه . ومنهم عدد لم يتقن اللغة العربية و لم يبرع فيهـــا ، وهم يخطئون في فهم النصوص وترجمتها أخطاء فاحشة ، وقد تغلغلت أفكارهم ودعايـــاتهم في الأوساط العلمية الحديثة في العالم الإسلامي وتجلت بصورة واضحة في الدعوة إلى فصـــل الدين عن السياسة ، وأن الدين قضية شخصية لا شأن له بالمجتمع ، وفي الدعوة إلى تغيـــير مفهوم الدين وأحكام الشريعة الإسلامية على أساس الحضارة الغربية وفلسفتها .. إلى غـــير ذلك من الأفكار التي يدعو إليها تلاميذ المستشرقين والخاضعون لهم في الشرق الإسلامي .

وقد عجز كتاب الشرق المسلمون والمفكرون الشرقيون عن مواجهة الحضارة الغربيـــة وجهاً لوجه ونقد أسسها وقيمها نقداً حُرّاً جريئاً فيه الابتكار ، وفيه الاستقلال ، وقد بلغ بعضهم من ضعف التفكير ، والإغراق في التقليد مترلة رأى فيها أن الحضارة الغربية هـــي آخر ما وصل إليه العقل البشري وأنه لا مترلة وراءها ، ومنهم من دعا إلى تطبيق الحضـــارة الغربية برُمتها ، وعلى علاتها في الشرق ، ودعا بعض الأقطار الإســـلامية وإذابتهـــا فيهـــا واختيار الثقافة اليونانية التي هي أصل الثقافات الأوربية .

وندر في هذه الطبقة وجود ((عملاق)) يكفر بالحضارة الغربية وفلسفة حياتها وقيمها ويشرّح الحضارة الغربية وأُسسها التي قامت عليها في ثقة واعتداد وعلم وبصيرة ، ونستثني من هذه الكلية بعض الأفراد الأفذاذ كالعلامة ((محمد إقبال)) من المســـلمين القـــدامى ، والأستاذ ((محمد أسد)) من الأوربيين المهتدين بالإسلام .

التنظيم العلمي الجديد :

ولابد للعالم الإسلامي من تنظيم العلم الجديد بما يوافق روحه ورسالته . وقد ساد العالم الإسلامي على العالم القديم بزعامته العلمية ، فتسرب بذلك في عقلية العالم وثقافته ، وتغلغل في أحشاء الأدب والفلسفة ، وظل العالم المتمدن قروناً يفكر بعقله ويكتب بقلمه ويؤلف بلغته ، فكان المؤلفون في إيران وتركستان وأفغانستان والهند لا يؤلفون كتاباً له شأن إلا باللغة العربية ، وكان بعضهم يؤلف الأصل بالعربية ويلخصه بالفارسية كما فعل الغزالي في : ((كيمياء السعادة)) .

٥-٤- رؤية الدكتور محمد يسرى ابراهيم والتى عرضها فى كتاب التطاول الغربى على الثوابت الاسلامية. يقول فى رؤيته"ولا شك ان هناك فرقا بين المشروع الاستعماري الغربى و الذى يقوم عليه دهاقنة السياسه و الفكر و الدين فى الغرب و بين الأ نسان الغربى بشكل عام ،اذ أن الأول لن يكون الا عدوا جلدا، واما الآخر فان منه من يمكن ان يتحول الا نصير وظهير ومتفهم للاسلام وفكرته، بل ومؤمن به وبرسالته اذا بلغته الدعوة على وجهها،

وأقيمت الحجة وأزيلت الشبهة. والواجب لوضع خطة عمل طموحة ، ويمكن أن نقترح من تفاصيلها العملية محاور ثلاثة هى :

المحور الاول : إعادة تشكيل الذهنية الغربية حول الاسلام وثوابته ورموزه .

المحور الثانى : التصدى لحملات الاساءة والتشويه لمقام نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة ، وللثوابت الاسلامية عامة .

المحور الثالث : بناء البيت المسلم وتربيته من الداخل ، حيث لانرجو احتراماً لوضعنا العالمى إلا بتحصيل القوة بمختلف صورها .

وفيما يلى مقترحات عملية حول كل محور من المحاور السابقة

مقترحات حول المحور الاول

١ – العناية بإنتاج الكتب والأدبيات الاسلامية باللغات الحية ، ويتأتى هذا عن طريق إنشاء مراكز بحثية عالمية تعنى بإنتاج الكتاب الاسلامى المعاصر بعدة لغات ، سواء مايصلح للتدريس فى المقررات الدراسية أو الجامعات ، أو مايطرح للمثقفين والادباء ، وفق معايير عالية الجودة

٢ – إنشاء مراكز للترجمة الواعية وفق ضوابط تراعى السياقات الزمنية والحضارية للمراجع الاسلامية الاصلية فى القرآن الكريم وعلومة ، والحديث وأصولة ، والسيرة والتاريخ والحضارة الاسلامية .

٣ – توجيه الباحثين وطلبة العلم الذين يجيدون اللغات الغربية للإسهام بالتدريس فى فصول دراسية بالجامعات الغربية ومراسلة هذه الجامعات فى ذلك كنوع من أنواع المشاركة فى تحسين الصورة الاسلامية لدى الاوساط الاكادمية .

٤ – التوجه الى إعداد مكتبات إسلامية رصينة ومتكاملة وإعدائها الى مكتبات الجامعات الغربية بتدريس الاسلاميات ؛ الامر الذى يؤدى الى أطراد التحسن فى تناول وعرض الاسلام ،وإضعاف فكرة صراع الحضارات التى يتزعمها بعض غلاة المحافظين الجدد .

٥- متابعة المؤتمرات العلمية الغربية والتى تعنى بالشأن الاسلامى والعربى والشرق أوسطى ، والعناية بحضورها بتمثيل واع ، حتى تتأتى المشاركة والتفاعل الايجابى ، وعدم مقاطعتها ، حتى تلك التى تدعوا الى حوار بين ألاديان ، مالم تتضمن دعوة للتنصير أو خلط الاديان .

٦ – تشجيع ودعم مراكز تعليم اللغة العربية للأجانب سواء ما أنشىء منها فى الشرق أو افتتاح عدد منها فى الغرب ؛ ليتمكن الغربى بنفسة وبلا وسائط من التعرف على الاسلام من مصادره الاولى ويمكن دعم تقديم منح للأكاديميين والمثقفين الغربيين فى هذا الصدد للدراسة فى الشرق ، وهو دور ستحمد عاقبته بإذن الله تعالى .

٧- التعاون مع المنصفين والتواصل مع المعتدلين فى المجتمعات الغربية ، وذلك بإنشاء روابط وجمعيات وفعاليات للحوار والدعم الفكرى ، وطباعة كتب الغربيين أنفسهم والتى تنطق بالحجة الصحيحة .

٨ – الاعلان للأكادميين الغربيين عن جوائز سنوية قيمة فى البحوث والدراسات الاسلامية المتميزة باللغات الحية ، وتحديد المحاور التى وقع فيها المتعمد أو الجهل بحقائق الاسلام وقضاياه الكبرى لتكون محور هذه البحوث .

٩ – إنشاء ودعم عدد من الكراسى الاكاديمية فى عدد من الجامعات الغربية العريقةحول الاسلاميات .

١٠ – التوسع فى إنشاء القنوات الفضائية المتخصصة فى مخاطبة رجل الشارع الغربى بلغتة والنفوذ الى عقله ووجدانة ، وتعريفه بالإسلام وأصولة ، والنبى صلى الله عليه وسلم وسيرتة .

مقترحات حول المحور الثانى :

١ – إنشاء منظمات ومؤسسات عالمية للدفاع عن أنبياء الله قاطبة ، والتعاون فى هذا الصدد مع عقلاء المخالفين فى أصل الدين ، ومخاطبة الحكومات والسياسين ومختلف الهيئات والجهات المعنية بهذا الصدد .

٢- تبنى الرد المباشر والمناظر العلنية والحوار المفتوح مع من تقع منه الاساءة ، وتعريته وفضح أصوله الفكرية والسياسية المتطرفة .

٣- إستخدام كل جهد دبلوماسى متاح للذود عن حرمات الاسلام وتعظيم مقدساتة ، والدعوه الى الاجتماعات الطارئة على مستوى التمثيل الدبلوماسى الاسلامى لمنلقشة مايترل ويستجد .

٤ – تنظيم الحملات الاعلامية المضادة ، فى مختلف وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، وإطلاق عدة مواقع الكترونية للرد بمختلف اللغات ، وتخصيص المصطفى صلى الله عليه وسلم بنصيب مستقل فى ذلك .

٥ – إعتماد أساليب المقاطعة بمختلف صورها الاقتصادية والثقافية مع من يثبت فى حقه تعمد الاساءة ، وتتكرر منه الاهانة للإسلام وأهلة .

٦ – مد جسور التواصل مع المنصفين الغربيين لعقد حوارات وندوات مشتركة فى الرد على المعتدين ، ونشر تلك الندوات بأشكال متعددة .

٧ – إنشاء عدد من الؤسسات الاعلامية العالمية لتتبنى المنافحة عن القضايا والمسائل الاسلامية المثارة فى الاعلام الغربى .

مقترحات حول المحور الثالث :

١ – العمل الجاد والسعى الدؤوب بمختلف السبل الى تطبيق شريعة الله عز وجل نصاً وروحاً ، ودعوة الحكومات وولاة الامر فى بلاد المسلمين قاطبة للتمسك بأهداب الشرع المطهر .

٢ – تقوية دور العلماء وهيئات الامر بالمعروف والاحتساب ، وتشكيل لجان وروابط دولية للعلماء ، متحررة من الاقليمية والضغوط الحزبية والسياسية على حد السواء .

٣ –إنشاء عدد من المؤسسات الاعلامية والدعوية الخيرية والتى تتبنى تنسيق جهود الدعاة ودعمهم حول العالم علمياً وإعلامياً .

٤ – العناية بشأن تصحيح العقيدة وإعتمادها كأولوية أولى فى برامج الاصلاح لدى الدعاة بمختلف طوائفهم وأطيافهم .

٥ – توجيه جهود الدعاة الى تربية الامة على حماية مقدساتها ، والغيرة على عقيدتها ، وحياطة شريعتها ، والايجابية فى التصدى لأعدائها ، وإشاعة الوعى الفكرى والثقافى والسياسى بين صفوفها .

٦ – الأخذ على أيدى العلمانيين والمتغربين فكرياً ، ومنعهم من تمثيل الأمة أو التحديث بأسمها أو تشكيل صورتها لدى الغرب ، وردع أولئك المتجرئين على ثوابتها بكل الوسائل الشرعية المتاحة .

٧ – السعى الى ترشيد الحركات الجهادية الصحيحة ومناصحتها والاخذ على ايدى المتعجلين ، والحرص على إستيفاء شرعية هذه الاعمال ، وعدم الاضرار بالأمة ، وحسن ترتيب الاولويات ، وتحقيق مصلحة إعزاز الدين ، والدفع عن المستضعفين ، وكف بأس الكافرين .

٨ – الحرص على الشمول والتجديد فى الخطاب الدعوى لتشمل أمتى الدعوة والاجابة ، والعناية بالوحدة والائتلاف ، وتحرى العدل والانصاف عند الخلاف ومراعاة حال الامة ، وتقديم النظر لها على تحقيق مصلحة حزبية أو منفعة شخصية .

٩– التوجية للخروج من التبعية الغربية فى التقنية والتصنيع ، والاقتصاد والتجارة ، وتعظيم قيمة التحرر من أسر التبعية الغربية فى مختلف المجالات ، والاستفادة من الجانب النافع المفيد من العولمة ، وتوقى الضار منها .

١٠ – الاهتمام بالجوانب السلوكية والحضارية لدى الامة أفراداً وجماعات ، والدعوة الى تلك القيم الاسلامية العليا ، والحرص على تقديم صور حضارية مشرفة للمجتمعات المسلمة فى عباداتها كالحج والمشاهد العامة .

٥–٥–رؤية الباحث

يمكن من الرؤى السابقة لهؤلاء العلماء الغيورين يمكن ان نخلص الى النقاط التالية:-
ضرورة الفهم الصحيح لقيمة الذات المسلمة ورسالتها فى الحياة .،واعادة ثقة المسلم فى ذاته واكتشاف نفسه وقدراته ومعرفته لرسالته الحقيقية فى الحياة والتخلى عن روح الأنهزامية[٧١] وبث روح الأستعلاء الايمانى ولتوضيح ذلك نوصى بما يلى:-

- اتباع سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعوة الى الله تعالى فى دعوة الغير ودعوة الخير.
- دراسة فلسفة الذاتية لفيلسوف الاسلام محمد اقبال وبيان مدى أصولها الأسلامية.[٧٢]
- الأهتمام بجميع وسائل الدعوة الحديثة وعلى راسها الشبكة العنكبوتية.
- إنتاج أفلام توضيحية إسلامية للتعريف بالإسلام وثوابته ورموزه- وذلك لما للشاشات من تأثير شديد فى شد انتباه الناس.
- إنشاء درجات علمية فى دعوة غير المسلمين.
- عقد مؤتمرات علمية عالمية حول موضوع عالمية الإسلام وواجب المسلمين نحوها.
- التوسع فى انشاء معاهد لإعداد الدعاة بغير العربية مع التركيز على تربية القلب النابض بالإيمان مع إعداد اللسان الناطق بالإسلام، وذلك من خلال التربية على قيام الليل ومدوامة الذكر لله تعالى حتى يكون فى الكلام أثر على قلب المتلقى.
- وجوب التأكيد على ان للدعوة قطبان لا غنى بأحدهما عن الآخر وهما دعوة الخلق الى الله تعالى وكذلك دعاء الله ان يهدينا ويهدى بنا خلقه اليه.
- التأكيد على دور دعوة المرأة المسلمة لغير المسلمة.
- الأهتمام بالسياح الوافدين لبلاد المسلمين وما المانع من قيام الأزهر بالتنسيق مع وزارة السياحة من تقديم نشرات تعريف بالاسلام و بثقافة مصر مثلا وكذلك

(١) وننصح بالعودة الى مقال العلامة أبو الحسن الندوى" نظرة مؤمن واع الى المدنية الحديثة"
(١) الشاعر الفيلسوف المسلم محمد اقبال من الذين سبروا أغوار الغرب وحضارتهم

المسلمين السائحين او المقيمين او العاملين فى بلاد الغرب يجب ان يتم تنبيههم على رسالتهم الحقيقية .

- التأكيد على ان الخطاب الدعوى للغرب لا بد من ان يكون مخاطبا العفل والقلب معا لأن القناعة العقلية لا تجدى اذا كان القلب لا يزال مريضا.
- اعادة النظر فى التجارب الدعوية القائمة- تقيما لها- مثل كليات الدعوة وجماعات الدعوة.
- فهم المجتمع والأنسان الغربى وكيف يعيش وفيما يفكر.
- توضيح الوجه الحقيقى للحضارة الغربية ونقدها بموضوعية والأستفادة من وجها الأيجابى فى تبليغ الدعوة الأسلامية.
- ويجب على المسلمين ان ينبهوا الغرب على النقاط التالية:-

تنبيه الغرب على ما تفرضه عليهم بشريتهم وانسانيتهم وعقولهم وما أولاهم الله به من مواهب شتى . وتحرير العقل- الذى أستخدم فى الوصول الى هذا الرقى فى مجال المادة_من التقليد والتبعية للأجداد وتحريره من الخرافات.

- يجب أن ينقوا قلوبهم من أمراض الكبر والغطرسة والحسد والتعالى على الغير .

-وليعلموا ان هذه الحضارة التى يتعالوا بها ليست نتاجهم وحدهم ولا جيلهم هذا لوحده انما هى نتاج تراكمات من مختلف الشعوب وعلى مر السنين وأن هذه الحضارة حضارة مفتقرة الى جانب الروح.

-الألتزام بالقراءة بفكر وتدبر وروية فى الكون المنظور والمستور والمسطور.

- صدق اللجوء الى الله تعالى وطلب عونه ومدده للهداية الى الطريق المستقيم

= أستقراء حقيقة الواقع الذى آل اليه حالهم فى بعدهم عن الأسلام

- البحث عن معنى للحياة يليق بقيمة الأنسان ليس مجرد شهوات أوملذات تتفوق فيه العجماوات على الأنسان .

إلى من له عقل وقلب
مـــــــــن أهـــــــــــل
الغـــــــــــــــــــــــــــــــرب

فلتعــرف هذا النبي
صلى الله عليه وسلم

الفصل السادس

حاجة العالم الى رسالته صلى الله عليه وسلم

لولا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولولا رسالته ، ولولا ملته ، لما كانت ســورية ، ولا كان العراق ، ولا كانت مصر ، ولا كان العالم العربي ، بل ولا كانت الدنيا كما هي الآن حضارة وعقلاً"[٧٣] ومن كتاب العقاد وفى الفصل الاخيرمحمد صــلى الله عليــه وســلم فى يذكر ان محمد صلى الله عليه وسلم اعاد للعقل اعتباره وللقيم مكانتها وحاكميتها وللبشــر فضلهم واصطفاءهم وان كل ما أنجزته البشرية من انجازات ما كانت لتقوم لولا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته التى جاء بها فالتاريخ كله بعد محمد صلى الله عليه وسلم متصل بــه ومرهون بعمله وان الانجازات البشرية الرائعة لم تكن لتقع فى الدنيا لولا ظهــور دعوتــه صلى الله عليه وسلم![٧٤]

ان رسالة الاسلام كان لها الفضل البالغ على اوربا فقد كانت الى القــرن الســابع الميلادى تعيش فى ظلام حالك من الجهل والفوضى الاجتماعية والسياسة وتحكم الكنيســة فى حياة الناس ولما جاء الاسلام اسس رجاله دولة اسبانيا التى كانت قبل الفتح الاسلامى لها فى ظلام كغيرها من دول اوربا ومضى المسلمون على سجيتهم التى تنبع مــن اســلامهم مضوا فى تاسيس المدارس والمستشفيات ونشر العلم والمدنية واستقبال الوافدين مــن كــل صوب لينهلوا من معين الحضارة الاسلامية دون النظر الى اجناسهم او اديــانهم او لغــاتهم وكذلك فعلو فى صقلية وصارت مركزا يحج اليه الراغبون فى العلم والمعرفة وكان ذلك منبها اوربا وحافزا لها على التفكير فى مصيرها وكان من وراء ذلك نهضتهم المادية الحديثة [٧٥].

(١) العلامة ابو الحسن الندوى ماذا خسر العالم بنحطاط المسلمين ص٢٤١ دار الايمان
(٢) العقاد عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم
(٣) عطية صقر الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه

وان كان العالم في أمس الحاجة الى بعثته صلى الله عليه وسلم قبل ان يشرق نوره صلى الله عليه وسلم .ان من يستقرء حال العالم الان يجد ان العالم الان في حاجة لأن تنبعث الأمة الأسلامية من رقدتها وتستيقظ لتقوم برسالتها التي أمرها الله تعالى بحملها وأداء ما حملها به صلى الله عليه وسلم من أمانة التبليغ عنه صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وتوصيل رحمته الى العالمين. اننا نرى ان صلاح العالم في خطوتين الأولى ان يفهم المسلمون حقيقة الأسلام كما فهمه السلف الصالح وقاموا بما يجب نحو هذا الفهم. الخطوة الثانية ان يرضى العالم بالله تعالى ربا وبالأسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا.

٦- ١ نظرة الى المجتمع الذى أسسه والجيل الذى رباه محمد صلى الله عليه وسلم.

" لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ {٨} وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٩} وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ" من سورة الحشر .

عيّن أبوبكر الصديق رضي الله عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على المدينة فمكث سنة دون أن تُرفع إليه شكوى ، فطلب عمر من أبي بكر إعفائه من هذا المنصب.

فقال أبوبكر رضي الله عنه : أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟؟؟!!!

قال عمر رضي الله عنه : لا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولكن لا حاجة لي عند قوم مؤمنين

عرف كل واحد منهم حقه فلم يطلب أكثر منه

وعرف ما عليه من واجب فلم يقصّر عن أدائه

أحـــب كل منهم لأخـــيه ما يحـــب لنفـــسه
إذا غـــاب أحـــدهـــم تفقـــدوه وإذا مرض عـــادوه وإذا افـــتقـــر أعـــانـــوه
وإذا احـــتاج ساعـــدوه وإذا أصيب واســـوه دينـــهم النصيحـــــــــة
وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فـــفـــيم يخـــتـــصـــمـــون ؟ !!!!!!![٧٦]

أليس هذا ما أسسه محمد صلى الله عليه وسلم وأقامه على أرض الواقع أفضل من شطحات خيال أفلاطون. ولنهبط -من سماء ذلك الجيل الذى رباه محمد صلى الله عليه وسلم والذى يعتبر هذا الجيل من معجزاته صلى الله عليه وسلم- الى أرض واقع عالمنا المعاصر.

٦-٢-نظرة الى الأسرة والمجتمع ومعدل الجريمة وما آل اليه حال المرأة فى الغرب

٦-٢- ١الأسرة والمجتمع فى الغرب

يذكر دكتور عبد المنعم النمر فى كتاب حضارتنا وحضارتهم "حدثنى صديق وهو سفير عربى مسلم عاش متنقلا فى دول الغرب أكثر من عشر سنين ، حدثنى عما آل إلية أمر الأسرة فى الغرب من تمزق ، وتفكك وضياع " فالأولاد غالبا ما يحقدون على آبائهم ، لأنهم فى صغرهم لم يحسوا بدفء الأبوة ولا حنان الأمومة ، فالأبوان فى تيار الاندفاع المادى فى الحياة يعملان ، وقلما يجتمعان فى البيت مع الأولاد " وإذا اجتمعا مع أولادهما فهم مشدودون للتلفزيون ، وقلما يتحدثان مع الأولاد أو يحس الأولاد منهما عناية بهم ، فشبوا وهم لا يشعرون بأى عطف أبوى ، بل العكس يمتلئون بالكراهية لهما ، والحقد عليهما وعلى أمثالهما من الجيل القديم ، وفى أول فرصة تسنح للأولاد يظهر ذلك بشكل جلى ، ويشرب الآباء مرارة ما فعلوا ، وما فعلته بهم المادية والمدنية الغربية ..وقد حدثنى عما شاهده من تهجم الشباب فى الشوارع على من يصادفونة من كبار السن ، وهجومهم على

[٧٦] هذه القصة مشهورة عند الكثير من الدعاة منهم الشيخ على عبد الخالق القرني فى محاضرة صفحات مطوية

ملاجىء المسنين ، ليعذبوهم بالسياط " وقد رأى شبابا يلبسون الجلد ، ويمسكون بالكرابيج ، يتتبعون كبار السن فى الشارع ليلهبوا ظهورهم ووجوههم بسياطهم " مساكين لم يعدوا عناصر انتاج : "وقد نشرت مجلة آخر ساعة بتاريخ ٥ من مارس ١٩٧٥ (٢٢ صفر ١٣٩٥هـــ) تحقيقا صحفيا مع باحثة سويدية- وهى معنية بالبحث والإحصاء ولا سيما عن الشرق باعتبارها مسئولة عن الشرق فى المعهد السويدى للدراسات الدولية ، كان عنوان التحقيق مستمدا من حديثها وهو (الترابط الأسرى هو مصدر سعادتكم) وهى تتحدث عن مصر والبلاد الإسلامية .سألتها الصحفية عن أهم شى استرعى نظرها فى الإنسان المصرى فقالت :(إن أكثر ما تعجبت له فى البداية هو مظاهر السعادة على الوجوه ، بالرغم من المشاكل الكثيرة التى تحيط بكم . ولكن بعد فترات متقطعة من الإقامة فى مصر أستطيع أن أؤكد أن العلاقات الإنسانية التى فى بلادكم هى السبب ، فترابط الأسرة والأجيال هو أجمل ما تستمتعون به، لقد رأيتهم يجتمعون فى الريف المصرى حول الطعام ، وحول إبريق الشاى ، وهم يسمرون ويضحكون ، ويشعرون بأنهم أسرة واحدة ، وإذا كان هناك فرح اجتمعوا له ، وإذا حدثت مشكلة تضافر الجميع لحلها).أشياء نراها عادية عندنا لكنها استرعت نظرها لحرمان الغرب منها . كما تقول :بينما يكفى فى أى بلد أوربى أن يصل الأولاد إلى سن الثامنة عشرة لينفصلوا ، ويستقلوا تماما عن أهاليهم ، ويحدث انفصال تام بين الأجيال ، ولكنى وجدت أنكم تلتفون حول المسنين من الأسرة ، فلا يشعر الجد أو الجدة بالوحدة والفراغ اللذين يحسونهما عندنا . (وإننى أعتقد أن أسعد المجتمعات هى التى تحقق للأنسان مطالب الحياة مع الاحتفاظ بالروابط الإنسانية والعاطفية التى لا يستطيع أن يسعد بدونها الإنسان مهما أحيط بكل الإمكانيات المادية ، ووسائل الترفية ، كما أن الإيمان بالله من أهم أسباب السعادة والشعور بالرضا ،فعواطفكم لم تفسدها الحياة المادية بعد : أى كما أفسدتها عندنا . ولذلك فإننى لا أتعجب عندما أشعر أن الشعب المصرى على الرغم من كل مشاكله – شعب مرح تبدو علية علامات الرضا والسعادة) (وسألتها الصحفية عن آخر إحصاء

للانتحار عندهم – والسويد مشهورة بكثرة الانتحار فيها مع رفاهيتها – فقالت : ١٧٥٠ حالة فى سنة واحدة " منها ١٢٤٢ رجلا من سكان السويد . وسألتها عن متوسط سن الانتحار فقالت : يتردد بين ٥٠ ، ٥٩ ومعظمها بسبب الوحدة فكل الذين تخلصوا من حياتهم كانوا يشكون من الوحدة ، وأغلبهم من مدمني الخمور ، والواقع أن الوحدة من أكبر أسباب التعاسة فى السويد إن ظاهرة الأسرة الكبيرة تختفى داخل مجتمعنا ، ومعظم البيوت خارج العاصمة عبارة عن (فيلات) متباعدة لمسافات طويلة ، لاتتيح لسكانها الاتصال ، فلا يعرف الواحد معنى لعلاقة الجوار ، كما أن العمل طوال النهار : يبدأ من التاسعة ، وينتهى فى السادسة ، فيجعل من الصعب أن تظل الارتباطات الأسرية أو الاجتماعية قائمة وخاصة بين المتقدمين فى السن . وأقول لوكانت هناك أصلا عاطفة أسرية وارتباط أسرى ، ما كان من الصعب التواصل والتودد ، ولكن هذه العاطفة غير موجودة ، والباحثة السويدية فى حديثها عن أسباب الانتحار فتقول : (وتزداد حالة الانتحار فى أعياد الكريسماس) ورأس السنة ، ففى هذه الفترة يشعر الإنسان الوحيد بقسوة الحياة أكثر من الأيام العادية ، ويشعر الذين يعيشون بمفردهم فى السويد بوحدة قاتلة ، تؤدى بهم أحيانا إلى اليأس التام والانتحار بالرغم من وجود كل وسائل الترفيه والراحة داخل البيوت " وبعض المسنين الذى يتمسكون بالبقاء فى منازلهم – والعادة هناك أن يضع الأبناء آبائهم المسنين فى الملاجىء ليجدوا عناية بهم – على حين أن أولادهم منفصلون بعيدون عنهم لا يعلمون من أمرهم شيئا ، حتى إن هؤلاء الذين يتمسكون بالبقاء فى منازلهم كما تقول : (يحدث أن يموت أحدهم فلا يشعر به أحد ، ولا يعرف أحد موته ، إلا بعد فترة طويلة ، وإحيانا يكتشف الوفاة ساعى البريد عندما يلاحظ أكواما من الجرائد والرسائل أمام باب البيت دون أن يتسلمها أحد ، فيذهب إلى الشرطة ليعلن شكوكه ، وغالبا ما يكتشف البوليس أن المسن فارق الحياة منذ فترة طويلة قد تصل إلى أسبوعين دون أن يكتشف أحد ذلك للانفصال التام بين الاجيال ، والعلاقة المفقودة بين الجيران).

وهذا الانفصال بين الاجيال سببه – كما سبق أن تحدثنا – هو انصراف الآباء تحت وطأة الحياة المادية عن إشعار أولادهم بدفء حنان الأبوة مع الحرية المطلقة التى يتمتع بها الجميع : الأولاد ، الأب ، الأم ، مما أضاع كل معنى كريم فى حياة الأسرة ، ومن ثم فى حياة المجتمع " وموجة الرفض لكل شى التى تجتاح الغرب الآن وتعتبر من أهم مشاكله هى مظهر لحقد الجيل الجديد على الآباء والانفصال التام بينهما ، حقدا على الطريقة التى يعيش عليها الآباء وغلى تصرفاتهم ، وإثارتهم للحروب التى تحصد عشرات الملايين من القتلى والمشبوهين ، ولم تستطيع المدنية الغربية ، ولا المستوى الرفيع الذى يعيش فيه الغربيون – لم يستطيع ذلك كله أن يوفر للمجتمع الغربى الطمأنينة والرضا ، بل حقق من القلق والحقد والرفض للمظاهر المدنية وللترف المادى – ما يجب أن نعكف على دراسته ونتخذ منه العبرة .

--في كشف مثير من نوعه، أفاد تقرير حديث أعده معهد السياسة العائلية، وهو مؤسسة مستقلة، يتخذ من النرويج مقرًا له، أن أوروبا تتخلص من جنين بالإجهاض كل ٢٧ ثانية. وجاء في تقرير "تطور العائلة في أوروبا عام ٢٠٠٨"، الذي نشرت صحيفة "دايلي ميل" مقتطفات من النتائج التي انتهى إليها، أن واحدًا من بين خمس حالات حمل في أوروبا تنتهي بالإجهاض.ووفقًا لهذا التقرير فإن عدد الأجنة التي تتخلص منها أوروبا سنويًا يزيد بقليل عن عدد سكان قبرص، إذ إنه من بين ٦,٤ مليون حالة حمل حصلت عام ٢٠٠٦ في القارة الأوروبية، تم التخلص من ١,١٦ مليون منها، أي ما يزيد عن عدد سكان قبرص البالغ ٧٩٠ ألف نسمة.وبحسب الصحيفة فإن النواب في بريطانيا يعتزمون إطلاق حملة من أجل الحد من حالات الإجهاض في البلاد. هذا، وقد أشار التقرير إلى أن كلاً من بريطانيا وفرنسا ورومانيا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا مسئولة عن ٧٧% من حالات الإجهاض في أوروبا

٦-٢-٢معدل الجريمة فى المجتمعات الغربية

منعت حكومة أمريكا الخمر ، وطاردتها في بلادها واستعملت جميع وسائل المدينة الحاضرة كالمجلات والجرائد والمحاضرات والصور والسينما لتهجين شربها وبيان مضارها

ومفاسدها ويقدرون ما أنفقته الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ٦٠ مليون دولار ، وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة ، وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاماً لا يقل عن ٢٥٠ مليون جنيه ، وقد أعدم فيها ٣٠٠ نفس ؛ وسجن ٥٣٢٣٣٥ نفس ، وبلغت الغرامات إلى ١٦ مليون جنيه ، وصادرت من الأملاك ما يبلغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين جنيه ، ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراما بالخمر وعناداً في تعاطيها ، حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ م إلى سحب القانون وإباحة الخمر في مملكتها إباحة مطلقة ((من كتاب تنقيحات للأستاذ أبي الاعلى المودودي .

(وحينما أدركت (**مارلين مونروا**) ملكة السينما والإغراء والإثارة أن الجماهير رفعتها إلى القمة لمفاتنها ، وأدركت أخيرا أنها مجرد بائعة لذة وفتنة وقتية – ثـــارت علـــى نفســـها ، وانتابتها نوبة رشد ، واعتزلت السينما ، وقررت أن تنتحر ، وانتحرت ، وشغلت صـــحف العالم بانتحارها ، وكتبت تعليقات كثيرة كان منها ما نشرته الصحفية الفرنســـية الكاتبـــة (**فرانسواز جيروا**) قالت : (هذه الحضارة يجب أن تموت كما ماتت مارلين مونرو ، كما تموت القطط والكلاب . إن مارلين مونرو هى نحن ، ونحن – الغربيين – أصحاب الحضارة ورواد العالم ، مارلين مونرو هى نحن ، ولكنها انفصلت عنا بجرأة حين رفضت حضارتنا ، وقررت أن تكون إنسانه . إننا نحن الغربيين – لو أوتينا شجاعة (مارلين) لتحتم علينـــا أن نموت أيضا ، لا بالأقراص المنومة ، بل بوسيلة أخرى ، تنسجم مع ما نحن علية من حيوانية وانحطاط. وشهد شاهد من أهلها "

وما آل اليه حال المرأة فى الغرب ،فقد أفاد آخر إحصاء نشرته مجلة الأســـرة العـــدد ١٣١ في صفر ١٤٢٥هـــ، أن (٦٠%) من المواليد الجدد في السويد أبناء زنى لا يرتبط آباؤهم وأمهـــاتهم بعلاقة زواج و . مجلة المستقبل العدد ١٥٤ في صفر ١٤٢٥هـــ الموافق إبريل ٢٠٠٤م، جاء فيها:

ـــ يُغتصب يوميًا في أمريكا: (١٩٠٠) فتاة، (٢٠%) منهن يُغتصبن من قِبَل آبائهن!!!.

ـــ يُقتل سنويًا في أمريكا مليون طفل بين إجهاض متعمَّد، أو قتل فور الولادة. (١٧٠) شـــابة في بريطانيا تحمل سفاحًا كل أسبوع.

ـــ سجلت الشرطة في أسبانيا أكثر من (٥٠٠ ألف) بلاغ اعتداء جسدي على المرأة في عـــام واحد. ألف جريمة اغتصاب منها (٨٠%) وقعت في محيط الأسرة والأصدقاء.

- تجارةُ الجِنسِ في العالم تقدّر بـــ٥٧ بليون دولار في العام الماضي، منها أربع ونصف بليـــون دولار لتجارةِ الجنس عبرَ الهاتف، وأربعة بلايين عبرَ الإنترنت وأقراص الحاسوب، ١٢ في المائة من إجمالي مواقع الشبكة لتجارةِ الجنس ونشره، ٣٧٢ مليون صفحة، وتحمل حركةَ البريـــد الإلكتروني يوميًّا قرابة ٢ بليون ونصف رسالة تتضمّن مواضيعَ وإعلانات جنســيّة، لإثـــارة الشهوات ونشر الفاحشة

.

٢٥ في المائة من إجمالي عددِ طلبات مستخدمي الشبكةِ في محرِّكات البَحث في موضوعاتٍ في الفاحشة والحرامِ والجِنس، وأكثر من ١٠٠ ألف صفحةِ إنترنـــت تـــوفّر صـــوَرًا فاضـــحة للأطفال.حتى آل حال المرأة فى أمريكا الى ما لا يمكن ان يخطر ببال، فمن العديد من مواقع الأنترنت تجد هذا العنوان الغريب،**امرأة تتزوج من كلب:** قررت ليندا إحدى المواطنات الأمريكيات الزواج من كلبها ((ماكس)) بعد أن فشلت فى أربع محاولات زواج، وقد أقيم حفل زواجها من الكلب ماكس وسط تجمعات الأصدقاء والغريب أن أحد رؤساء الكنائس (القسيس) حضر هذا الزواج، ويقول بكل برود للعروسين ":أتمنى حياة زوجية سعيدة لكل من العروسين!!!!!!!!.وعندما سئلت ليندا عن سبب تركها للرجال وزواجها من الكلـــب أجابت: بأن الكلب سيكون معها أوفى من كل أزواجها السابقون، ولن يقيم علاقات محرمة مع غيرها كما قام أزواجها السابقون بذلك [٧٧]..

ويقول برفسور سيمون جارجى " رئيس مركز الدراسات الشرقية " جامعة جنيف "انا من الذين يعيشون نوعا من الخوف والوجل على ما وصلت الية حضارتنا ان حضارتنا الغربية

(١) الخبر يملأ العديد من مواقع الأنترنت لغرابته

المادية . اننا نعيش ازمة ضمير ووجدان خائفة وانني من المعتقدين ان حضارتنا الغربية بمفهومها القديم والتقليدى هى الان فى حالة احتقار واننا نعيش الان نوعا من التحول الذى لا نعلم ماذا سينتج عنه .....؟ نحن الان نشاهد حضارة تنازع وتوشك على الموت وستموت بلا شك وهى تموت ولابد من ان ينشا عنها حضارة جديدة . اما اذا تسألنا عن السبب فهناك اسباب متعددة منها بالاخص :-ان الغرب فقد المرتكزات الروحية الثقافية الدينية التى كان يرتكز عليها فلم يعد هناك شيء يركن الية . فالديانة النصرانية فقدت مقوماتها الى الروحانيات انتهى واضمحل من النفوس فاصبح فى الغرب نوع من الفراغ ونوع من الضياع الشامل تكتوى به الاجيال الشابه واكبر برهان على ذلك ان هناك اقبالا شديدا بين شباب الغرب على دراسة مانسميه عندنا فى الجامعات (بتاريخ الاديان) ،نحن نعيش فى نفق مظلم ولا نزال ننتظر النور الذى سيهدينا .[٧٨]

الحل الوحيد للأزمة العالمية :[٧٩]

والحل الوحيد هو تحول القيادة العالمية وانتقال دفة الحياة من اليد الأثيمة الخرقاء الـــتي أساءت استعمالها إلى يد أخرى بريئة حاذقة . إن تحول القيادة مـــن بريطانيـــا إلى أمريكـــا ومنهما جميعاً إلى روسيا أو الصين لا يغني غناء ولا يغير من الموقف شيئاً ، فإن هذا التحول ليس إلا نقل المجداف من اليمين إلى الشمال إذا تعبـــت الأولى أو بـــالعكس ، فمـــا دام المجداف واحداً فلا فرق بين يمينه وشماله . والمسلمون على علاتهم موئل الإنســـانية وأمـــة المستقبل .

٦-٣ الأقوال التى تؤيد ان الإسلام ملاذ الإنسانية

(١) برفسور سيمون جارجى – رئيس مركز الدراسات الشرقية – جامعة جنيف عن مجلة الامة القطرية العدد ٥٤ السنة الخامسة جمادى الاخر ١٤٠٥ هـــ نقلا عن مجلة الشرق الاوسط

(٢) العلامة ابو الحسن الندوى ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

تقول الشاعرة (ساروجين نايدو) :"لقد كان الإسلام في المسجد عند أداء الصلاة ، وفي ساحة الحرب إذ يقاتل المسلمون صفاً ، وكانت عدالة الإسلام تطبق خمس مرات في اليوم ، عندما كان الأمير والفقير يركعان ويسجدان كتفاً إلى كتف ... لقد شدتني مرات ومرات وحدة الإسلام التي لا تتجزأ والتي تجعل من الإنسان أخاً للإنسان ... "[٨٠].**ويقول الأمير البريطاني تشارلز** : "إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم ، الأمر الذي فقدته المسيحية ، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة ، والدين والعلم ، والعقل والمادة"[٨١].**وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه** : "لا إكراه في الدين ، هذا ما أمر به القرآن الكريم ، فلم يفرض العرب على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام ، فبدون أي إجبار على انتحال الدين الجديد اختفى معتنقو المسيحية اختفاء الجليد، إذ تشرق الشمس عليه بدفئها ! وكما تميل الزهرة إلى النور ابتغاء المزيد من الحياة ، هكذا انعطف الناس حتى من بقي على دينه ، إلى السادة الفاتحين"[٨٢] . **ويقول غوستاف لوبون** في " التمدن الإسلامي" : "كل ما جاء في الإسلام يرمي إلى الصلاح والإصلاح ، والصلاح أنشودة المؤمن ، وهو الذي أدعو إليه المسيحيين" . **ويقول المستشرق بول دي ركلا** : "يكفي الإسلام فخراً أنه لا يقر مطلقاً قاعدة (لا سلام خارج الكنيسة) التي يتبجح بها كثير من الناس ، والإسلام هو الدين الوحيد الذي أوجد بتعاليمه السامية عقبات كثيرة تجاه ميل الشعوب إلى الفسق والفجور"[٨٣].والإسلام دين التسامح: **يقول المستشرق بارتلمي سانت هلر** : " إن دعوة التوحيد التي حمل لواءها الإسلام ، خلصت البشرية من وثنية القرون الأولى"[٨٤]. .ويبين **الشاعر غوته** ملامح هذا التسامح في كتابه (أخلاق المسلمين) فيقول: "للحق أقول : إن تسامح المسلم ليس من ضعف ، ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه ،

(٣) (مثاليات الإسلام) ساروجيني نايدو (١٦٩) .
(٤) (الإسلام والغرب) محاضرة الأمير تشارلز في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣ .
(١) (شمس الله تسطع على الغرب) زيغريد هونكه (٣٦٤-٣٦٦) .
(٢) عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي (٨ / ١٣٣) .
(٣) عن (مقدمات العلوم والمناهج) (٨ / ١١٩) .

وتمسكه بعقيدته" .**ويؤكد هانوتو** إعجابه بروعة التسامح الإسلامي فيقول : "إننا مدينون للمسلمين بالعدل والسلم والتساهل الديني ، ومن الواجب أن ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا في فهمه، وعلينا أن نتخذ (لا إكراه في الدين) شعاراً "[٨٥]. **يقول المستشرق لين بول** : "في الوقت الذي كان التعصب الديني قد بلغ مداه جاء الإسلام ليهتف (لكم دينكم ولي دين) ، وكانت هذه المفاجأة للمجتمع البشري الذي لم يكن يعرف حرية التدين ، وربما لم يعرفها حتى الآن"[٨٦].**يقول المفكر آرثر هاملتون** : "لو توخى الناس الحق لعلموا أن الدين الإسلامي هو الحل الوحيد لمشكلات الإنسانية"[٨٧].. ويؤكد هذا المعنى عالم القانون **مارسيل بوازار** : "إن دخول الإسلام إلى الساحة العالمية ، وإعادة الأمر إلى نصابه بتحقيق التوازن المطلوب ، ليس هو مجرد مشاركة فعالة ، وإنما هو إنقاذ للوضع البشري المنهار" .**ويقول الفيلسوف جورج برناردشو** : "الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها ، ولا نجدفي الأديان حسناته ! ولقد كان الإسلام موضع تقديري السامي دائماً ، لأنه الدين الوحيد الذي له ملكة هضم أطوار الحياة المختلفة ، والذي يملك القدرة على جذب القلوب عبر العصور[٨٨].. قد برهن الإسلام من ساعاته الأولى على أنه دين الأجناس جميعاً ، إذ ضم سلمان الفارسي وبلالاً الحبشي وصهيباً الرومي فانصهر الجميع في بوتقة واحدة "[٨٩].**ويقول شاعر فرنسا (لامارتين)** : "الإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن يفي بمطالب البدن والروح معاً ، دون أن يُعرِّض المسلم لأن يعيش في تأنيب الضمير ... وهو الدين الوحيد الذي عباداته بلا صور ، وهو أعلى ما وهبه الخالق لبني البشر"[٩٠].

---

(٤) عن (الإسلام والمسيحية مع العلم والمدنية) الإمام محمد عبده (١٦٢) وهو كتاب قيم ننصح بقراءته.
(٥) عن (الإسلام) د. أحمد شلبي (٢٩٦) .
(٦) عن (محمد في الآداب العالمية المنصفة) محمد عثمان (٦٢)
(١) من رسالته (نداء للعمل) .
(٢) عن (الإسلام) د. أحمد شلبي (٢٩٤) .
(٣) (السفر إلى الشرق) لامارتين (٤٧) .

الإسلام دين الفطرة والتوحيد :يقول المستشرق **النروجي المنصف الدكتور إينربرج** :"يعتبر الطفل في الإسلام مولوداً على الفطرة ، أما المسيحيون فيحكمون على الطفل أنه يولد متحملاً للخطيئة ، وقبل مائة عام كانوا يغطسون أطفالهم في الماء حتى يطهروا من الخطيئة ، فإذا ماتوا قبل الغسل لم يدفنوهم ! وإنما يلقونهم في القمامة لأنهم متسخون بالخطيئة !"**١**.. ويقول المستشرق **روم لاندو** : "إن شهادة التوحيد فيها من الحيوية ما ما يقطع بضربة واحدة شجرة الوثنية ... وإن المسلم ينعم بالأمن والطمأنينة لأن في إمكانه أن يبلغ مثل دينه الأعلى هنا على سطح الأرض .. فالإسلام دين عملي ومُيسر ... لقد كان الإسلام ديناً توحيدياً على نحو لا يعرف هوادة ، ديناً واقعياً شاملاً ينظم كل شيء"**٢**. الإسلام دين الأخوة والمساواة : يقول عميد الدراسات التبشيرية في أمريكا أمريكا (**ساليب**) في كتابه (المسلم يواجه المستقبل) : "إن المتحول إلى الإسلام يصلي إلى جانب أستاذه ! وإن الأخوة في الإسلام ليست دينية فحسب، وإنما اجتماعية أيضاً . .الإسلام لا يرسم خطاً لونياً بين الأبيض والأسود" . ويقول المؤرخ **أرنولد توينبي في** (**دائرة المعارف التاريخية**) : "إنني أدعو العالم إلى الأخذ بمبدأ الإخاء والمساواة الإسلامي ، فعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام هي أروع الأمثلة على فكرة توحيد العالم. وإن في بقاء الإسلام أملاً للعالم كله" . **ويقول المؤرخ ولز في** (**معالم تاريخ الإنسانية**) : "الإسلام مملوء بروح الرفق والسماحة والأخوة ، وعقيدته سهلة يسيرة الفهم ، أوصلها محمد إلى القلوب دون أي فرية مبهمة".الإسلام دين القوة والعزيمة: يقول المؤرخ **ول ديورانت**: " ليس في التاريخ دين غير الإسلام يدعو أتباعه على الدوام إلى أن يكونوا أقوياء ، وليس في التاريخ دين فرض على الأغنياء ما فرضه الإسلام من الضرائب لإعانة الفقراء"**٣**. **ويقول ويقول المؤرخ مونتغمري وات** في (الإسلام والجماعة المتحدة) : "إن سر القوة في

(٤) عن كتاب (حوارات مع أوربيين غير مسلمين) للدكتورعبد الله الأهدل (١٦٤) .
(٥) (الإسلام والعرب) روم لاندو (٤٨ – ٥٢ – ٢١٠) .
(١) في موسوعته(قصة الحضارة) الجزء الحادي عشر .

الإسلام أنه منح الفرد مقياساً للحياة هو مقياس الضمير الحر ، وأنه وهب الجماعة المسلمة مبدأ (الأمة) هذا المبدأ الذي تفرد به الإسلام لم يزل ينبوعاً لكل فيض من فيوض الإيمان ، ويدفع المسلمين إلى (الوحدة) في أمة واحدة تختفي فيها حواجز الأجناس واللغات" . **ويقول الممثل العالمي أنطوني كوين** : "أحسست أن الإسلام قوة غير عادية بعد أن درست ومثلت حياة عمر المختار !" . قلت : كيف لا يخامره هذا الشعور عندما يقرأ قول الشهيد عمر المختار قبل إعدامه : "لَئن كسر المدفع سيفي ، فلن يكسر الباطل حقي" . **ويقول المؤرخ كروبر** في (طبيعة الثقافة) :" لقد انتشر الإسلام في العالم كله في زمن يسير ، كما ينتشر شعاع الشمس في لحظات .. وكان انتشاره دليلاً على سمو مبادئه وغاياته وعقائده وتشريعاته ، هذه المبادئ التي كانت ولا تزال تشع النور والهداية والمعرفة والعلم على الناس"[١] .

(٢) المؤرخ كروبر في (طبيعة الثقافة) ص(٣٨٨) .

عبد الصمد كيل

(موري كيل) كندي ، حصل على عدة شهادات في الدراسات الإسبانية والإسلامية ، يتقن العربية والإسبانية والفرنسية والإنجليزية .

"لقد أعطاني الإسلام التوازن في الحياة ، فماذا يخسر من يربح الإسلام ؟! وماذا يربح من يخسر الإسلام ؟! لقد وجدت في الإسلام ما يطابق العقل ، وما يعطي الإنسان العقل الإيماني ، والإيمان العقلي"[١] .

* الباحث الفرنسي ليون روشي

سياسي فرنسي ، تعلم العربية ليتجسس على المسلمين ، ولكنه اقتنع بالإسلام حقيقة فاعتنقه ، وأصدر كتابه (ثلاثون عاماً في الإسلام) . يقول فيه :

"وجدت في الإسلام حل المسألتين الاجتماعية والاقتصادية ، اللتين تشغلان بال العالم طُرّاً :

الأولى : في قوله تعالى {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**} فهي أعظـــم مبدأ للتعاون الاجتماعي .

والثانية : في فريضة الزكاة .. ولو تمسك المسلمون بالإسلام لكانوا أرقى العالمين ، وأسبقهم في كل الميادين" . ويقول : "وجدت الإسلام أفضل دين ، ولقد بحثت في تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين ، فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ، ووداعة وجمالاً ، ثم وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الحكماء من نفوس الخير والرحمة"[٢].

---

[١] عن (عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام) محمد طماشي (٢٣٥) .
[٢] عن (آفاق جديدة للدعوة) أنور الجندي (٦٥)

عالم الاجتماع الهولندي إسماعيل ريسلو

"أدهشتني النظم الاجتماعية التي يقررها الإسلام ، وخاصة الزكاة ، وتشريع المواريث ، وتحريم الربا ، وفريضة الحج وإباحة تعدد الزوجات ، وشتان بين هذا وبين مبدأ الزواج من واحدة الذي تؤمن به الشعوب الأوربية شكلاً ولكن دون وفاء" [١].

البروفسور أبو الحسن بوتولّو

أستاذ علم النفس في ميونخ ، أسلم على يديه الكثير . يقول د. بوتولو :

"أنا مرتاح لأني أصبحت مسلماً ، ولكني لست مرتاحاً لما وصل إليه المسلمون من مستوى غير طيب ، والعالم الإسلامي يفتقر حالياً إلى تربية سليمة للأولاد"[٢].

البروفسور لومكس وزوجته ألن يونافيس أستاذان بجامعة كولومبيا :

"الذي أخذ بقلوبنا وأثّر فينا التأثير كله ، ذلك المعنى الجميل الذي تضمنته الآيات الكريمات { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ } ، فهذه السورة هي التي جعلتنا ندين بالإسلام"[٣].

أستاذ التاريخ في جامعة ميسوري .

"قد بنيت اختياري للإسلام على ثلاثة أمور : أولاً صحة أخباره ، ثانياً موافقته للعقل ، ثالثاً أنه عملي لا خيالي ، فلا يوجد في الإسلام ثلاثة في واحد ، ولا ثلاثون مليوناً من الآلهة"[٤].

---

[١] عن (الإسلام) د. أحمد شلبي (٢٩٩) .
[٢] (حوارات مع مسلمين أوربيين) د. عبد الله الأهدل (٥٥) .
[٣] عن (آفاق جديدة للدعوة الإسلامية) أنور الجندي (١٣١) .
[٤] نفسه (١٤٩) .

الدكتــور غرينييـــــه

عضو مجلس النواب الفرنسي .

"تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والطبيعية ، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأني أيقنت أن محمداً أتى بالحق الصُراح[١].. ولو أن كل صاحب فن من الفنون قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بفنه أو بعلمه مقارنة متعمقة ، كما فعلت أنا ، لأسلم بلا شك ، إن كان عاقلاً وخالياً من الأغراض"[٢].

*** المطرب العالمي محمد عبد العزيز**

(جيرمين جاكسون) يروي قصة هدايته فيقول(٣):

"لما أسلمت أحسست بحق أني قد ولدت من جديد ، فقد وجدت في الإسلام كل الأسئلة التي حيرتني سابقاً ، لقد قدّم لي الإسلام حلاً لكل مشكلاتي"

"مجتمعنا الأمريكي يشجع العنف والخمر والمخدرات ، لأن التلفزيون يُقدم كل هذه الأمور على طبق من فضة ... والمرأة في العالم الإسلامي كالوردة المحفوظة التي لا ينالها كل عابر سبيل".

اللورد عادل هاملتون

(دوغلاس هاملتون) ، أسلم وخصص مبلغاً كبيراً من ثروته لخدمة الإسلام

---

[١] عن (الإسلام في قفص الاتهام) د. شوقي أبو خليل (١٦) .
[٢] عن (أوربة والإسلام) د. عبد الحليم محمود (١٠٣) .
[٣] من حوار أجراه معه الأستاذ عمار بكار في مجلة (المجلة) العدد ٩٦٦ عام ١٩٩٨ .

يقول عن الإسلام :"ارتبطت بالإسلام لأنه الدين الذي يعلن الوحدانية الخالصة ، وأعتقد أن الإسلام سيجذب الكثيرين من الذين أعيتهم وأثقلتهم الارتباكات العقائدية" [١].

والدكتور عبد المعطى الدالاتى يقول " تميزت الحضارة العربية الإسلامية بغايتها الربانية ، ورؤيتها الإنسانية ونزعتها العالمية ، ونظرتها الشمولية ، وفكرتها الوسطية ، وصبغتها الأخلاقية . وهذه الحضارة هي الوحيدة في التاريخ التي وصلت الدنيا بالآخرة ، وربطت السماء بالأرض ، وآخت بين العقل والقلب ، ومزجت المادة بالروح ، وأرضت الفرد والمجتمع ، ووازنت بين الحقوق والواجبات ، وجمعت بين الواقع والمثال .. لقد وحّدت بحق بين الثنائيات ، وأخرجت منها شراباً خالصاً سائغاً للشاربين . وفيما يلي أنقل شهادات غربية منصفة في حضارتنا انتُزعت من أقلام مفكرين غربيين درسوا الإسلام فراعهم جماله ، وأعجبتهم مبادئه ، ولكنهم لم يُتزلوا قناعاتهم من سماء العقل إلى أرض القلب ، و لم يسقوها بماء الوجدان ، فلم تنمُ غراسها و لم تثمر ! وفشلوا في أن يحوّلوا الاقتناع بالحق إلى اعتناق له ، والإعجاب بالإسلام إلى عقيدة تجري في العروق ، نعم لم يبقَ أمامهم إلا ضربة معول واحدة كي يصلوا إلى النبع الثّر الزلال ، فلم يفعلوا .. حاموا وهم الظّماء حول الماء و لم ينهلوا !! وإنما أعرض أقوالهم لأولئك المهزومين أمام الغرب ، الذين لا يشربون الكأس الرويّة إلا إذا كانت بيد غربية ! ولا يجرعون الدواء إلا من تلك الصيدلية !! على أن بعض هذه العبارات كانت في سياقها شَرَكاً نُصب للعقل المسلم ، ولا حرج علينا – أظن – إن لقطنا الحبة ، ومزقنا الشبكة ، وطرنا بسلام . **كونستان جيورجيو يقول**"لا يمكن أن نجد ديناً يحتل العلم والمعرفة فيه محلاً بارزاً كما كان الأمـــر في الإســـــلام"-- **يقول**

[١] (الإسلام) للعلامة الدكتور أحمد شلبي (٣٠٠) .

المؤرخ الإنجليزي (ويلز) : "كل دين لا يسير مع المدنية في كل أطوارها فاضرب به عرض الحائط ، وإن الدين الحق الذي وجدته يسير مع المدنية أينما سارت هو الإسلام ... ومن أراد الدليل فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات ومناهج علمية ، وقوانين اجتماعية ، فهو كتاب دين وعلم واجتماع وخلق وتاريخ ، وإذا طُلبَ مني أن أحدّد معنى الإسلام فإني أحدده بهذه العبارة " الإسلام هو المدنية"[١].

وتقول المستشرقة زيغريد هونكه في كتابها القيم : (شمس الله تسطع على الغرب) : "**إن** هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء ، والتي بدأت من اللا شيء لهي جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني... وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة لفريدة من نوعها ، لدرجة تجعلها أعظم من أن تُقارَن بغيرها ، وتدعونا أن نقف متأملين : كيف حدث هذا ؟! إنه الإسلام الذي جعل من القبائل المتفككة شعباً عظيماً ، آخت بينه العقيدة ، وبهذا الروح القوي الفتي شق العرب طريقهم بعزيمة قوية تحت قيادة حكيمة وضع أساسها الرسول بنفسه ... أو ليس في هذا الإيمان تفسير لذلك البعث الجديد ؟! والواقع أن روجر بيكون أو جاليليو أو دافنشي ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي .. إنما السباقون في هذا المضمار كانوا من العرب الذين لجأوا – بعكس زملائهم المسيحيين – في بحثهم إلى العقل والملاحظة والتحقيق والبحث المستقيم ، لقد قدّم المسلمون أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم ... وإن كل مستشفى وكل مركز علمي في أيامنا هذه إنما هي في حقيقة الأمر نُصب تذكارية للعبقرية العربية ... وقد بقي الطب الغربي قروناً عديدة نسخة ممسوخة عن الطب العربي ، وعلى الرغم من إحراق كتب ابن سينا في مدينة بازل بحركة مسيحية عدائية ، فإن كتب التراث العربي لم تختف من

(١) عن (الإسلام والمبادئ المستوردة) د. عبد المنعم النمر (٨٤) .

رفوف المكتبات وجيوب الأطباء ، بل ظلت محفوظة يسرق منها السارقون ما شاء لهم أن يسرقوا"[١]. وعلى مدى الكتاب كانت المؤلفة تعقد المقارنات بين منهج العرب المسلمين في البحث العلمي وبين ما كان عليه العقل الغربي من تسطّح فتقول : "اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة والمعرفة السطحية في أوربة التي كانت ترى أن من الكفر والضلال القول بأن الأرض كروية ، فمعلم الكنيسة لاكتانتيوس يتساءل مستنكراً: أيعقل أن يُجنّ الناس إلى هذا الحد ، فيدخل في عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض ، وأن أقدام الناس تعلو رؤوسهم؟!!"[٢]. قلت : منذ ألف عام توصل فقيه الأندلس الإمام ابن حزم إلى الجزم بكروية الأرض منطلقاً من القرآن الكريم ومن التنظيم المطّرد لمواقيت الصلاة في محيط الأرض... وقد بسط ذلك في كتابه الموسوم (الفصل بين المِلل والنِّحَل) . ويقول **العلامة بريفولت** : "ما من ناحية من نواحي الازدهار الأوربي إلا يمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه لنا من كشوف مدهشة ونظريات مبتكرة ، بل إنه مدين بوجوده ذاته ... ولم يكن بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوربة المسيحية ، وهو لم يَملّ قط من التصريح بأن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد لمعرفة الحق[٣].. ولقد انبعثت الحضارة الإسلامية انبعاثاً طبيعياً من القرآن ، وتميزت عن الحضارات البشرية المختلفة بطابع العدل والأخلاق والتوحيد ، كما اتسمت بالسماحة والإنسانية والأخوّة العالمية"[٤].**ويقول المفكرليوبولد فايس (محمد أسد)**: "لسنا نبالغ إذ قلنا إن العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه ، لم يُدشّن في مدن أوربة ، ولكن في المراكز الإسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة"[٥]. "نحن مدينون للمسلمين بكل محامد

(٢) (شمس الله تسطع على الغرب) ص (١٤٨ – ٢٦٩ – ٣١٥ – ٣٥٤) .
(٢) نفسه ص (٣٧٠) .
(٢) (بناء الإنسانية) رويلت بريفولت نقلاً عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي ، مجلد٤ ص(٧١٠)
(٣) عن (أخطر ما تواصى به المسلمون عبر الأجيال) أنور الجندي (١٦) .
(٤) (الإسلام على مفترق الطرق) محمد أسد (٤٠) .

حضارتنا في العلم والفن والصناعة ، وحسب المسلمين أنهم كانوا مثالاً للكمال البشري ، بينما كنا مثالاً للهمجية"[١].**ويقول الكاتب الفرنسي أناتول فرانس في كتابه (الحياة الجميلة)** : "أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة (بواتييه) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة ، ألا ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي" ويؤكد المعنى نفسه الأديب الفرنسى **كلودفارير"** فى ذلك اليوم المشئوم تراجعت المدنية ثمانية قرون الى الوراء " **ويقول شامبيون مدير مجلة بارلمنتير"** لولا انتصار جيش مارتل الهمجى على تقدم العرب فى فرنسا لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى،ولولا ذلك الأنتصار البربري لنجت اسبانيا من وصمةمحاكم التفتيش ، ولولا ذلك الأنتصار البربري لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ، اننا مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا فى العلم والفن والصناعة ، مع اننا اليوم نزعم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة فى الفضائل، وحسبها انه مثال الكمال البشرى منذ ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الهمجية، وانه لكذب وافتراء لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف وانهم يمثلون اليوم ما كنا فيه نحن فيما مضى.[٢] "حين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافي الذي أحرزوه خلال مئتي سنة ، وعمق ذلك التقدم ، أمراً يدعو إلى الذهول حقاً ، ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضاً أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمئة سنة لكي تنشئ ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية ، وفي الإسلام لم يُولّ كل من العلم والدين ظهره للآخر ، بل كان الدين باعثاً على العلم ، وإن الحضارة الغربية مدينة للحضارة الإسلامية بشيء كثير إلى درجة نعجز معها عن فهم الأولى إذا لم تتم معرفة الثانية"[٣].يقول المسيو **سيديو** : "لم يشهد المجتمع الإسلامي ما شهدته آوربا من تحجر العقل ، وشل التفكير ، وجدب الروح ومحاربة العلم والعلماء ، ويذكر التاريخ أن اثنين

(٥) هنري شامبون عن (الإسلام والمبادئ المستوردة) د.عبد المنعم النمر (٨٤) .

(١) نقلا عن الدين العالمى للشيخ عطية صقر ٨٣-٨٤

(٢) المستشرق روم لاندو في (الإسلام والعرب) ص(٩-٢٤٦) .

وثلاثين ألف عالم قد أُحرقوا أحياء ! ولا جدال في أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر ، بل كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك العصور المظلمة ، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة ، ومنح مخالفيه في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام"[١]."لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة في الأندلس ! ولماذا ؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة ، ومن طباع شريفة ، نعم من رجال الإسلام . إن المدنية الإسلامية لم تتنكر يوماً للحياة"[٢].**ويقول العلامة جورج سارتون** : "المسلمون عباقرة الشرق ، لهم مأثرة عظمى على الإنسانية ، تتمثل في أنهم تولّوا كتابة أعظم الدراسات قيمة ، وأكثرها أصالة وعمقاً ، مستخدمين اللغة العربية التي كانت بلا مراء لغة العلم للجنس البشري[٣]... لقد بلغ المسلمون ما يجوز تسميته معجزة العلم العربي" .**وتقول الدكتورة لويجي رينالدي** : ".. لما شعرنا بالحاجة إلى دفع الجهل الذي كان يثقل كاهلنا ، تقدمنا إلى العرب ومددنا إليهم أيدينا لأنهم كانوا الأساتذة الوحيدين في العالم"[٤].**ويقول البروفسور غريسيب** ، مدير جامعة برلين : "أيها المسلمون ما دام كتابكم المقدس عنوان نهضتكم موجوداً بينكم ، وتعاليم نبيكم محفوظة عندكم ، فارجعوا إلى الماضي لتؤسسوا المستقبل"[٥].**ويقول المستشرق درايبر** : "ينبغي أن أنعي على الطريقة التي تحايل بها الأدب الأوربي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علينا ! إن الجور المبنّي على الحقد الديني ، والغرور الوطني لا يمكن أن يستمر إلى الأبد"[٦]. ويقول **روم رولان** : "تفرد العلم الإسلامي بأنه لم ينفصل عن الدين قط ، والواقع أن الدين كان ملهمه وقوته الدافعة الرئيسة ، ففي الإسلام ظهر العلم لإقامة الدليل على الألوهية" .**ويقول رينان** : "ما يدرينا أن يعود العقل الإسلامي الوَلود إلى إبداع المدنية

(٣) نقلاً عن كتاب (هكذا كانوا ... يوم كنا) د. حسان شمسي باشا (٨٣) .
(١) الفيلسوف نيتشه عن (ظلام من الغرب) للعلامة محمد الغزالي (١٤٠) .
(٢) نقلاً عن (هكذا كانوا يوم كنا) د. حسان شمسي باشا ص(٨) .
(٣) عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي – مجلد ٧ ص(١٤١) .
(٤) عن (هكذا كانوا يوم كنا) د. حسان شمسي باشا (٩) .
(٥) عن (تشكيل العقل المسلم) د. عماد الدين خليل (٩٤) .

من جديد؟ إن فترات الازدهار والانحدار مرت على جميع الأمم بما فيها أوربة المتعجرفة"[١] **ونختم بنقول من كتاب (حضارة العرب) لغوستاف لوبون يقول** : "إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوربية الوحشية في عالم الإنسانية ، فلقد كان العرب أساتذتنا ... وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مورداً علمياً سوى مؤلفات العرب ، فهم الذين مدّنوا أوربة مادة وعقلاً وأخلاقاً ، والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه ... إن أوربة مَدينة للعرب بحضارتها ... والحق إن أتباع محمد كانوا يذلّوننا بأفضلية حضارتهم السابقة ، وإننا لم نتحرر من عقدتنا إلا بالأمس ! وإن العرب هم أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين ... فهم الذين علّموا الشعوب النصرانية وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان ... ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة ... "[٢].

ونختم بقول **الدكتور البوطي** حيث يقرر" إن حاجة الإنسانية الى الإسلام ليست حاجة ذرائعية جاءت لسبب ضائقة أوأذمة إجتماعية اوإقتصادية عابرة وإنماحاجة نابعة من صلة مابين الإسلام وحقيقة الذات الإنسانية أيا كانت هذه الذات حيثما كانت تعيش ، وحاجة الإنسانية للإسلام لأنه القاعدة الأساسية التى لاتنمو شجرة الحرية الانسانية لصحيحة إلافى تربتها وإنه الشعلة التى لايستبين نظام الدنيا التى خلقنا للتعامل معها الا على ضيائها ووجهة حاجة الإنسان للإسلام من قبيل حاجة الإناء الى غطائه ومن قبيل حاجة الجسم الى غذائه وهوائه ومن قبيل حاجة الأرض الي شمسها وقانون جاذبيتها ومن قبيل حاجة الحرية الى نظامها"[٣]

حاجة العرب خاصة الى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

(٦) عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي (٨ / ١٧٣) .
(١) (حضارة العرب) غوستاف لوبون ص(٢٦ – ٢٧٦ – ٤٣٠ – ٥٦٦
(٢) د محمد سعيد رمضان البوطى " الإسلام ملاذ المجتمعات الإ نسانية" دار الفكر للطباعة والنشر

سبق وقد بينا حاجة العالم الى الاسلام ولاملاذ ولاحل لأزماته الا به، لكن هناك حقيقة فرعية من هذه الحقيقة الاصلية وهى ان حاجة العرب الى الاسلام اكثر من غيرهم يقول الشيخ محمد الغزالى رحمه الله"[١] العرب وغير العرب سواء فى انهم خلقوا لعبادة الله تعالى واداء حقوقه والاستعداد للقائه .... لكن العرب وحدهم أولى الاجناس بمعرفة الله تعالى والتزام حدوده اذ ان حاجتهم الى الدين تفوق حاجة غيرهم وفرص التسامى التى تتاح لهم يوم يتقون الله اضعاف الفرص التى تتاح لغيرهم . ان اصول الاسلام وتراث الاسلام من الكتاب والسنه اكتمل بلغتهم ونهر المعرفة الدينية والادبية تفجر من منابعهم وامتد مع التاريخ . صحيح ان الاسلام سوى بين الاجناس كلها فى الحقوق والوجبات العامة . لكن ذلك لا يغير من حقيقة ان العرب هم دماغ الاسلام وقلبه وان نزول الوحى بلغتهم تشريف يقابله تكليف . ان طبيعة العرب جنس حاد المشاعر جامح الغرائز عندما يطيش يفقد وعيه وعندما يعقل يبلغ الاوج .. ولقد قرات راى بن خلدون فى العرب ((انهم لايصلحون الا بدين ولا تقوم لهم قائمة الا بنهج النبوة))وترددت فى تصديقه ثم انتهيت اخيرا الى انه حق وان العالم لا يعترف لهم بميزة الا اذ كانوا حملة وحى فاذا انقطعت بالسماء صلتهم ضاقت عليهم الارض بما رحبت وغشيهم الذل فى كل مكان .وتاريخ العرب الاقدمين مع الدين مثار عبرة – عاد وثمود ومدين وقرى المؤتفكة – لما كذبوا مضت سنن الله تحصد المجرمين وتؤدب العابثين –وشاءت ارادة الله تعالى ان يتجدد العرب مع الرسالة الخاتمة ان الاوائل الذين بادوا فى حريق الجحود والتكذيب جاء بعدهم من اخذ الكتاب بقوة وخدم الايمان بعزم وانتصب لحرب الباطل ببأس شديد . والواقع ان الجيل الذى رباه محمد صلى الله عليه وسلم كان من معجزاته صلى الله عليه وسلم . كان من طراز فريد لانت له قلوبهم فبلت المحاريب عيونهم واخلصوا لله نياتهم فاندكت صروح الباطل وتلاشت اوهام طالما قيدت العرب ونشأت حضارة اسلامية أسهم فيها العرب وغيرهم فى ظل اخاء عام وفطرة سليمة .

(٣) (علل وأدوية) محمد الغزالى ص(٢٠٠،١٦٦-(٢٢٤-٢٢٧))

ولكن بمرور الايام على العرب نسوا معقد شرفهم وعروة مجدهم وظنوا انهم بغير الاسلام يمكن ان يكونوا شيئا . واذا بهم بعيدا عن الاسلام جسد بلا روح. ان العرب بعيدا عن الاسلام سياكل بعضهم بعض ثم ياكل العدو بقينهم . والخلاصة اذا كان الدين ضرورة انسانية لرشد الناس وقيامهم بحقوق خالقهم كضرورة الغذاء لأبدانهم وكيانهم فان الاسلام بالنسبة للعرب لهوا الهواء الذى يبقى حياتهم فلير العرب رأيهم شاءوا الحياة او الموت . وقد أنعم الله على العرب حديثا بالنفط وانعم عليهم قديما بالوحى فكانت المنة عليهم بالوحى أرجح وأضواء فى تاريخهم اما النفط الذى فجر المال انهار تحت اقدامهم فما تتم به نعمة الا اذا دعموا به القيم وسدوا به الثغر . **ويقرر هذا المعنى العلامة أبو الحسن الندوى**[1] فيقول"أن العالم العربي – بما فيه من موارد الثروة والقوة و بما فيه من خيرات وحسنات – جسم بلا روح ، وخط بلا وضوح إذا انفصل – لا سمح الله بذلك – عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع صلته عن تعاليمه ودينه ؛ وأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أبرز العالم العربي للوجود ، فقد كان هذا العالم وحدات مفككة ، وقبائل متناحرة ، وشعوباً مستعبدة ومواهب ضائعة ، وبلاداً تتسكع في الجهل والضلالات ، فكان العرب لا يحلمون بمناجزة الدولة الرومية والفارسية ولا يخطر ذلك منهم على بال ، ولا يصدقون بذلك إذا قيل لهم في حال من الأحوال ، وكانت سورية التي تكون جزءاً مهماً من العالم العربي مستعمرة رومية تعاني الملكية المطلقة والحكم الجائز المستبد ، لا تعرف معنى الحرية والعدل ، وكان العراق مطية لشهوات الدولة الكيانية مثقلة بالضرائب المحفة والإتاوات الفادحة . وكانت مصر قد اتخذها الرومان ناقة حلوباً ركوباً ، يجزون صوفها و يظلمونها في علفها ، ثم إنها تعاني الاضطهاد الديني مع الاستبداد السياسي ، فما لبث هذا العالم المفكك المنحل ، المظلوم المضطهد ، أن هبت عليه نفحة من نفحات الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، أدرك رسول الله هذا العالم وهو ضائع هالك وأخذ

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمسن أبو الحسن الندوى ٢٢٨-٢٢٤٠ مكتبة الايمان

بيبده وهو ساقط متهالك ، فأحياه بإذن الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس ، وعلمه الكتاب والحكمة وزكاه ؛ فكان هذا العالم بعد البعثة المحمدية سفير الإسلام ، ورسول الأمن والسلام ، ورائد العلم والحكمة ، ومشعل الثقافة والحضارة . كان غوثاً للأمم ، غيثاً للعالم ، هنالك كانت الشام وكان العراق ، وكانت مصر ، وكان العالم العربي الذي نتحدث عنه ، فلولا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولولا رسالته ، ولولا ملته ، لما كانت سورية ، ولا كان العراق ، ولا كانت مصر ، ولا كان العالم العربي ، بل ولا كانت الدنيا كما هي الآن حضارة وعقلاً ، وديانة وخلقاً ، فمن استغنى عن دين الإسلام من شعوب العالم العربي وحكوماته ، وولى وجهه شطر الغرب أو أيام العرب الأولى ، أو استلهم قوانين حياته أو سياسته من شرائع الغرب ودساتيره أو أسس حياته على العنصرية أو العروبة التي لا شأن لها بالإسلام ، ولم يرض برسول الله قائداً ورائداً وإماماً وقدوة ، فليرد على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم نعمته ويرجع إلى جاهليته الأولى ، حيث الحكم الروماني والإيراني ، وحيث الجهل والضلالة ، وحيث الغفلة والبطالة وحيث العزلة عن العالم ، والخمول والجمود ، فإن هذا التاريخ المجيد ، وهذه الحضارة الزاهية ، وهذا الأدب الزاخر ، وهذه الدول العربية ، ليست إلا حسنة من حسنات محمد عليه الصلاة والسلام . فالإسلام هو قومية العالم العربي ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو روح العالم العربي وإمامه وقائده والإيمان هو قوة العالم العربي التي حارب بها العالم البشري كله فانتصر عليه ، وهو قوته وسلاحه اليوم كما كان بالأمس ، به يقهر أعداءه ، ويحفظ كيانه ويؤدي رسالته . إن العالم العربي لا يستطيع أن يحارب الصهيونية أو الشيوعية أو عدواً آخر بالمال الذي ترضخه بريطانيا أو تتصدق به أمريكا ،أو تعطيه مقابل ما تأخذ من أرضه من الذهب الأسود ، إنما يحارب عدوه بالإيمان والقوة المعنوية ، وبالروح التي حارب بها الدولة الرومية والإمبراطورية الفارسية في ساعة واحدة فانتصر عليهما جميعاً.

وختاما.....قارئي الكريم انصت معى الى هذا النداء وأفتح له قلبك هيا لنقلع برحلة لنخترق بها زمان المستقبل وقل كم عمرك الان عمرى س سنة ماذا تملك من هذه السين من السنين؟ مضت وكأنها طيف وسوف يمضى ما بقى لك او لى منه وسوف ينتهى هذا الفصل لى ولك من على مسرح هذه البسيطة لتبدأ فصول كلها أشد هولا من هـــذا الفصل القصير- سين من السنين- ينتظرنى وينتظرك يوما أو قل ساعة سوف نسلم فيهـــا العهدة من كل هذه النعم ــ سمع – بصر- يد لسان قدم ...الخ ثم نستيقظ ولكن علـــى صوت لم نعهده فى مكان ليت شعرى كيف هو ...؟؟ لا أنيس فيـــه ولا جلـــيس الا أعمالنا فى الفصل السابق أقصد ما انت فيه الآن- هذا الفصل يسمى حياة البرزخ وهو امـــا روضة من رياض الجنة أو حفرة من النار أما نهاية قصة الوجود فلا نهاية بعد النهاية حيـــث العرض الأكبر والأخير على الله العليم الخبير فى يوم الفصل بين المصدقين والمكذبين **فريـــق في الجنة وفريق في السعير** فيا أخي الإنسان! إنك إن أسلمت وتابعت هذا النبي صـــلى الله عليه وسلم لن تنفع إلا نفسك، وإن كفرت لن تضر إلا نفسك، إن الله غني عن عباده، فلا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة الطائعين، فلن يُعصى إلا بعلمه، ولن يُطاع إلا بإذنه، وقد قال الله كما أخبر عنه نبيه (**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بيـــنكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يـــا عبـــادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كســـوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعـــاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولـــن تبلغـــوا نفعـــي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخـــركم وإنســـكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لـــو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان**

مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) [1]. **أقرع بابه الان وأطلب منه الهداية فهي بيده وحده سبحانه**

فى هذا الحديث الجليل يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم هـــل تعلم ان الهداية مثل الكهرباء لا تسرى الا فى وجود قطبين ،كذلك الهداية الى الحق وادراك الحقيقة لابد له من قطبين هما عقل صحيح وقلب سليم عقل يرى الدليل والبرهان ولا يقلد مثله انسان واذا ما وجد الدليل والبرهان فليفرغ قلبه من كل شئ من كبر وحقد وحســـد وليتجه بقلبه هذا الى الله رب العالمين ويسأله تعالى ان يثبته على الحق ويشرحه صدره له.ما أجمل الحياه عندما تكون فى ظل عقل صحيح حر من قيود الأهواء والتبعية والكبر ومن كل أمراض القلب.ان من التاريخ اناس كان عندهم العقل الصحيح واســـتنتجوا الحـــق ورأوه لكنهم لم يؤمنوا!!!!!!! أتدرى لماذا؟؟؟؟ لأن قلوبهم كانت مليئة بحب الدنيا والجاه والمنصب أو انها كانت مليئة بالتعصب الأعمى للأباء والأجداد بل للأرض والأعـــراف ان أمـــراض القلب تشبه السحاب الذى فى منتصف النهار أو القذى فى العين. فالعقل يرى الشمس دون العين. فهذه الآفات والتى محلها القلب ان وجدت فى القلب قلما ينفع مع وجودها برهان أو يفيد دليل ارجع الى قصص أى من هؤلاء ابو جهل- هرقل- حيي بن اخطب- ابو طالب- نصارى نجران- والذين عبروا عن غوايتهم وتعطيلهم لعقولهم فمنهم من قال " انا مـــن غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد و القديس أوغسطين يقـــول "انى أومـــن بذلك لأن ذلك غير معقول" و دستوفيسكي يقول" لو ان أحد قال لى: ان المســـيح يجـــافى الحق ولو أن هذا القول كان صحيحا ،لآثرت البقاء مع المسيح على التزام الحق!!!!!!! واخر قال"كاذب ربيعة أحب الينا من صادق مضر" وما أجمل عبارة الدكتور البوطي حيث يؤكد "إن محاولة التخلص من العقائد والأفكار الباطلة أيسر من محاولة الـــتخلص مـــن الســـلوك

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ح ٢٥٧٧.

المنحرف فالتحرر من الأول يتطلب فقط يقظة في الفكر والعقل بينما التحرر مـــن الثـــاني يتطلب جهدا عظيما على النفس وشهواتها وأهوائها "[٢]

لكن من أجتهد فى تحقيق الدليل بعقله وفكره وجاهد فى سبيل ســـلامة قلبـــه مـــن الأمراض وطلب من الله الهداية فلا بد من ان يصيبها ليتك ترجع الى العديد مـــن قصـــص العائدين الى الفطرة لتتجلى لك هذه الحقيقة.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينـــا محمـــد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كلمة أخيرة[3]

هذه رسالة الإسلام الحضارية، تقدمها أمته إلى العالم الحائر الذي شقى بالحضارة المادية الاستهلاكية التي تسوده اليوم.

على الأمة أن تجتهد وتستفرغ وسعها في تبليغ هذه الرسالة إلى البشرية التائهة : بالأسوة الحسنة والنموذج العملي أولا، ثم بالكلمة المقروءة، وبالكلمة المسموعة، وبالكلمة المشاهدة، وباللغات المختلفة، حتى تقوم على الناس الحجة، وتبرأ الذمة.

ولدينا من الإذاعات الموجـــــهة، ومن القنـــــوات الفضائية، ومن شبكة (الإنترنت)، ما يمكننا أن نوصل كلمتنا إلى أنحاء الأرض، ونحقق عالمية الإسلام بالفعل.

ولكننا – لكي نحقق هذا الهدف – نفتقر إلى قوى بشرية مدربة هائلة، لتستطيع أن تخاطب كل قوم بلسانهم، ولتبين لهم. وإلى قدرات مالية كبيرة، لتمويل ما تحتاجه هذه الآليات الخطيرة من أجهزة وأدوات، ومن تفريغ للقوى البشرية القادرة على العطاء

(١) د محمد سعيد رمضان البوطى " الإسلام ملاذ المجتمعات الإ نسانية" دار الفكر للطباعة والنشر
(٢) من مقال للدكتور يوسف القرضاوى من صفحات الأنترنت

المتميز. وقد سميت الدعوة إلى الإسلام عن طريق (الإنترنت (جهاد العصر، فهو يغنينا عن تجييش الجيوش، لإيصال دعوة الإسلام إلى البلدان والشعوب البعيدة.

وبهذا نستطيع برسالتنا الحضارية – إذا أحسنا عرضها بلغة عصرنا – أن نفتح لها آفاقـــًا وأقطـــارًا، فتحًا سلميًا، لا تراق فيه قطرة دم، فلا نشهر سيفًا، ولا نطلق مدفعًا، ولا نعلن حربًا.إنه (الفتح السلمي) الذي أصّله الإسلام، في (صلح الحديبية) المعروف، والذي عقد بين الرسول وبين مشركي قريش، لإقامة هدنة بين الطرفين، يكف كل منهما يده عن الآخر، فسمّى القرآن ذلك (فتحًا مبينًا) ونزلت في شأنه (سورة الفتح .(وسأل بعض الصحابة الرسول الكريم :أوفتح هو يا رسول الله؟ قال) :إي والذي نفسِ محمد بيده، إنه لفتح). وانتشر الإسلام في هذه الفترة، كما لم ينتشر في أي فترة مضت.وعلى ضوء هذا، أفسر ما بشر به الحديث النبوي الشريف من فتح رومية بعد فتح القسطنطينية أنه فتح الدعوة والفكر، لا فتح السيف والمدفع. وفتح رومية يعني عودة الإسلام إلى أوربا، بعد أن أخرج منها مرتين، وهذا هو فتح القرن القادم إن شاء الله، القرن الحادي والعشرين، فتح العقول بالمعرفة، والقلوب بالإيمان، والحياة كلها بتعاليم الإسلام. "ويومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله" (الروم: ٤ – ٥ .(ويتحقق وعده تعالى : **"سنريهم آياتنا فالآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"** (فصلت:

كلمة أخيرة من الباحث

أتقدم بالشكر لكل من فكر وساهم فى أمر هذه المسابقة لأن كل من سيسابق فيها سيربح باذن الله تعالى ، فما أجمل وأحلى الحياة فى ظلال النبوة وبين ربوع السيرة العطرة نستنشق منها عبير الأيمان وعطر الاسلام.وانني أحمد الله تعالى على هذه الأوقات التى أمضيتها فى اعداد هذا البحث او هذه الرسالة وادعوا الله تعالى لكل من نقلت عنهم ان يجعل ذلك فى موازينهم. وفى الحقيقة أعتبر نفسى دخيلا ومتطفلا اذ أننى تجرأت على خوض هذا السباق لكن عذرى ان دافعى هوحبى للنبى صلى الله عليه وسلم وان حبه

والغيرة على جنابه صلى الله عليه وسلم من مقتضيات الايمان به صلى الله عليه وسلم .وأقترح لهذا البحث العناوين التالية: محمد صلى الله عليه وسلم الرسول والرسالة وحاجة العالم اليه- محمد صلى الله عليه وسلم شمس القيم التى أشرقت ولن تغيب - رسالة الى من له عقل وقلب من أهل الشرق والغرب- هذا، فما كان في هذا البحث من خير فبتوفيق من الله تعالى واستغفر الله تعالى لكل ما فيه من خطأ أو نسيان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د/عارف محمد السيد عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا انه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم صل على محمد النبى وازواجه امهات المؤمنين وذريته وآل بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد.

هذا الكتاب عبارة عن بحث تقدمت به فى الى المسابقة العالمية "فلتعرف هذا النبي صلى الله عليه وسلم" والتى اعلن عنها مسجد العزيز بالله بالزيتون بالقاهرة فى٢٠٠٨/١٢/٢٦ الموافق٢٩ ذو الحجة١٤٢٩ وهذا البحث بعنوان "رسالة الى من له عقل وقلب من أهل الغرب"، ليعرفوا قدره صلى الله عىليه وسلم لأنهم لو عرفوه لأحبوه ، لكن بتقصيرنا جهلوه ثم ازدادوا اثما وجرما فسبوه، ، فداه نفسى وابى وامى وفداه انفاسى ولحمى ودمى.

ماذا لو لم يرحم به الله العالمين؟ ففي الفصل الأول ملخص للسيرة العطرة بعنوان من محمد صلى الله عليه وسلم ؟وما هى ورسالته؟وما حال العالم قبل محمد صلى الله عليه وسلم.البيئة التى أشرقت فيها رسالته صلى الله عليه وسلم ثم تحدثنا عن مولده ونشأته صلى الله عليه وسلم ثم ألقينا نظرة على أثره صلى الله عليه وسلم على مسيرة الدنيا فلن يرى ولن يرى مثله صلى الله عليه وسلم...فهوالذى صنع بيئته...؟؟؟وهو الذي صنع التاريخ وان محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته يشكلان نقطة التحول العظمى فى تاريخ البشرية وبداية عصر جديد اكتشف فيه الأنسان لأول مرة أنه يملك حياه داخلية يستطيع الأنتفاع بها فى تشكيل حياته الخارجية فى العائلة والدولة ونفسه ويستطيع ان يسعى بها لتحقيق الوحدة العليا من المثال والواقع هذه الوحدة التى أخفق الدين المسيحى من االسعى اليها فى تصورات بعيدة بعيدة عن الواقع،من هذه النقطة فى تاريخ العالم تأسس العلم الحديث وما تفكير اوربا العلمى الا نتاج ترجمة كتب المسلمين وما علم الغرب الا من ثمرات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استعرضنا أقوال من علماء وعقلاؤء الغرب عنه صلى الله عليه وسلم : **وفى لفصل الثـــــــــاني استعرضنا** بعضا من **من دلائل صدق نبوته صلى الله عليه وسلم**

وذكرنا ان حاجة الناس إلى معرفة النبوة، والإقرار بالرسول، فقد وضّحها المولى – جلّ وعلا – في كتابه توضيحاً أعظم من أن يُشرح في هذا المقام، إذ الشرح يطول. ودلائل النبوة من الكثرة والوضوح بدرجة لا تخفى إلا على من عميت بصيرته وضل سبيله في هذه الحياة،فاذا كان بمقدور أى احد ان يميز بين الليل والنهار فكذلك يمكن التميز بين أصدق الخلق وأفضلهم صلى الله عليه وسلم وبين من هو كاذب وسوف ندرس هنا بعضا من أخلاقه وسيرته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته صلى الله عليه وسلم. ومن المعلوم أن مدعى الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم؛ فهما شخصان لا ثالث لهما لذلك فإن معرفة الصادق والتمييز بينه وبين الكاذب من أسهل الطرق وأيسرها لبعد ما بين الشخصين، فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم.وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، وما من نبي صادق إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز، بل إن كل شخصين ادعيا أمرا من الأمور أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب فلا بد أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة.

ثم أوضحنا أنه إذا كان أهل الغرب يدَّعون اليوم أنهم أهل المعرفة والبحث فإننا ندعوهم إلى أن يبحثوا –بكل أدوات ووسائل البحث العلمى المجرد من كل الهوى– في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل و هرقل من قبل ،. ان من يريد الحق لذات الحق،فلا يهمه عند من يكون؟ ولا من أين يأتى؟ انه من اليسير على العقل ادراك الحق، لكن العسير على القلوب– المليئة بالكبر او الحقد او الحسد اوتقليد الآباء والأجداد — قبول هذا الحق بالرغم من اذعان وصريخ وتصريح العقل به . ولان اشرف ما فى الانسان عقله وقلبه .وان الإنسانية الصحيحة ترفض جمود الفكر وانسداد الأفق وترفض تعطيل الحواس عن مهمتها العظمى فى هذه الحياة ألا وهى استبانة الحقائق وإصدار الأحكام الصحيحة . إن الإسلام يرى هذا التصور ذنباً جديراً بالعقاب الأليم " . ثم عرضنا قصة هرقل مع أبي سفيان: و

المنهج الذي اتبعه هرقل لاستنباط صدق نبوته صلى الله عليه وسلم والذي ينبني على ثلاثة محاور أساسية هي:النظر في شأن الرسول وسيرته.النظر في نصر الله أو خذلانه لمدعى الرسالة.النظر في منهج ومبادئ هذه الرسالة.

وتكلمنا عن صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهاده ودلالة ذلك علـــى صـــدقه: ثم استعرضنا بعضا من جوانب صفاته صلى الله عليه وسلم مثل حيائه صلى الله عليه وســـلم و زهده وتواضعه صلى الله عليه وسلمو رفقه ولينه صلى الله عليه وسلم ووفاؤه صلى الله عليه وسلم:و رحمته صلى الله عليه وسلم وشفقتة على الأطفال ورحمة بالحيوانات.. أيضاً وحلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه عن من أساء له ولطف معاملته وحسن معاشرته للآخرين صلى الله عليه وسلم: واخيرا وليس اخرا معاملته صلى الله عليه وسلم لنسائه و معاملته لأطفـــال المسلمين: ثم بعد ان استعرضنا بعض صفاته ودلالتها علي صدق نبوته صلى الله عليه وسلم بدأنا فى سرد بعض من المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة على نبوة سيد البرية صـــلى الله عليه وسلم: واولها و١- القرآن الكريم:فالقرآن الكريم هو أعظم معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هو أعظم معجزات الأنبياء جميعهم، لأنه معجزة خالدة باقية فقد تعهـــد الله عزوجل بحفظه ما دامت السموات والأرض. فالقرآن الكريم أعظمَ ما أوتيه النبيُّ صـــلى الله عليه وسلم دلالة على صحةِ رسالته، وهو نفسُ رسالتِه المتمثلةِ في شقِّها الأولِ بـــالقرآنِ العظيمِ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه. ثم ناقشناسر كون القرآن المعجـــزة العظمي: و بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم: مثل عجاز القرآن الكريم الغيـــبي: وأعجـــاز القرآن التاريخى واستعرضنا امثلة حاكم مصر في عهد يوسف ملـــك أم فرعـــون:والقرآن الكريم وجثة فرعون: و القرآن معجزة متجددة:ووأقوال طائفة من المنصفين من أهل الغرب عن القرآن الكريم؛ منها قول المستشرق آرثر آدبري وقول الطبيب الفرنســـي مـــوريس بوكاي وقول جيـــــــــــفرى لانـــــــغ وتناولنا معجزة انشقاق القمـــر: والعلـــم الحديث وانشقاق القمر: وثم عرضنا للبريطانى المسلم "بيدكوك" وقصته مع انشقاق القمر ثما ذكرنا بعض من المعجزات الحسية التي أيد الله بها رسولنا الكريم:

ثم بينا ان معجزات محمد صلى الله عليه وسلم أظهر من معجزات الرسل السابقين من عدة وجوه منها معجزة جيل الصحابة رضي الله عنهم وعرضنا لبعض أوجه الاعجاز فيها .

ثم ناقشنا جانبا من الأدلة العقلية الدالة على صدق رسالته ونبوته صلى الله عليه وســـلم ثم ألقينا نظرة على موكب العائدين الى الله تعالى:و الفصل الثالث كان استعراضا لعلاقته صلى الله عليه وسلم بالرسالات السابقة . حيث يمكن حصرها في النقاط التالية :

١. كل الرسل من ادم حتى صلى الله عليه وسلم رسالتهم واحدة وشرائعهم مختلفة.
٢. الرسل السابقة مبشرة به صلى الله عليه وسلم مؤمنين به وشاهدين على صدقه صلى الله عليه وسلم.واخذ عليهم العهد والميثاق بالأيمان به ونصرته ورسالته صلى الله عليه وسلم.
٣. رسالته صلى الله عليه وسلم مكملة ومتممة للرسالات السابقة وخاتمه للرسالات.
٤. شهادة النبى صلى الله عليه وسلم وأمته للأنبياء السابقين بالصدق وبالتبليغ.
٥. وعلاقته صلى الله عليه وسلم بالرسل السابقين هى علاقة أخوة وحب فى الله . وعلاقة معرفة الفضل لأهله . وفي الفصل الرابع تناولنا بعضا من الشبهات المثارة فى الاعلام الغربي حول شخصيته صلى الله عليه وسلم والرد عليها حيث انه يمكن تلخيص هذه الشبهات أو ان أكثرها اثارة هو ما يلى:-

١. شبهة الإسلام هو سبب تأخر المسلمين و تخلفهم الحضاري !
٢. شبهة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم
٣. شبهة الأسلام انتشر بالسيف
٤. شبهة الأسلام صادر حقوق ومكانة المرأة

وفي الفصل الحامس قدمنا رؤية اسلامية لتصحيح الصورة الغربية للأسلام وثوابته ورمـــوزه وفي الفصل السادس تحدثنا عن حاجة العالم المعاصر الى رسالته صلى الله عليه وسلم، ولقـــد كان العالم فى أمس الحاجة الى بعثته صلى الله عليه وسلم قبل ان يشرق نوره صـــلى الله عليه وسلم .ان من يستقرء حال العالم الان يجد ان العالم الان فى حاجة لأن تنبعث الأمـــة

الأسلامية من رقدتها وتستيقظ لتقوم برسالتها التى أمرها الله تعالى بحملها وأداء ما حملها به صلى الله عليه وسلم من أمانة التبليغ عنه صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وتوصيل رحمته الى العالمين.. وبالقاء نظرة الى المجتمع الذى أسسه والجيل الذى رباه محمد صـــلى الله عليه وسلم. ونظرة أخرى الى الأسرة والمجتمع ومعدل الجريمة وما آل اليه حال المـــرأة فى الغرب ونظرة الي الأسرة والمجتمع فى الغرب والاقتصاد ومعدل الجريمة فى المجتمعات الغربية لأدركنا حجم الأزمة العالمية وان الاسلام كما بينا أنه ملاذ الانسانية ومن الأقوال التى تؤيد ان الإسلام ملاذ الإنسانية قول الشاعرة (**ساروجين نايدو**) .وقول **الأمير البريطاني تشارلز** .وقول المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه**. وقول **غوستاف لوبون** وقول **المستشرق بول دي ركلا** وقول المستشرق **بارتلمي سانت هلر** ونظم الشاعر **غوته** " .وتأكيد **هانوتو**. وقـــول المستشرق **لين بول** : و المفكر **آرثر هاملتون** حيث يذكر: "لو توخى الناس الحق لعلموا أن الدين الإسلامي هو الحل الوحيد لمشكلات الإنسانية".. ويؤكد هذا المعنى عـــالم القـــانون **مارسيل بوازار** : "إن دخول الإسلام إلى الساحة العالمية ، وإعادة الأمر إلى نصابه بتحقيـــق التوازن المطلوب ، ليس هو مجرد مشاركة فعالة ، وإنما هو إنقاذ للوضع البشـــري المنهـــار" .وقول الفيلسوف **جورج برناردشو** :**وقول شاعر فرنسا (لامارتين)** وقـــول المستشـــرق النروجي المنصف الدكتور **إينربرج و المستشرق روم لاندو و المؤرخ أرنولد تـــوينبي** في (دائرة المعارف التاريخية) وقول المؤرخ **ولز** في (معالم تاريخ الإنســـانية) : **والمـــؤرخ ول ديورانت**: ويقول المؤرخ **مونتغمري وات وقول الممثل العالمي أنطوني كوين** وقول المؤرخ **كروبر**.و **عبد الصمد كيل والباحث الفرنسي ليون روشي وعالم الاجتمـــاع الهولنـــدي إسماعيل ريسلو والبروفسور أبو الحسن بوتولّو والبروفسور لـــومكس وزوجتـــه ألـــن يونافيس** وهما أستاذان بجامعة كولومبيا :والدكتـــور **غرينبيـــــه** عضو مجلـــس النـــواب الفرنسي .وقول المستشرقة **زيغريد هونكه** في كتابها القيم شمس الله تسطع علـــى الغـــرب وأخيرا بينا حاجة العرب خاصة الى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

الملخص

الكاتب د/عارف محمد السيد عبد الرحمن استاذ مساعد بمدينة الابحاث العلمية والتطبيقات التكنولوجية بمدينة برج العرب الجديدة الاسكندرية – مصر
جوال رقم ٠٠٢٠١١١٤٤٢١٧٨٢
البريد الالكتروني drareff@gmail.com

المراجع

د. موريس بوكاي دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة

مراد هوفمان الإسلام كبد يل

الأمير تشارلز (الإسلام والغرب) محاضرة في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣ .

مايكل هارت (المائة الأوائل).

المستشرق بودلي (حياة محمد)

زيغريد هونكه (شمس الله تسطع على الغرب)

ابن قيم الجوزية هداية الحيارى

ابن تيمية الجواب الصحيح لشيخ الإسلام (٣٢٣/٥) بتصرف.

ابن قيم الجوزية زاد المعاد في هدي خير العباد

ابن هشام السيرة النبوية (١٤٢/١).

أحمد شلبي (الإسلام)

البروفيسور/ جاك ريسلر الأستاذ في معهد باريس للدراسات الإسلامية، والحاصل على جائزة الأكاديمية الفرنسية، تقديرا لكتابه "الحضارة العربية" بوصفه دراسة أساسية لمعرفة الإسلام

البيهقي من دلائل النبوة

الترمذي كتاب تفسير القرآن

الدكتور شوقي أبو خليل (الإسلام نهر يبحث عن مجرى)

الشيخ عطية صقر	" الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه" مجمع البحوث الاسلامية المحرم١٣٩٠ مارس١٩٧٠
العلامة ابو الحسن الندوى	" فى محكمة العقل"
العلامة أنور الجندي	(آفاق جديدة للدعوة)
العلامة أنور الجندي	عن (موسوعة مقدمات المناهج والعلوم) (مجلد ٨ / ٢١١) .
المستشرق الإسباني جان ليك	(العرب) (٤٣)
المؤرخ ول ديورانت	في موسوعته (قصة الحضارة) المجلد الحادي عشر .
المؤرخ كروبر	في (طبيعة الثقافة)) .
أنور الجندي	أخطر ما تواصى به المسلمون عبر الأجيال)) .
انجوغو امبكي صمب "	أروع القيم الحضارية في سيرة سيد البرية " تحقيق علمي حول الشبهات المثارة حول زواج النبي الكريم وجهاده وشمائله صلى الله عليه وسلم مطبعة دار الكتاب يمبل دكار السنغال
إيتين دينيه	١٨٦١ -١٩٢٩) Et.Dient تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (١٩٢٧)، وحج إلى بيت الله الحرام (١٩٢٨).ومن آثاره: صنف معاوية سليمان بن إبراهيم، و"محمد في السيرة النبوية"، وله بالفرنسية "حياة العرب"، و"حياة الصحراء"، و"الشرق في نظر الغرب"، و"الحج إلى بيت الله الحرام"، و"أشعة خاصة بنور الإسلام
ابن قيم الجوزية	بدافع الفوائد ص ٢٠١ و ٢٠٢ ج٣

توماس كارلايل	(١٧٩٥ – ١٨٨١) Th. Carlyle الكاتب الإنجليزي المعروف. من كتابه: (الأبطال) (١٩٤٠)، وقد عقد فيه فصلاً رائعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم
توينبي	(مدخل تاريخي للدين)
جوستاف لوبون	حضارة العرب - ترجمة محمد عادل
حسان شمسي باشا	(هكذا كانوا ... يوم كنا.)
د محمد يسرى ابراهيم	التطاول الغربى على الثوابت الاسلامية دار الصفوة ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م
د. أحمد شلبي	سلسلة مقارنة الأديان
د. عبد المنعم النمر	(الإسلام والمبادئ المستوردة) .
د. عماد الدين خليل	(القرآن الكريم من منظور غربي)
د. محمد بن عبدالله بن صالح السحيم	الأسلام أصوله ومبادئه"
د.عبد المعطي الدالاتي	"ربحت محمدًا ولم أخسر المسيح"
د/ عماد الدين خليل	قالوا عن الإسلام
الإمام رحمة الله الهندي	إظهار الحق (٢٦٧/٢) .
روم لاندو	(الإسلام والعرب)

زيغريد هونكه	شمس الله تسطع على الغرب
ساروجيني نايدو	(مثاليات الإسلام).
ستودارد	محمد والقرآن، ص ١٨
د.عبد المنعم النمر	حضارتنا وحضارتهم
عبدالرحمن بن عبدالكريم الشيحة	" **محمد رسول الله** صلى الله عليه وسلم" من إصدارات:المكتب التعاونى للدعوة وتوعية الجاليات بالربوة بالمملكة العربية السعودية
على حسونة	فلسفة اقبال دار اقرأ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م
د/ درمنغم	كتابه حياة محمد ، وقد ترجمهالأستاذ الفلسطيني محمد عادلزُعَيْتِر
محمد الغزالى	علل وأدوية
غوته	الديوان الشرقي للشاعر الغربي) ص(٣١) ويعتبر هذا الديوان أهم وصاياه للأجيال
غوته	العالم العربي)كاتارينا مومزن (١٨١ و ٣٥٥).
غوستاف لوبون	(حياة الحقائق) ص(٦٢)
د.عبد الله الأهدل	(حوارات مع أوربيين غير مسلمين)
محمد الغزالي	الفيلسوف نيتشه (ظلام من الغرب)
لويس سيديو	خلاصة تاريخ العرب

محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق)

محمد العربى بوعزيزى محمد اقبال فكره الدينى والفلسفى دار الفكر دمشق سورية

محمد الغزالي التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام)

مجلة الامة القطرية العدد ٥٤ السنة الخامسة جمادى الاخر ١٤٠٥ هـ نقلا عن مجلة الشرق الاوسط

محمد الغزالي . عن (هذا ديننا) (٢٥٤) .

محمد عبده (الإسلام والمسيحية مع العلم والمدنية)

محمد عثمان لمَ أسلم هؤلاء الأجانب) (١ / ١٤٧)

محمد فتح الله كولن مفخرة الإنسانية: النور الخالد

ابن هشام السيرة النبوية (١٤٢/١).

موريس بوكاي القرآن والعلم الحديث.

موريس بوكاي دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة د . ، ص ٢٦٩ دار المعارف ط ٤ / ١٩٧٧ ، بتصرف

يوسف القرضاوى مقال للدكتور من صفحات الأنترنت

الفهرس

الموضوع رقم الصفحة

المقدمة

الفصل الأول

محمد صلى الله عليه وسلم ،ما هى ورسالته؟

وما حال العالم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم.....٢

البيئة التى أشرقت فيها رسالته صلى الله عليه وسلم.....٣

مولده ونشأته صلى الله عليه وسلم.....٥

بدايـــــــة الشـــــروق.....٧

فلننظر الي رد فعـــل قومـــــه!.....٨

فلنتفكر قليلا.....١٠

وتعالوا ننظـــــــر.....!!.....١٠

محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى.....١٣

انظر الى أثره صلى الله عليه وسلم على مسيرة الدنيا.....١٤

من مثله صلى الله عليه وسلم...هوالذى صنع بيئته...؟؟ ١٥

ثم نكرر : من مثله صلى الله عليه وسلم.....؟؟؟ ١٦

محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي صنع التاريخ.....١٧

ميلاد عصر جديد فى تاريخ الدنيا.....١٩

من أقوال عقلاء ومفكرى الغرب عنه صلى الله عليه وسلم..
شاعر الألمان غوته.....٢٠
محمد أسد (ليوبولد فايس).....٢١
الشاعر الفرنسي الشهير (لا مارتين).....٢٢
ديورانت: محمد أعظم عظماء التاريخ.....٢٣
دُرّاني: محمد رجل فوق التصور.....٢٤
الكاتبة البريطانية إيفلين كوبلد.....٢٥
روجيه دوبا سكويه.....٢٥
نظمي لوقا: محمد رجل فوق كل الشبهات.....٢٦
توماس كارليل: محمد الرحمة والحنان.....٢٧
ريسلر: محمد أعظم رجال التاريخ قاطبة.....٢٩
ولز: من أشعل ذلك القبس ؟.....٢٩
هنري دي فاستري: كيف كان يفكر هذا الرجل؟!.....٣٠
مونته: هذا الرجل مدهش بكل المقاييس.....٣١
درمنغم: محمد لم يعرف الراحة ولا السكون!.....٣٢
دينيه: محمد شخصية خارقة للعادة.....٣٣
سيديو: حان الوقت لأن تتوجه الأنظار لمحمد.....٣٤
غوستاف لوبون: محمد أعظم من عرفهم التاريخ.....٣٥
الفيلسوف الإنجليزي جورج برناردشو وآخرون.....٣٦

الفصل الثـــــــــاني

من دلائل صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.....٣٩
يا أهل العقل والبحث.....! يا أهل الانصاف والعدل.....٣٩
قصة هرقل مع أبي سفيان:.....٤١
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم:.....٤٦
قول توماس كارليل.....٤٨
صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهاده ودلالة ذلك على صدقه..:...٤٩
ثم فلنتفكـــــر....مع العالم دراني..... .....٥٢
كرمه وجوده وشجاعته صلى الله عليه وسلم:. ٥٤
حيائه وزهده وتواضعه صلى الله عليه وسلم:.....٥٥
رفقه ولينه صلى الله عليه وسلم..... .. ..٦٠
وفاؤه صلى الله عليه وسلم:..... ....٦٢
رحمته صلى الله عليه وسلم: ٦٣
الشفقة على الأطفال. ٦٤
رحمة بالحيوانات.. أيضاً. ٦٥
حلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه عن من أساء له:.. .....٦٧
لطف معاملته وحسن معاشرته للآخرين صلى الله عليه وسلم:.....٦٩
معاملته صلى الله عليه وسلم لنسائه: ٧٠
معاملته لأطفال المسلمين: ٧٢
ومن دلائل نبوته من مولده صلى الله عليه وسلم وحتى بعثته...:.....٧٤
بعد بعثته صلى الله عليه وسلم:..... .....٧٤
المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة على نبوة سيد البرية صلى الله عليه وسلم
القرآن الكريم.....:.....٧٦

سر كون القرآن المعجزة العظمي..... .....٧٦
بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم: ٧٨
أقوال الغربيين المنصفين عن القرآن الكريم:.....٨٥
المستشرق آرثر آدبري. ويقول الشاعر الألماني الشهير جوته : غوته
وقول المستشرقة الألمانية أنا ماريا شميل: الباحث الأمريكي مايكل هارت
".ويقول المستشرق بودلي: ".وقول المستشرق "فون هامر
.ويقول البروفسور يوشيودي كوزان –المفكر مارسيل بوازار وقول الطبيب
الفرنسي موريس بوكاي وجيـــــــــــفرى لانـــــغ
معجزة انشقاق القمر:.....٨٨
العلم الحديث وانشقاق القمر:..... ..... ٨٩
بيدكوك" وقصته مع انشقاق القمر ٩
بعض من المعجزات الحسية التي أيد الله بها رسولنا الكريم: ... .٩١
نبوءات النبي صلى الله عليه وسلم وتحققها: ١٠٨
جانب من الأدلة العقلية الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم..... ١١٨
موكب العائدين الى الله تعالى..... ....١٣١
إسلام عبد الله بن سلام: ١٣١
إسلام سلمان الفارسي.....:.....١٣٣
مخيريق خير يهود: ١٣٧
إسلام الترجمان:..... ....١٣٨
وكيل دير المحرق وشهادة الحق:..... .....١٤٢
رئيس لجان التنصير يشهد بالحق:.. .....١٤٣
البروفسور خالد ميلاسنتوس ١٤٨
الدكتور موريس بوكاي..... .....١٤٨

الحاج إبراهيم أحمد:. ... .١٤٩
البروفسور عبد الأحد داود.....١٥٠
ليلى لاكري ١٥١

الفصل الثالث

علاقته صلى الله عليه وسلم بالرسالات السابقة ١٥٤
الرسالة واحدة والشرائع مختلفة. ١٤٥
علاقة البشارة والايمان والنصرة. ١٥٧
علاقة التكملة والتمام والختام للرسالات. .... .١٦٧
شهادته صلى الله عليه وسلم وأمته للأنبياء السابقين بالصدق وبالتبليغ. ١٦٩
علاقة الأخوة والحب فى الله . ومعرفة الفضل لأهله ١٦٩

الفصل الرابع

الشبهات المثارة فى الاعلام الغربي حول شخصيته صلى الله عليه وسلم والرد عليها
شبهة الإسلام هو سبب تأخر المسلمين و تخلفهم الحضاري ! ١٧١
شبهة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم. ١٧٦
شبهة انتشار الأسلام بالسيف. ١٨١
شبهة :الاسلام صادرحقوق ومكانة المرأة..... .....١٨٩

الفصل الخامس

رؤية اسلامية لتصحيح الصورة الغربية للأسلام وثوابته ورموزه.....١٩٤
محمد مارماديوك باكتال وخالد شلدريك..... ....١٩٤
رؤية الشيخ عطية صقر فى كتاب الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه: ١٩٥
رؤية عبد المعطى الدالاتى من كتاب ربحت محمدولم أخسرالمسيح..... ١٩٨
رؤية العلامة أبو الحسن الندوى..... ....١٩٩
رؤية الدكتور محمد يسرى ابراهيم ٢٠٢
رؤية الباحث..... ....٢٠٦

الفصل السادس

حاجة العالم الى رسالته صلى الله عليه وسلم.. ....٢١٠
المجتمع الذى أسسه والجيل الذى رباه محمد صلى الله عليه وسلم.....٢١١
الأسرة والمجتمع ومعدل الجريمة وما آل اليه حال المرأة فى الغرب..... ٢١٢
معدل الجريمة فى المجتمعات الغربية.. ....٢١٥
الحل الوحيد للأزمة العالمية : ٢١٨
الأقوال التى تؤيد ان الإسلام ملاذ الإنسانية..... ....٢١٩
حاجة العرب خاصة الى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم..... ٢٣٠
كلمة أخيرة..... ....٢٣٥
كلمة أخيرة من الباحث..... ....٢٣٦